

المعرفة

مجلة ثقافية شهرية

- اتحاد الدول العربية ضرورة ملحة
- إسرائيل واقع استعماري
- الأسلحة الاقتصادية ضد العدوان
- الشر نذير العدوان
- الاشتراكيون - لأنذرهم فيليب
- الامبريالية وحق الشعوب

السنة السادسة

أيلول ١٩٦٧

٦٧

المعرفة

مجلة ثقافية شهرية
تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد القومي

السنة السادسة

رئيس التحرير

أديب البجدي

العدد السابع والستون

المعرفة

دمشق

السنة السادسة

العدد السابع والستون - أيلول ١٩٦٧



العلوم والبحوث الاجتماعية

الكتاب والموضوعات

- محمد عزة دروزة اتحاد الدول العربية هو العلاج الوحيد والملح
- مكسيم رودنسون اسرائيل واقع استعماري
- د. هشام متولي الاسلحة الاقتصادية العربية والعدوان الصهيوني

اتحاد الدول العربية

هو العلاج الوحيد والملح

محمد حرة وروزة

عادت الأصوات تتعالى وتتوالى في هذه الأيام بالوحدة على أنها العلاج الملح الوحيد للنكسة التي ألمت بالأمة العربية . لأن في نطاقها فقط يمكن تجميع قوة العرب وطاقاتهم البشرية والاقتصادية والعسكرية ، والصمود إزاء قوى الشر الصهيونية والاستعمارية التي تتآمر عليهم لبسط هيمنتها عليهم بعد ان استطاعوا أن ينفلتوا من اسلوبها التقليدي القديم . وهذا حق كل الحق . فالوحدة - التي كانت وما تزال مطلب الشعب العربي ومناط أمله وعزته وقوته وتكامله وازدهاره وحل قضاياها في غير ظرف نكبة طاحنة مثل النكبة التي ألمت به والتي تتوفر كل أسبابها

في الوطن العربي والشعب العربي بأوسع مقياس توفرت به عند أمة أخرى من امم الأرض حتى غدا عدم تحقيقها وصحة عار في جبينهم وصاروا بذلك مئثار سخريه الأمم التي لم يبق غير متحد منها غيرهم — هي الآن أشد الحاحاً وضرورة من أي وقت لأنها العلاج المالح الوحيد لتلك النكبة الطاحنة . ولا نريد أن نبحث في الأسباب والظروف المتنوعة التي حالت دون قيام الوحدة والتي اقتضرت الآن على الداخلي منها التمثل بالدرجة الأولى في اختلاف النظم السياسية والاقتصادية ، وفي قوة جذور الاقليمية التي غرسها المستعمر ، وفي شدة الحرص على الاحتفاظ بالخصية . وكل هذا بما تنفد منه دسائس الاستعمار وتجعل التغلب عليه عسيراً . ومع ذلك فاننا نعتقد أن هذه الحالات يمكن أن تعالج بالاتحاد بدلاً من الوحدة .

وللاتحاد اسلوبان: اسلوب الدولة المتحدة واسلوب الدول المتحدة . وفي حالتنا ، في ضوء الأسباب والظروف التي نعيشها ، يكون الاسلوب الثاني هو الاكثر امكانا بحيث تحتفظ كل دولة من الدول العربية بشخصيتها ونظام حكمها وشؤون اقليمها وثرواتها المحلية وتتنازل عن سيادتها في الشؤون العسكرية والسياسية والاقتصادية والمواصلات العامة والجمارك لحكومة اتحادية . على أن تحل مشكلة اختلاف النظام الاقتصادي المحلي أي الرأسمالي الذي يسير عليه بعض الدول والاستراكي الذي يسير عليه بعض آخر باحتفاظ كل فريق باسلوبه دون أن يكون لحكومة الاتحاد تدخل فيه .

ولقد اتفقت بعض الدول العربية فيما بينها على اقامة وحدة اقتصادية وسوق عربية مشتركة ، برغم ماينها من تغاير في السير الاقتصادي ، ويعتبر هذا دليلاً على سواغ ماقلناه .

ولقد كنت رسمت خطوطاً دستورية لمثل هذا الاتحاد . وما زلت أراها
اجماليا صالحة للتطبيق ومجيبة للحاجة الملحة لمعالجة النكبة الطاحنة، ومواجهة التحدي
الذي يفرض علينا والتغلب عليه ، اذا قبلت الحكومات العربية بها أو بما يشابهها
وأقدمت على تنفيذها . وليس من محنة ونكبة ونجدد يمكن أن يلم بالعرب أشد مما
هم واقعون فيه وواقفون أمامه الآن فاذا لم ينفذوا مثل هذه الخطة التي هي أضعف
الإيمان في سبيل توحيد طاقاتهم البشرية والاقتصادية والعسكرية والسياسية
فأخشى ما يخشى ان لا يستطيعوا شيئاً مما يقولونه ويعلمونه . ويكونون قد
حملوا اعظم مسؤولية قومية أمام الله والتاريخ والوطن .

وقد يكون وزراء خارجية العرب على أحسن الفروض قد اتفقوا على
توحيد الخطط والقيادة العسكرية والسياسية والاقتصادية، وقد يوافق مؤتمر الملوك
والرؤساء المزمع عقده على ذلك على أحسن الفروض ايضاً . ولكنه سيظل معرضاً
للعثرات والنكسات ما لم تتنازل الدول العربية كما قلنا عن سيادتها في هذه
الشؤون ، وتوضع في عهدة جهاز اتحادي قادر على التنفيذ والتجاوز عن الاعترافات
والأسباب المتنوعة التي تنشأ عنها العثرات والنكسات . وأمامنا جامعة الدول
العربية التي سجلت مئات القرارات والاتفاقات الإجماعية في مختلف الشؤون
العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية ثم بقيت حبراً على ورق لأن التنفيذ
ظل في يد الدول التي تحتفظ بسيادتها على هذه الشؤون ، ولم تنفذ الدول ما وافقت
عليه لاعتبارات اقليمية وسياسية بل وشخصية . ونخص بالذكر معاهدة الدفاع
المشترك والتعاون الاقتصادي التي جاءت صيغتها مستوفاة . بل وأمامنا من قريب
مؤتمرات القمة التي تقررت فيها قرارات مهمة مثل انشاء القيادة الموحدة، وهيئة
تحويل الروافد، ومنظمة التحرير، والتجنيد الاجباري، واستكمال التسليح، والوقوف

من الدول الاجنبية حسب مواقفها من قضايا عامة وقضية فلسطين خاصة . فقد
تعثرت بعضها وجمد بعضها لنفس الأسباب ، وليس لهذا علاج غير خطة اتحادية
دستورية مثل الخطة المقترحة . ولا سيما أن التحدي - الذي تواجهه الأمة العربية
ويظل يستنفد قواها وجهودها ويكون لها همماً مقيماً مقعداً - لن يقف حتى ولو
تحقق سلباً المطلب العاجل ؛ وهو انسحاب القوات الاسرائيلية الى ما وراء خطوط
الهدنة ، مادامت جرثومة الشر باقية في أرضنا والاستعمار يحاول عبرها بسط هيمنته
على بلادنا واستغلال ثرواتها . وما دمنا نتطلع الى تحقيق اهداف امتنا في الحرية
والكرامة والعزة والوحدة الشاملة والتكامل والإزدهار . لأن كل هذا يفرض
علينا ان نستمع في الاستعداد للحركة والتضامن فيها حتى نقنع جرثومة الشر
ونقضي على آمال الاستعمار ونحقق اهداف أمتنا طال الزمن وعظمت
التضحيات . وهذه هي الخطوط الدستورية المقترحة :

اولاً - اختصاصات الوزارة :

يختص اتحاد الدول العربية بالشؤون الآتية :

أ - شؤون الدفاع والحرب والصلح :

وتكون جميع القوات الحربية في الدول العربية - موحدة نظماً وادارة
وتابعة لقيادة واحدة ووزارة دفاع اتحادية فقط .

ب - الشؤون الخارجية :

ويشمل ذلك التمثيل الخارجي والسياسة الخارجية والمعاهدات^(١)

(١) من الممكن مع ذلك ان تحتفظ الدول المتحددة بوزارات خارجيتها الخاصة
لضمان بقاء تمثيلها في المجالس الدولية على نحو ما في بعض جمهوريات الاتحاد السوفياتي مثل
اوكرانيا وروسيا البيضاء من غير أن يكون هناك تمثيل خارجي متعدد وعمل خارجي متعدد .

الخارجية ويكون هناك وزارة خارجية اتحادية واحدة .

ت - الشؤون الاقتصادية في النطاق التالي :

١ - وحدة جمركية نظماً وإدارة وجباية

٢ - وحدة نقد وإدارة

٣ - تنظيم وتوجيه السياسة الاقتصادية الخارجية

٤ - الطوابع المالية (التمغة) نظماً وإدارة وجباية

٥ - الاستقرار الداخلي والخارجي

٦ - وحدة سوق عربية مشتركة .

وتقسم هذه الاختصاصات بين وزارتين اتحاديتين أولاًها الوزارة المالية

وثانيهما الوزارة الاقتصادية .

ث - شؤون المواصلات :

ويكون البرق والهاتف والبريد والطيران المدني والملاحة المدنية والخطوط

الحديدية والموانئ والمطارات موحدة النظم والإدارة والجبابة . وتشرف على هذه

الشؤون وزارة اتحادية باسم وزارة المواصلات ويدخل في اختصاصها مشاريع

الطرق والعمارة المشتركة بين دولتين أو أكثر .

ج - الشؤون الثقافية :

في نطاق وحدة النظم والمناهج والخطط الثقافية العامة توكيلاً لتوطيد الانسجام

القومي والفكري والأدبي والاجتماعي العام وتشرف على هذه الشؤون وزارة

ثقافية اتحادية .

ح - التشريع المدني والجزائي والاجتماعي والعالمي :

ويشرف على ذلك وزارة تشريع اتحادية .

ثانياً - المواطن العربي في الاتحاد :

أ - يكون لرعايا الدول المتحدة جنسية اتحادية تخولهم حق التنقل والاقامة والنشاط والعمل في أية دولة من دول الاتحاد، وحق الاستيراد والتصدير على قدم المساواة مع ابناء تلك الدولة دون أن يتقيدوا إلا بما تضعه السلطات الاتحادية من قوانين وقيود على ذلك .

ب - يكون لرعايا كل دولة جنسية خاصة أيضاً تخولهم حق ممارسة الحقوق الانتخابية والمدنية في دولهم .

ت - يبصر لمن أراد من رعايا أية دولة من الدول المتحدة ان يبدل بجنسيته الدولة التي يقيم ويعمل فيها اذا مر عليه فيها مقيماً وعاملاً ستان . وحينئذ يستطيع ان يارس الحقوق الانتخابية في الدولة التي تجنس بجنسيتها وينقطع حقه في ذلك في دولته الأولى .

ث - كل من اقترف جرماً مهما كان نوعه وفر الى دولة اخرى، يسلم الى سلطات الدولة التي اقترف جرمه فيها حينما تقدم هذه السلطات ملف قضيته مؤيداً بقرار الادانة من قاضي التحقيق . على أن يكون له حق استئناف قرار التسليم امام محكمة الاستئناف في الدولة التي هو فيها . ويكون تسليمه رهناً بقرارها . وكل من حكم عليه في قضية مدنية، واكتسب الحكم الدرجة القطعية وفر الى دولة اخرى، او هرب اليها أمواله ، او كان يقيم فيها، تنفذ سلطات هذه الدولة الحكم حينما تقدم سلطات الدولة التي صدر فيها ملف قضيته مؤيداً بالحكم القطعي . أما الجريمة التي يقترفها أحد رعايا دولة في أرض دولة أخرى أو الحقوق المدنية التي تستحق عليه فيها ، ففضاء الدولة التي هو فيها هو المرجع لذلك .

ج - يضمن الاتحاد لجميع المواطنين في الدول الأعضاء الحريات والحقوق

الشخصية التي تنص عليها شريعة حقوق الإنسان العالمية او التي جرى العرف عليها وأقرتها دساتير العالم .

ج - يضمن الاتحاد لجميع الأديان والمذاهب في الدول المتحدة تقاليدھا الخاصة على ان لا يتنافى ذلك مع الوحدة القومية ومصاحة الدول المتحدة والامن والدوق العام .

ثالثاً - المنظمات الرمخارجية :

١ - يقوم على شؤون الاتحاد مجلس تنفيذي ومجلس تشريعي ومحاكمة عدل عليا وقيادة عامة .

٢ - المجلس التنفيذي :

أ - يتألف هذا المجلس من رئيس ووزراء للخارجية والمالية والدفاع والمواصلات والثقافة والتشريع العام والجنسية والعمل .

ب - رئيس المجلس هو رئيس الاتحاد أيضاً . ومدة رئاسته سنتان . ومهمته تمثيل الدول المتحدة ، وقبول سفراء الدول الأجنبية ، وإيقاد السفراء والبعثات السياسية ، وإبرام المعاهدات والاتفاقات والقوانين الاتحادية ، وإعلان نفاذها ، وإدارة جلسات المجلس ، وما يمكن ان تنص عليه لائحة المجلس التي يضعها المجلس ويوافق عليها المجلس التشريعي من شؤون أخرى . وتتناوب الدول المتحدة الرئاسة حسب الحروف الهجائية العربية . ويختار المجلس التشريعي بأكثرية عدد اعضائه الرئيس من بين ثلاثة مرشحين ترشحهم الدولة صاحبة الدور . واذا مات أو استقال أو أدين أو عزل يتم مدته رئيس يختاره كذلك المجلس التشريعي من بين ثلاثة مرشحين من الدولة صاحبة الدور .

واذا وقع هذا في عطلة المجلس التشريعي الاتحادي وجب اجتماعه اجتماعاً

خارقاً خلال اسبوع واحد لملء الفراغ . أما اذا تغيب الرئيس مؤقتاً لمرض أو سفر أو سبب آخر فيقوم مقامه رئيس المجلس التشريعي . ويقوم هذا مقام الرئيس أيضاً في الحالة الأولى ، الى أن يجتمع المجلس التشريعي ويختار خلفاً له .

ت - وزراء الاتحاد ينتخبون من قبل المجلس التشريعي بأكثرية عدد أعضائه من بين مرشحين ترشح كل دولة واحداً منهم لكل وزارة . وليس لهم مدة . واذا استقال وزير أو مات أو أدين وعزل فينتخب المجلس التشريعي آخر مكانه من بين مرشحين ترشح كل دولة واحداً منهم . ويجوز ان يكون مرشحو الدول أو بعضهم من غير رعاياها .

ويصرف كل وزير شؤون وزارته وفق لائحة داخلية يصنعها المجلس التنفيذي ووفق القوانين النافذة . أما مشاريع القوانين والاتفاقيات والمعاهدات السياسية والاقتصادية والعسكرية فالنظر فيها عائد الى المجلس التنفيذي وتنفذ قراراته وفقاً لما تص عليه اللائحة الداخلية ، والمجلس متضامن في المسؤولية في السياسة العامة وكل وزير مسؤول عن اعمال وزارته الخاصة .

٣ - المجلس التشريعي الاتحادي:

١ - يتألف المجلس التشريعي الاتحادي من أعضاء منتخبين من قبل مجلس الامة القائم في كل دولة أو مايقوم مقامه حسب نظام الدول بنسبة عضو واحد عن كل نصف مليون من أهلها أو كسوره اذا كان الكسر لايقبل عن ربع مليون على أن لايقبل عدد أعضاء كل دولة عن اثنين ولايزيد عن اربعين ، ومن أعضاء مختارين من قبل مجلس وزراء كل دولة بنسبة عضو واحد عن كل مليونين من أهلها وكسوره اذا كان الكسر مليوناً على الأقل على ان تمثل

الدول التي لا تبلغ المليونين بعضو واحد على كل حال وعلى أن لا يزيد عدد هؤلاء الأعضاء من أي دولة عن عشرة (١).

ب - مدة المجلس أربع سنين ويعقد دورتين في كل سنة : واحدة في أول تشرين الأول (اكتوبر) وثانية في أول آذار (مارس) . وتستمر كل دورة شهرين . ويتولى تشريع جميع الشؤون الاتحادية بما فيها الموازنة .

ت - المجلس التنفيذي هو الذي يقدم المشاريع للمجلس التشريعي . ولرابع اعضاء هذا المجلس ان يقدموا ما يرونه من المشاريع ايضاً .

ث - يتخذ المجلس التشريعي قراره بأكثرية العدديّة عدا قرارات إعلان الحرب ومعاهدات الصلح والاتفاقيات الاقتصادية التي لا تزيد مدتها عن خمس سنين . فان ذلك يتم بأكثرية ثلاثة اخماس اعضاءه . ويستثنى الدخول الاضطراري في حالة الحرب نتيجة لعدوان مسلح على احدى الدول المتحدّة حيث يكون ذلك بقرار من المجلس التنفيذي على أن يعرض الأمر على المجلس التشريعي .

ج - تنفذ القوانين والقرارات التي تتقرر في المجلس التشريعي بعد ابرامها من رئيس الاتحاد الذي يجب عليه أن يعيدها باعتراض مدلل في خلال اسبوعين اذا لم يبر ابرامها . فاذا اصرّ المجلس وجب اعلانها وتنفيذها .

ح - المجلس التشريعي حق سؤال المجلس التنفيذي بما فيه الرئيس والوزراء بانفراد عن كل شأن من شؤون الاتحاد . وله حق ادانتهم بالتقصير

(١) القصد من جعل مجلس الوزراء بمتار الفئمة الثانية من الأعضاء خان الكفاءة والخبرة . وبعض الدول الاتحادية تسير على طريقة مجلسين بدلاً من مجلس واحد يسمى احدهما مجلس الامة أو الشعب وثانيها مجلس الدول أو الاقاليم . ونحن فضلنا المجلس الواحد تقديراً للاشكال . والاسلوب الذي رسمناه جامع للمجلسين كما هو ظاهر .

والإهمال ومخالفة الدستور والقوانين أو الحيانة، بأكثرية ثلاثة أخماس أعضائه .
وحيث تنظر محكمة العدل الاتحادية في الأمر وتصدر قرارها . وإذا كان قرارها
إيجابياً في تهمة التقصير والإهمال ومخالفة الدستور والقوانين فإنه يعني العزل .
وإذا كان قرارها إيجابياً في تهمة الحيانة فتحيله إلى محكمة جنابات الدولة العليا في
مركز الاتحاد . ولها أن تحيله إلى هذه المحكمة إذا ترتب على الإهمال والتقصير
والمخالفة خسارة مادية لحزب الاتحاد .

خ - يجوز للمجلس التنفيذي أن يدعو المجلس التشريعي لاجتماع فوق
العادة إذا اقتضت ذلك المصلحة والظروف . ولرابع أعضاء المجلس التشريعي
طلب ذلك ، ومثل هذا الحق لسولتين من الدول المتحدة . واجتماعات هذا المجلس
الخاصة تتم بدعوة من المجلس التنفيذي . وطلب دعوته يقدم إلى هذا المجلس
وعليه تنفيذه .

٤ - محكمة العدل الاتحادية :

أ - تتألف هذه المحكمة من عضو لكل دولة يقل عدد سكانها عن
خمسة ملايين وعضوين لكل دولة يزيد سكانها عن هذا العدد .

ب - يختار أعضاؤها من قبل المجلس التشريعي الاتحادي بأكثرية
العددية من بين مرشحين بقدر ثلاثة أضعاف ترشحهم الدول حسب استحقاقها
المذكور آنفاً . ويشترط أن يكون المرشحون من رعايا الدولة المرشحة .

ت - ينتخب المجلس التشريعي ورئيس المحكمة أيضاً من بين مرشحين
ترشح كل دولة واحداً .

ث - إذا شغل مكان في المحكمة يملأ بنفس الطريقة .

ج - رئيس واعضاء المحكمة لا يعزلون، ويعزلون الخدمة بالاستقالة أو ببلوغ سن السبعين .

ح - مهمة محكمة العدل : ١ - حل الخلافات التي تقوم بين الدول المتحدة في مختلف الشؤون التي لا يمكن حلها بالمحادثات الثنائية . وبطلب من احدى الدول المختلفة مع غيرها، أو من رئيس الاتحاد .

٢ - النظر في قرارات اداية رئيس المجلس التنفيذي والوزراء الصادرة من المجلس التشريعي واصدار قرار فيها بعد منح المدان فرصة الدفاع .

٣ - النظر في دستورية أي تشريع او قانون او نظام او امر او قرار صادر من المجلس التشريعي او المجلس التنفيذي واصدار قرار في ذلك اذا طلبته احدى الدول المتحدة .

٤ - النظر في أي شكوى يتقدم بها أحد رعايا الدول المتحدة في حالة وقوع ضرر وبغي عليه من حكومته الخاصة أو من الحكومة الاتحادية، ويكون فيه مخالفة للدستور أو أي تشريع وقانون ونظام وأمر وقرار صادر من المجلس التشريعي أو المجلس التنفيذي، ورفضت حكومة الاتحاد أو حكومته المحلية النظر فيها واصدار قرار فيها .

٥ - النظر في أي خلاف يحدث بين المجلس التنفيذي وحدى الدول المتحدة اذا طلب ذلك المجلس او الدولة ، واصدار قرار فيه .

٦ - تفسير ميثاق الاتحاد ومواد الدستور اذا طلب منها ذلك المجلس التنفيذي أو احدى الدول المتحدة .

خ - دعوة المحكمة واجبة التلبية وقراراتها التي تصدر بالاكثرية ، وترجيح رأي الرئيس في حالة التساوي، واجبة التنفيذ . واذا رفضت الجهة المدانة

تنفيذ القرار فالجلس التنفيذي يقترح على المجلس التشريعي ما يراه في صدق التنفيذ بما في ذلك فرض ما يراه من عقوبات ثم الارغام بالقوة . وينفذ ما يقرره المجلس التشريعي بأكثرية ثلاثة احماسه ، واذا كانت الجهة الراضة للدعوة أو التنفيذ هي المجلس التنفيذي فالمحكمة ترجع الى المجلس التشريعي في أول انعقاد له ، والمجلس يقرر ما يقتضيه الموقف بأكثرية ثلاثة احماسه .

هـ - القيادة العامة :

أ - تنشأ قيادة عسكرية عامة للاشراف على تنظيم وحركة الجيش الاتحادي .
ب - يعين المجلس التنفيذي القائد العام للجيش العربي الاتحادي من بين مرشحين ترشح اثنين منهم كل دولة ولا يشترط أن يكون المرشحون من رعايا الدولة المرشحة . ويكون القائد العام هو الرئيس الطبيعي للقيادة العامة في وقتي السلم والحرب .

ت - المجلس التنفيذي يعين هيئة القيادة العامة من مرشحين يرشحهم القائد العام يكون عددهم ضعف العدد المقضى .

ث - القيادة العامة مرتبطة بوزارة الدفاع الاتحادية من ناحية التموين والتمويل والتنظيم والتجهيز وبالمجلس التنفيذي من ناحية العمل الحربي .

ج - القيادة العامة هي التي تنظم وتحرك القطاعات العسكرية في كل دولة في وقت السلم والحرب على اعتبار انها قطعات جيش واحد وليس للدول اي سلطة عليها .

رابعاً - موارد متنوعة عامة :

١ - للدول المتحدة راية عامة تكون من ثلاثة ألوان أفقية الاخضر فالأبيض فالأسود، ويكون في الابيض نجوم حمراء خماسية بعدد الدول المتحدة .

٢ - ينشأ في مركز كل دولة مكتب اتحادي مرتبط برئيس الاتحاد ليكون واسطة الاتصال والتنسيق بين الادارة الاتحادية والدول التي يكون فيها .

٣ - ينشأ في كل دولة فروع للوزارات الاتحادية تكون تابعة ادارة ونظماً لادارة الشؤون الاتحادية .

٤ - يحظر على حكومات الدول المتحدة ومجالسها التشريعية وضع أي قانون او اتحادي اي قرار يتناقض مع الدستور الاتحادي والقوانين والقرارات الاتحادية . وحيثما يكون تباين بين اي قانون او قرار في دولة من الدول وبين دستور الاتحاد وقوانينه وقراراته فإن هذه هي التي تكون نافذة في الدول المتحدة بما فيها تلك الدولة .

٥ - اذا قدمت ثلاث دول من الدول المتحدة ، او ثلث اعضاء المجلس التشريعي الاتحادي ، طلباً بادخال تعديل ما على الدستور الاتحادي فيجب على هذا المجلس بحث الاقتراح في الدورة التالية للدورة التي قدم فيها الطلب . وما يقره المجلس بأكثرية ثلثيه يصبح دستوراً .

٦ - ما يزيد من ربيع المصالح والمؤسسات الاتحادية بعد نفقات الادارة الاتحادية بما فيها الجيش يوزع على الدول بنسبة ميزانية كل منها . الا اذا قرر المجلس التشريعي بأكثرية ثلاثة أخماسه الاحتفاظ بالزيادة كاحتياطي للاتحاد او تعديل النسبة ازاء بعض الدول بسبب حالتها الخاصة من اليسر والعسر . واذا نقص الربيع عن هذه النفقات يوزع النقص على الدول بنفس النسبة إلا إذا قرر المجلس التشريعي بأكثرية ثلاثة أخماسه تعديل هذه النسبة ازاء بعض الدول بسبب حالتها الخاصة من اليسر او العسر كذلك .

٧ - لكل دولة من الدول المتحدة الاحتفاظ بنظام حكمها ودستورها

وتشكيلاتها ونظمها الراهنة . كما أن لها ان تدخل على ذلك ماتواه من تعديل
وتغيير لا يتناقضان مع الدستور الاتحادي . وتتولى كل دولة الشؤون التي لم تدخل
في اختصاص الاتحاد وصلاحيات منظماته تشريعاً وتفيداً .

٨ - الشؤون الداخلية لكل دولة هي من شأن شعب هذه الدولة .
وليس لأية دولة حق التدخل فيها .

خامساً - الخطوات الإمبرائية نحو افرج الاتحاد الى الوجود :

١ - تجتمع وفود الدول الاربعة في الاتحاد في مؤتمر ، وتتفق على ميثاق-
باسم (ميثاق الدول العربية المتحدة) يوقعه كل وفد منها . وينص الميثاق على :
أ - الموافقة على قيام اتحاد عربي باسم (الدول العربية المتحدة) في
الشؤون السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والمواصلات .
ب - جواز انضمام الدول والكيانات العربية التي قد تتأخر عن الانضمام
الى الميثاق او تنشأ نتيجة للتحرر من الاستعمار .

ت - وضع دستور اتحادي - تحدد فيه المقاصد والحقوق والواجبات
والسلطات التي تشرف على الإدارة الاتحادية واسم العاصمة - من قبل مجلس
تأسيسي يتألف من اعضاء منتخبين من المجالس التشريعية القائمة في كل دولة حسب
نظامها بنسبة عضو واحد عن كل نصف مليون من السكان ؛ على ان لا يقل عدد
مثلي كل دولة عن اثنين ولا يزيد عن اربعين . ثم من خمسة اعضاء من كل دولة
تعينهم حكوماتها ويراعى فيهم الكفاءة والخبرة .

٢ - ابرام الميثاق وفقاً للطريقة الدستورية او اسلوب الحكم القائم في كل
دولة في مدة لا تتجاوز الشهرين .

٣ - انتخاب المجلس التأسيسي خلال مدة لا تتجاوز الشهرين من ابرام

الميثاق . واجتماعه بعد اسبوعين من انتخابه برئاسة اكبر الاعضاء سناً ليختار مكتبه ويضع لائحته الداخلية ويباشر مهمته التي يجب ان ينتهي منها في مدة لا تزيد عن ستة اشهر .

٤ - انشاء امانة عامة للاتحاد للملاحظة تنفيذ الميثاق واتمام خطواته تنتهي مهمتها حينما تقوم الادارة الاتحادية الدستورية .

٥ - حينما ينتهي وضع الدستور تسارع الدول الموقعة على الميثاق الى الموافقة عليه و ايرامه حسب حالتها الدستورية ثم الى تعديل دساتيرها وفقاً له . وبذلك يغدو الاتحاد في حيز التطبيق . وتم تباعاً خطواته لانتخاب المجلس التشريعي الاتحادي ثم المجلس التنفيذي ثم محكمة العدل الاتحادية ثم القيادة العامة الاتحادية وفقاً لنصوص الدستور التي تكون في نطاق الخطوط السابقة .

* * *

هذه خطوط ومبادئ عامة قابلة طبعاً للتعديل والتوسيع والتركيب . وقد روعيت فيها مختلف الاعتبارات القائمة في البلاد العربية والتي لا يمكن تجاوزها في الوقت الحاضر .

وتستطيع كل دولة وفاقاً لها ان تحتفظ باستقلالها الداخلي فيما يتصل بطرق التطبيق وحفظ الامن والنظام ومشاريع العمران والتنظيم والطرق ، والشؤون البلدية والصحية والزراعية والصناعية والتجارية والتعليمية والضرائب المحلية من دخل ارض وعقار ورسوم متنوعة اخرى ، كما تحتفظ بنظام حكمها الراهن ، وتشكيلاتها الداخلية ، وثرواتها المكنوزة في ارضها ، ويكون لها دستورها ومجلس امته ومجلس وزراء يضم وزارات للشؤون المتروكة لها وشرطتها ودر كها الخ .

في حين تغدو الدول العربية متحدة دستورياً واجرائياً عسكرياً وسياسياً
واقصدياً وثقافياً . ولم ندخل الثروات المكنوزة في اراضي الدول المتحدة في
نطاق الاتحاد - مع ان المعقول والمتعارف عليه ان تكون داخلة فيه - لحساسية
المسألة وحرصاً على عدم انكماش الدول التي تعتبر هذه الثروات رأس مال قوي
لها تعول عليه في حياتها الاقتصادية . ونحن نقر ان النطاق المرسوم ضيق ، وتنعني
ان يكون اوسع بحيث يكون الاتحاد من الاسلوب الاول (الدول المتحدة) ،
ولكن حالة الدول العربية الحاضرة اذا اريد جمعها وتجميع طاقاتها لا تحتمل غير
هذا النطاق .

وإذا توقف بعضها عن الاستجابة لهذا النطاق على ضيقه ، فمعنى ذلك انها
تقبل لنفسها وامتها وبلادها ان تظل مهانة مهينة الجناح مبعثرة الطاقة عاجزة عن
مواجهة التحدي والحروج من النكبة بسلامة وعزة ، مستسلمة للواقع الاليم المبين
ولما يمكن ان يقع عليها من واقع أليم مهين جديد . ويكون واجب الدول
الاشد شعوراً بخطورة المواقف والواقع المبين ويوجب رفضه والنضال ضده
وتحقيق اهداف امتنا باقتلاع جرثومة الشر والقضاء على آمال الاستعمار ، وبالحرية
والكرامة والوحدة والازدهار والتكامل ، ان تجمع امرها ويتم الاتحاد فيما بينها
بأوسع نطاق ممكن . ومن حسن الحظ ان ظواهر الاحوال تدل على ان هذا
الفريق يمثل ثلاثة ارباع الامة العربية عدداً وقوة ونشاطاً وطاقته كما انه الاكثر
مواجهة وتعرضاً واستهدافاً للبغي والعدوان والتحدي والتآمر .

اسرائيل واقع استعماري (*)

للكاتب لفرنسي
مكسيم رودنسون

عرض وتلخيص

« المعرفة »

تقدم « المعرفة » الى قرائها رأي واحد من كبار مفكري الغرب ، هو الكاتب الفرنسي مكسيم رودنسون ، بتاريخ الحركة الصهيونية ، وقيام اسرائيل ، التي يعتبرها الكاتب ظاهرة استعمارية .

ان هدف « المعرفة » من تقديم هذا المقال هو اطلاع المثقفين العرب على وجهة نظر مفكر اجنبي ، حاول ان يعرّي اسرائيل والصهيونية بنزاهة رغم كونه يهودياً .

تلعب نظرية الاستعمار اليهودي-الاسرائيلي دوراً رئيسياً في الصراع العقائدي بين العرب و« اليسوف »^(١) اليهود الفلسطينيين الذين أصبحوا فيما بعد دولة اسرائيل .

(*) المرجع : مجلة الأزمنة الحديثة Les Temps Modernes - Le Conflit

Israelo - Arabe N° 253 Bis 1967 pp. 17 - 88

(١) اليسوف : كلمة عبرية تدل على مجموعة سكان فلسطين من اليهود ايام الانتداب البريطاني .

ان تمة « الظاهرة الاستعمارية » هذه يسوقها كافة المثقفين العرب ، من يمينيين ويساريين .. أما في الجانب الإسرائيلي فلا يثور لهذا الاتهام سوى نفر من اليساريين . غير أن هذه الفكرة اكتسبت أهمية خاصة في حقل العلاقات السياسية الدولية وفي الحقل الدبلوماسي إذ من المهم جدا تجاه المنبر الدولي للامم المتحدة وفي العلاقات مع الدول الافرو - آسيوية معرفة ما إذا كانت اسرائيل تصنف في المعسكر الامبريالي ام لا ..

لقد كتب عبد الناصر في « فلسفة الثورة » يقول : « لقد كان الشرق الاوسط يشكل منطقة فريدة في نوعها تألفت ضدها جميع الظروف والعوامل والقوى ... وكان بديهاً أن الامبريالية هي أبرز هذه القوى .. ولم تكن اسرائيل سوى أثر من آثار الامبريالية » .

وقبيل حرب فلسطين كتب أحد أقطاب الشيوعيين العرب يقول (١) : « ليست الحركة الصهيونية سوى استنار عواطف شعب مضطهد ، لصالح بعض الرأسماليين اليهود لمرتبطين بأهداف الامبريالية في الشرق العربي ... لقد باع الصهاينة بوؤس شعبهم مقابل مؤسسة تجارية وقاعدة استعمارية » .

وجاء في مشروع الميثاق الذي أعلنه الرئيس عبد الناصر في ٢١ ايار ١٩٦٢ في المؤتمر الوطني للقوى الشعبية ما نصه : « ان تصمم شعبنا على اثناء العدوان الإسرائيلي القائم على جزء من الوطن الفلسطيني انما يعني ضرورة تصفية احد الجيوب الخطيرة في صراع الامبريالية ضد كفاح الشعوب . وان سياستنا الرامية الى مكافحة التسلل الإسرائيلي في افريقيا ليست سوى جهد للحد من انتشار سرطان امبريالي قاتل » .

اما الإسرائيليون فيحاولون دحض تمة الامبريالية عن دولتهم فيؤكدون بأن قيامها كان ثمرة كفاح طويل ضد الاستعمار البريطاني .

وأما اليمينيون الإسرائيليون فان تمة الامبريالية لا تسوؤم الا بمقدار ما لدى الجماعات والافراد من حساسية ازاء انتشار العقيدة المعادية للاستعمار في العالم .

ما الذي يجعل اسرائيل واقفاً استعمارياً ؟

كل هذا النقاش الممنوم الذي يخوضه الصهيونيون وأنصار اسرائيل حول الصورة التي يكونها العرب وعدد من الماركسيين عن اسرائيل مستوحى في الواقع من صورة راسخة مطبوعة في الاذهان وذات قوة سيكولوجية كبرى . انها صورة الرجل الحاضع

(١) رثيف الحوري، «القضية الفلسطينية» مجلة الطريق ، بيروت ٣١ آذار ١٩٤٦ -

الاستعمار ، الجساع ، ذي الاسهل البالية ، الذي يملأ الرعب عينيه ، الغارق في الخوف والبرؤس ، الباحث بقلق عن لقمة غذاء... وصورة المستعمر ، الرجل الفظ ، المدني او العسكري ، الذي يتنزه بجيلاء في عربة يشدها الزوج المنهكون ، ويذهب نصف سكران ليعتدي على الرنجيات الصغار .

كيف يمكن أن تقارن بين الصورة الاولى وبين عرب اسرائيل الذين تصورم لنا منشورات الدعاية الحكومية وم يلقون بأوراقهم في صناديق الاقتراع الديمقراطية أو يشتركون بكل جدي اجتماع لاحد المجالس البلدية ??? وكيف يمكن ان تقارن بين الصورة الثانية وبين قاطن المستعمرات اليهودية ، ذي الوجه البريء الذي يشع بالمثل العليا والذي يعمل يديه في الارض التي كانت ارض سلبان واسحق ويسوع ، بعد ان تجاوز اجداده الذين اذلتهم حواجز التمييز العنصري ??

غير أن هذه المقارنات ، مها كانت صلتها بالحقيقة ، لا يمكن أن تؤخذ مأخذ الجد . ولا بد من أن ننظر الى الموضوع نظرة أكثر جدية .. طبعاً لا يمكن أن نذهب مع الاسرائيليين اليساريين في تصور الاستعمار وكأنه كائن عاقل أو كيان معروف محدد بينما ويساراً ، في الاعلى وفي الاسفل ، ويضع لتعريف واضح لا لبس فيه وكأنه نبات أو حيوان . ليس هناك استعمار قائم بذاته أو امبريالية قائمة بذاتها . هنالك سلسلة من الظواهر الاجتماعية ذات نقاط تشابه عديدة ، وفوارق عديدة ، جرى العرف على وصفها بالاستعمار أو بالامبريالية .

ومن جهة أخرى فان الصهيونية هي حركة عقائدية واسعة الشمول ذات تاريخ يعتبر الآن قديماً وله مبشروه الاوائل . ولقد كانت الصهيونية دائماً ذات اشكل واتجاهات مختلفة كما يدل على ذلك تاريخها المضطرب والصاحب وما حفل به من انقسامات وهزات وصراعات عنيفة ، على أن هنالك خصائص مميزة يمكن استنتاجها من خلال الافكار المتصارعة ومن خلال الدوافع التي حدثت بمجاهير اليهود الى اعتناق هذه الافكار أو تلك . فما لاشك فيه أن أم هذه الدوافع لدى الجماهير اليهودية الاضطهاد الذي كانت تلقاه في روسيا القيصرية وفي أوروبا الشرقية عامة . غير ان تمرد هؤلاء اليهود وثورتهم على الاضطهاد جعلهم ينقادون في سبيل تختلف باختلاف الجماعات والافراد واوضاعهم وتاريخ كل فئة على حدة . فاختر بعض اليهود - المندجين بالمجتمع الذي كانوا يعيشون فيه - النضال السياسي والثوري احياناً مع بقية المواطنين في البلد الذي ارادوه وطناً لهم . وانصرف فريق آخر الى نضال مشابه ولكن عن طريق تكتلات يهودية ، واختار

آخرون التبرؤ من كل صلة بالشعب والبلد والدولة التي يعيشون فيها ليضعوا آمالهم في وطن آخر ، وطن يهودي صرف . أما تحديد موقع هذا الوطن فلم يكن موضع اهتمام خاص بالنسبة لهؤلاء . بل ان احد اليهود الفرنسيين قام في سنة ١٩٠٤ بتحقيق في برديتشف بأوكرانيا فوجد ان اليهود المحليين ما كانوا ليعبأوا بمعرفة ما اذا كان هو وصحبه صهيونيين وانما كانوا يسألون اولا عما اذا كانوا مندوبين للوكالة اليهودية التي كانت تنشئ مستعمرات زراعية يهودية في كل مكان وخاصة في امريكا . وقال هذا الفرنسي في كتابه : « الواقع ان فلسطين لم تكن لهمم بقدر ما كانت همهم الهجرة مجد ذاتها » (١) .

أما الذين كانوا يمسكون بأهداب ديانة الآباء والاجداد فان تجديد الوطن اليهودي لم يكن ليحتمل في نظرم أي شك ، فكل التقاليد اليهودية التي توارثوها من جيل إلى جيل ، وكل الكتب والنصوص المقدسة كانت تحدد فلسطين . بل ان قسما كبيرا ممن كانوا لا يعبأون كثيرا بديانة الاجداد كانوا يحتفظون بتعلقهم بفلسطين على اساس تقليدي تقافي ثابت . حتى الاشتراكيين والماركسيين كانوا يتبنون بشكل طبيعي جدا هذا التحديد الجغرافي ماداموا قد اختاروا فكرة تكتل اليهود في وطن جديد ، وما دام أفضل مكان لهذا الوطن هو ذلك الذي يحدده الدين اليهودي .

ولم يكن في اسباب هذا الاختيار أي توجيه يمكن اعتباره استعماري بالضرورة . ولكن العنصر الذي كان يوحد بين اماني هؤلاء اليهود البسطاء في روسيا - من البائس المتجول إلى صاحب الدكان ومن الصانع اليدوي إلى المثقف - يرتبط بمفهوم الامبريالية بدلالة تفصيلية صغيرة وقليلة الاهمية في ظاهرها ، الا وهي أن فلسطين كانت مسكونة من قبل شعب آخر . ولعل من المفيد والمهم جدا ان نبحث عن الافكار التي كانت جماهير اليهود في أوروبا الشرقية تكونها عن سكان فلسطين الاصليين . الواقع ان هذه الاماني المثالية التي كانت تدغدغ أحلام اليهود الروس فيما يتعلق بفلسطين لم تكن ذات هدف سياسي محدد ، وبالتالي فان اصحابها الذين كانوا يفكرون بتحقيقها في مستقبل بعيد كانوا يجولون المشكاة كل الجبل . كان موقفهم عبارة عن رد فعل للاضطهاد الذي كانوا يلقونه في أوروبا وكان شعارهم كما يقول سيمون دوبنوف : « اننا غرباء في كل مكان . ولابد لنا من العودة لديارنا » . غير ان جماهير المهاجرين الكبرى ما كانت لتجد المكان

(١) يراجع مقال ج ، ديلاهاش « رحلة دراسة » في (دفاتر الخمسة عشر يوما) السلسلة الخامسة ، الدفتر السادس ، كانون الاول ، ١٩٠٤ ص ٩٦ .

الكافي على الطريق الضيق المؤدي الى فلسطين والذي سبقها اليه الزواد التحمسون
للفكرة . فقد كانت هجرة بضع مئات الى فلسطين ، الى جانب هجرة عشرات الألوف
من اليهود الى امريكا تدم في الواقع الاسس التي بنيت عليها الآمال بنقل مركز الشعب
اليهودي الى الوطن التاريخي .

وهكذا كان على اليهود في نطاق التطلعات والاماني اما أن يمتفظوا بعمقيتهم
الدينية تاركين لله ان يحول ذات يوم وبشكل سحري وجود بعض الزواد المبعثرين في
فلسطين الى مملكة الخلاص المنشودة ، واما ان يتركوا المشكلة لمستقبل بعيد وغير محدد ،
أما مشكلة سكان فلسطين فلم تكن لتعلق هؤلاء اليهود الذين اعتنقوا افكارهم على أسس
دينية محضة . ولم يظهر آنذاك سوى بضعة مفكرين ، بينهم العالم النظري « للصهيونية
الروحية » المدعو آشير غينزبرغ الذي لفت النظر الى ان فلسطين لم تكن ارضا خاوية
وان التفكير فيها يطرح مشاكل عديدة .

غير أن هذه التحذيرات كانت تقابل بالامبالاة . . وهي لامبالاة مفهومة
ومعدورة ولكنها تحمل في طياتها بذور المآسي التي يجنبها المستقبل . . وهي تعود الى
تفوق اوربا بما فيها طبقات العمال والأقليات المضطهدة . . فما لاشك فيه انه لو كان وطن
الاجداد (فلسطين) مأهولا من قبل أمم صناعية ذات وعي او شعور قومي قوي ،
لو كانت المشكلة هي ازاحة الفرنسيين أو الالمان او الانكليز وزرع عنصر جديد في
أوطانهم ، لكانت في مقدمة مشاغل الضمير الصهيوني ، حتى لدى اكثر اليهود جملا
ويؤساء . . .

غير ان التفوق الاوروي خلق حتى في نفوس البؤساء فكرة ماأنا ان كل ارض ،
خارج اوربا ، يمكن ان يمتلأها عنصر اوروي . فقد كان ميترنيخ يقول : يمكن فيما وراء
حدود المدينة ، أن ندخل بين الشعوب المتخلفة ، لاضدها ، « مستعمرات » اوروية
لا يمكن الا أن تكون اقطابا للتطور .

وعلى صعيد النظرية الصهيونية قال أحد واضعي فكرة الصهيونية السياسية
ليون بينسكركر ، (١٨٣١ - ١٨٩١) في صده هجرة يهود روسيا ورومانيا الى
فلسطين « ان هدف جهودنا لا ينبغي أن يكون الارض المقدسة ، بل أرضنا نحن . . فنحن
لا نحتاج الا الى ارض واسعة تؤوي اخواننا البؤساء . . ويمكننا الخيار بين رقعة صغيرة
في امريكا الشمالية وبين اقطاع يمنحنا اياه الباب العالي ويضمن لنا حياته بالاشترك مع

الدول الاخرى .. وقد يكون ذلك في فلسطين أو في سورية حسباً تقررته لجنة من الخبراء
فاذا ما اختارت اللجنة امريكا فعلياً ان نسرّع في ذلك « (١) »
ومن هنا يتبين ان ما كان يقلق اليهود ليس هو حق الشعوب التي يبحثون في
مزاجها على أرضها بقدر ما هو اصطدام السلطات السياسية .

بيان هرزل :

وبعد مرور اربعة عشر عاماً على بيان بينسكرك صدر بيان هرزل الشهير الذي
دفع بالحركة الصهيونية وبفكرة الدولة اليهودية الى الامام والذي دل على انه يلتقي مع
بينسكرك في افكاره وان كان لا يعرفه .. وهذا التلاقح بين الرجلين ذو مغزى كبير .. فقد
قال هرزل : « ان هناك بلدين لاقامة الوطن اليهودي : فلسطين او الارجنتين .. وان
الاجتمع اليهودي يقبل ما يعطى له ، آخذاً بعين الاعتبار مشاعر الرأي العام اليهودي حول
الموضوع .. وان الارجنتين من اغنى بلاد العالم ، ومن مصلحتها ان تتنازل لنا عن قطعة
من ارضها .. وأما فلسطين فهي وطننا التاريخي الذي لا ننساها وان مجرد ذكرها يعتبر
صيحة ذات أثر قوي في انضمام شعبنا الى حركتنا » (٢) »

وهكذا يبدو أن هرزل ، شأنه شأن بينسكرك ، كان يتم بموقف الحكومات
الاوربية فقط .. اما رأي الشعوب المعنية فلم يكن يرى فيه سوى مجموعة من المعارضات
التي ينبغي ازالتها او مقاومتها . فتطلعاته ، وأهداف المنظمة التي كونها ، تدخل ضمن اطار
حركة التوسع الاوربية الكبرى التي عرفها القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين .
في صورة موجة استعمارية اوربية عارمة . وكان « الاستعمار » في ذلك الوقت يعني
نشر التقدم والمدنية والرفاه .

كان العالم آنذاك واقعاً تحت سيطرة الدول الاستعمارية الاوربية الكبرى ، وكان
لابد لكل حركة تهدف الى احداث تغيير سياسي من الحصول على موافقة هذه الدول .
وتأييدها . كذلك كان لابد لهذه الحركة ، ان تقدم فوائد لهذه الدول وان تقدم مخططاتها .
وفي نفس تلك الفترة تقريباً كان جمال الدين الافغاني (ابو القومية الاسلامية) يضي حياته

(١) يراجع كتاب ليون بينسكرك « التحرير الذاتي » طبعة القاهرة ١٩٤٤ -
ترجمة شولزنجر (سلسلة الكتابات اليهودية) صفحة ٦٩ .

(٢) تيودور هرزل (الدولة اليهودية) ، مترجم الى الفرنسية ، مطبوع في باريس .
منشورات ليشوتز ١٩١٦ صفحة ٩٢ - ٩٥

مثل هرزل ، في جنس نبض الدول التي يمكن ان تساعد مخططاته ويحاول استخدام أهداف الواحدة ضد الاخرى .

كان هرزل يخالف من سبقوه من رواد الصهيونية الاوائل الذين كانوا يفضلون تشجيع الهجرة تدريجياً . فهو يرى ان قيام الدولة اليهودية ينبغي ان يتم بحماية الدول الاوروبية بعد تشجيع الدول صاحبة الشأن واغرائها بالفوائد التي تجنيها من قيام الدولة اليهودية فاذا ماتم اختيار فلسطين فان هرزل يقول : « اذا ما قبل حلاة السلطان باعطائنا فلسطين فان بوسعنا ان نتكفل بجميع الامور المالية لتركيا . أما بالنسبة لاوروبا فسوف تكون هناك - في فلسطين - جزءاً من قلعة ضد آسيا ومخفراً أمامها للمدنية ضد الهمجية . سوف نبقى كدولة حيادية ذات علاقات دائمة مع اوربا التي تكفل لنا وجودنا » .

وهكذا يصعب أن نجد سبيلاً أوضح من هذا لوضع الصهيونية ضمن اطار السياسات الاستعمارية الاوروبية . وكان هذا هو السبيل الذي تبناه مؤتمر بال الصهيوني عام ١٨٩٧ الذي حدد هدف الصهيونية بأنه « خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمه القانون العام » وكانت عبارة « القانون العام » مثار جدال طويل في المؤتمر ولكنها في ذهن واضعها كانت تعني الحصول على استقلال ذاتي لفلسطين اليهودية تحت سيادة السلطان وبضمانه الدول الاوروبية شأنها شأن لبنان المسيحي .

لم تكن فكرة الدولة اليهودية المستقلة لترد بوضوح آنذاك على لسان الصهيونيين ، ولكنهم كانوا يعتبرون ان الدول الخاضعة لامبراطورية العثمانية كانت تحصل على استقلالها الواحدة بعد الاخرى فليس هنالك ما يمنع من حصول دولة اليهود على استقلالها .

ومن هذا الهدف كانت تتفرع النقطة الرابع لبرنامج بال والتي هي : تطوير المستعمرات الزراعية واليدوية في فلسطين ، بذل الجهود لتنظيم اليهود المشتتين ، تنظيم الجهود لتدعيم « الشعور القومي » لدى هؤلاء ، واخيراً بذل المساعي الاولى للوصول الى الاتفاقات الحكومية اللازمة .

وكان السعي للحصول على تأييد الدول الاوروبية الضروري تبلي وبمعد السياسة الصهيونية نحو هذه الدول : فاما اللعب على الخصومات القائمة بينها واما الضغط عليها عن طريق الناخبين اليهود واما اللعب بورقة عداة هذه الدول للسامية ورغبها بالتخلص من سكانها اليهود .. وكشال على هذه الوسيلة الاخيرة نذكر الاتفاق الذي تم بين هرزل وبوليف وزير داخلية القيصر (١٩٠٣) والمسؤول الاول عن اضطهاد اليهود في روسيا ، هذا الاتفاق الذي خلق تقليداً سياسياً جعل التلاقي والترابط بين المخطط الصهيوني ومخطط أعداء السامية امراً حتمياً .

أجل ان كل مشروع سياسي تحريفي كان لابد له أن يتبع سياسة من هذا النوع .
غير ان القومية اليهودية الصهيونية كانت تمتاز عن بقية الحركات ، لأنها كانت تعتمد على دعائم
قوية بين مواطني الدول الاستعمارية المعنية ، ولأن صفة الصهيونيين الاوروبية كانت تسمح
لهم بأن يقدموا مشروعهم كحركة ترتبط بنفس حركة التوسع الاوروبية التي كانت كل
دولة تقوم بها لحسابها . ومن هنا تتضح لنا طبيعة البيانات العديدة التي صدرت عن اهتمام
اوروبا واهتمام الحضارة بتأييد الحركة الصهيونية .. كان ذلك طبيعياً جداً في ذلك العصر
وليس لنا أن نطبق على قادة الصهيونية او جماهيرها في ذلك الوقت المبادئ التي اصبحت
رائجة اليوم . ولكن ليس لنا الحق ، كذلك ، في أن ننكر واقع موقفهم ونعمل الآثار
الموضوعية لهذا الموقف .

وعد بلفور :

وسط هذه الظروف قدم المشروع الصهيوني . ووسط هذه الظروف بلغ غايته .
فقد كان تحقيقه مرتبطاً بصك سياسي بريطاني هو بيان اللورد بلفور بتاريخ ٢/١١/١٩١٧
الذي ابلغ اللورد روتشيلد بأن « حكومة جلالتك تنظر برضى الى انشاء وطن قومي في
فلسطين للشعب اليهودي » .

ان البحث في الدوافع الحقيقية التي حدثت بحكومة بريطانيا واثرت كل من هذه
الدوافع امر معقد ويصعب حله بشكل دقيق ، ولكن يمكننا ان نتبين خطوطه العريضة .
لنستبعد مبدئياً النظريات القائلة بأن بيان بلفور كان مكافأة للجهود المزعومة التي
قام بها يهود امريكا لحمل هذه الاخيرة على دخول الحرب . ولنستبعد كذلك ما يقال بأن
السبب هو المبالغ الكبيرة التي جمعها اليهود البريطانيون بصفة سندات تبرع للحرب .
كذلك ايضاً نرفض ما قيل بأن البيان البريطاني كان مكافأة لحاييم وايزمن لاختراعه نوعاً
من المتفجرات القوية .. كما اننا لا يمكن ان نقبل بنظرية وايزمن التي تقول ان بيان
بلفور كان « عملاً فريداً املاه الضمير العالمي » ... فلا يمكن لحكومة دولة تتحوز حرباً
صعبة ان تتخذ قرارها مدفوعاً بعواطف من هذا القبيل .. وقد كان وايزمن يعرف
الصعوبات والمعارضة التي تلقاها مساعيه من قبل بعض الوزراء البريطانيين ولا سيما منهم
اليهودي المناوئ للصهيونية المدعو ادوين مونتيفو ، ولذلك بعث الى الحكومة البريطانية
بمذكرة قال فيها : « اننا ان تقدم قرارنا تعهد بمصيرنا القومي والصهيوني الى الخارجية
البريطانية والى حكومة الحرب الامبراطورية آملين ان يدرس الموضوع على ضوء
المصالح الامبراطورية والمبادئ التي يدافع عنها الحلف » .

ان الدوافع الكبرى لبيان بلفور تكمن في الاثر الدعائي الذي يحدثه البيان بين
يهود الامبراطوريات الاوربية وروسيا، والامل في الحصول على شئناة لتصفية الامبراطورية
العثمانية في المستقبل . فلقد ساء يهود المانيا والنمسا والمجر في الحرب لاعتقادهم بأن الحرب
هي ضد روسيا القيصرية التي تضطهد اليهود . وكان الالمانيون يعلنون في الاراضي الروسية
التي احتلوها اسم جاموا يجمون وينقدون اليهود من اضطهاد موسكو . هذا في حين
كانت الثورة الروسية تشجع النزعات الانزامية وكانوا ينسبون لليهود دوراً هاماً
في حركة الثورة الروسية . فكان لابد اذن للحلفاء من أن يقدموا لليهود أسباباً تجعلهم
يؤيدون موقف الحلفاء . ومن هنا فليس من قبيل المصادفة أن يسبق بيان بلفور بمخسة
أيام فقط تاريخ قيام الثورة الروسية في ٧ نوفمبر (٢٥ اكتوبر حسب التقويم الروسي) .
فلقد كان أحد أهداف بيان بلفور دعم حكومة كيرنسكي .

وكان من الدوافع الرئيسية أيضاً لاصدار بيان بلفور وزن يهود امريكا والعمل
على استخدام هذا الوزن في وقت كان اليهود الامريكيون ينزعون فيه نحو السلم والابتعاد
عن الحرب .

كذلك كان لابد من قطع الطريق على الصهيونيين الالماني والنمساويين الذين كانوا
يفاضون حكوماتهم للحصول من حكومة تركيا على بيان من نوع « بيان بلفور » .
أما بالنسبة لفلسطين ، ففي الوقت الذي حصلت بريطانيا على موافقة الشريف
حسين على الثورة ضد الاتراك مقابل انشاء مملكة عربية كبرى ، وفي الوقت الذي كان
اتفاق سايكس - بيكو السري يقسم مناطق النفوذ بين انكلترا وفرنسا في المنطقة ،
وفي الوقت الذي كانت فرنسا تسعى مع اللبنانيين لانشاء دولة سورية الكبرى التي تشمل
فلسطين وتبقى تحت النفوذ الفرنسي ، كان وايزمن لايري بأساً في أن تكون لبريطانيا
مسؤولية خاصة في فلسطين ويطلب منها ان تكون فلسطين تحت انتدابها كي يكون
لصهيونية أساس قوي في المطالب التي تتقدم بها بعد الحرب وعند تقاسم الغنيمة .

وما كان لبيان بلفور أن يحظى بإمكانات التطبيق ، لولا النجاح العسكري الذي
احرزته بريطانيا بمساعدة فرنسا وأمريكا والذي أدى الى انتصار الحلفاء على الامبراطورية
العثمانية في فلسطين وسورية . ولكن القضية العربية التي كان الصهيونيون قد اهتموا أهميتها
من قبل ، طرحت بشكل جدي . وفيجأة أصبح العرب عنصراً هاماً في اللعبة السياسية .
لقد كان يمكن للمشروع الصهيوني أن يتحقق قبل بضع عشرات من السنين عن
طريق الاتصالات بين الصهيونيين والدول الاوربية الاستعمارية ، ولكن لسوء حظهم
فان موعد تنفيذ المشروع جاء في وقت أخذت فيه قوميات الدول الاسلامية تظهر وتتمحو .

وكان الصهيونيون قد وجدوا كثيراً من التردد والمقاومة من قبل السلطان عبد الحميد وحاشيته المتعصبة ، إذ خشي السلطان ان يتسرب الى الامبراطورية عنصر قومي جديد ينتهي بالمطالبة بالاستقلال ، كما حصل في اليونان وبلغاريا ورومانيا والصرب ، الامر الذي حدا به الى رفض العروض المغرية التي قدمها اليه هرزل .

وانه ليجدر بنا أن ننوه بالدراسة القيمة الحديثة التي قام بها نيفيل مانديل والميمنة على اوثق المصادر والتي بثت فيها بأن المقاومة العربية في فلسطين ضد الحركة الصهيونية بدأت منذ بداية الهجرة اليهودية وقبل الحرب العالمية الاولى ، (١) كما يشير الى المعارضة العربية التي تجسدت خلال الحكم العثماني في مساعي المندوبين العرب لدى البرلمان وضد حزب الاتحاد والترقي الذي كان يضم بين صفوفه اليهود الدوثة والذي كان يساوم الحركة الصهيونية على تسهيل الهجرة الى فلسطين مقابل بعض التسهيلات المالية في وقت كانت الامبراطورية العثمانية فيه تشكو ضائقة شديدة .

الواقع أن الصهيونيين ما كانوا ليناؤوا بردود الفعل العربية ، وهنا يظهر العنصر الاستعماري الاشعوري في مساعيهم . فقد كتب مانديل يقول : « لقد جاء المهاجرون اليهود الى فلسطين وهم يظنون أننا بلاد تعيسة يقطنها قلة من الناس .. كان اهتمامهم بمشاكلهم الخاصة وجهلهم التام للعرب يمنعهم من فهم ما كان يدور حولهم .. كانوا يوجهون كل اهتمامهم للاتراك باعتبار أن هؤلاء هم الذين يحكون فلسطين .. الامر الذي حال دون تقبل العرب لليهود بين ظهرانيمهم » .

وكانت نهاية الحرب العالمية الاولى ، في الوقت الذي اخذت الحركة الوطنية تظهر كعامل من أهم العوامل ، سببا في إيقاف وعي بعض اليهود الصهيونيين لأهمية المشكلة . وكان أن ازداد عدد كبير من اليهود غير الصهيونيين اقتناعاً بهذا العامل الجديد الذي لم يكن ظاهراً وواضحاً من قبل فوجهوا الى اخوانهم تحذيرات ذكية وحكيمة غير أن ذلك لم يغير جذريا موقف القادة الصهيونيين الذين اعتبروا حركة القومية العربية حركة مرتبطة اساساً ببريطانيا وأهلوا القاعدة الجماهيرية الفعلية للقادة العرب الذين وإن كان بعضهم عملاء لبريطانيا الا ان اكثرهم كان يلعب الورقة البريطانية بنفس النوايا الخفية التي كان يحملها القادة الصهيونيون أنفسهم .. واذا أهمل القادة الصهيونيون هذا العامل القوي فقد اثبتوا ان روح مساعيهم كانت خاضعة للنظرة الاستعمارية التي كانت سائدة في اوروا

(١) - يراجع كتاب « الاتراك والعرب والهجرة اليهودية الى فلسطين ١٨٨٢

١٩١٤ » المنشور بالانكليزية في اوكسفورد (الجزء الرابع) سنة ١٩٤٥ صفحة ٧٧ الى ١٠٨ .

آنذاك والتي وان كانت تبرز وتفسر موقفهم هذا ، إلا أنها لابد ان تؤدي الى الكوارث في المستقبل ..

وكان أن بدأت بعد انتهاء الحرب سلسلة من المساومات الصعبة والشعبة بين البريطانيين .
الذين اغدقوا الوعود المتناقضة - والفرنسيين والروس والاتراك والتي انتهت كما هو معروف -
ويضغط من اللجنة التنفيذية الصهيونية - الى وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني بعد
تقاسم السيطرة على دول المنطقة وثمان طريق الهند عبر قناة السويس .

وبدأت بعد ذلك محاولات جزئية للوصول الى اتفاق بين الصهيونيين والعرب ..
وكانت هذه المحاولات تدخل في نطاق السياسة البريطانية من حيث كونها تهدف الى التوفيق
بين الوعود المتناقضة التي بذلت خلال الحرب ، وتهدف من جهة اخرى الى اقامة
سلسلة من الدول العازلة ، تحت النفوذ البريطاني ، تحمي السويس من جهة آسيا ، وتراقب
تركيا الكهالية المتحالفة مع روسيا السوفياتية المقلقة من جهة اخرى ، وتوازن نفوذ
فرنسا الحليفة المزعجة .

بين فيصل وايزمن :

هكذا وبناء على نصيحة الجنرال أللبي ، قائد القوات البريطانية ، اتصل وايزمن
في حزيران ١٩١٨ ، حين كان الاتراك لا يزالون يحتلون فلسطين ، بالامير فيصل قائد
القوات العربية . وتوصل وايزمن و فيصل الى اتفاق تاريخي في باريس حين بدأ مؤتمر السلام .
كان فيصل في وضع صعب إذ كان يواجه عداء فرنسا التي كانت تصر على تطبيق اتفاق
سايكس - بيكو وتنظر بحذر الى اقامة دولة عربية تخضع للنفوذ الانكليزي وتكون
عنصرا فاعلا في اليقظة القومية في المغرب الفرنسي . وكان كمينصو قد تنازل مبدئيا عن
الموصل وفلسطين للانكليز مقابل تعويض . وكان لابد لابرام هذه الاتفاق من أخذ
موافقة جميع الاطراف المعنية بمصير فلسطين . فدفع اصداقاء فيصل من الانكليز - ولا
سيا لورنس - الى الاتفاق مع وايزمن . كان فيصل يود لو يقبل بفكرة التخلي عن
فلسطين لليهود مقابل اقامة دولة عربية مستقلة كبرى . تقدم لها الدولة اليهودية في فلسطين
معمونة فنية ثمينة . وأخذ فيصل يناور وهو يخشى أن ترفض الجماهير العربية ، ولاسيا في
فلسطين ، هذه السياسة . فلقد كان من شأنها أن تقم الى جانب دولة عربية واسعة تضم
عددا من الاقليات العرقية والدينية ، مجموعة جديدة مؤلفة من بضعة آلاف من المعمرين
اليهود ذات مستوى تقني رفيع تدعمها المنظمة الصهيونية بامتيازات عديدة . وكان شعار

« الوطن القومي اليهودي » غامضاً لا يشير شكوك العرب بالنسبة لمائل السيادة في ذلك الوقت. ولشد ما غضب وايزمن حين قام المدوب الفرنسي تارديو، ليعلن رسمياً في شباط ١٩١٩ ان فرنسا لاتعارض في قيام دولة يهودية، وقال « لقد كنا شديدي الحرص من ناحيتنا على الا نستخدم هذه العبارة » .

لقد كان كل من فيصل ووايزمن يرى في الاتفاق وسيلة للحصول من مؤتمر السلام على تكريس رسمي لاهداف كل منها التي هي اقامة مملكة عربية مستقلة - بالنسبة لفيصل - والحصول على اقصى المساعدة الممكنة في تهجير المعمرين اليهود الى فلسطين واقامة ارض يهودية ذات استقلال ذاتي تحت الحماية البريطانية ، بالنسبة لوايزمن .

وكان ان تقرر بعد ذلك الانتداب البريطاني على فلسطين في تموز ١٩٢٢ وانيطت ببريطانيا « مسؤولية تهيئة الظروف السياسية والادارية والاقتصادية التي من شأنها تسهيل اقامة وطن قومي للشعب اليهودي » ، وبذلك صادقت المجموعة الدولية على وعد بلفور .

من كل ذلك نستخلص النتائج الآتية :

١ - ان تحقيق المشروع الصهيوني لم يبدأ الا بسبب اجراء سياسي صدر من بريطانيا تحت ضغط المنظمة الصهيونية .

٢ - ان بريطانيا سعت للحصول على موافقة الدول الكبرى على عملها هذا لأنه يخدم مصالحها في الشرق الأدنى ولأن القادة الصهيونيين اكدوا لها ذلك .

٣ - كانت بريطانيا تعتقد أنه يمكن التوفيق بين مسعاها وبين دعمها للأمرء العرب الغاشمين الذين ساعدوا ، ذلك لأن الصهيونيين سكنوا في ذلك الحين عن ذكر الدولة اليهودية واكتفوا بطلب تسهيل هجرتهم واقامتهم في فلسطين .

٤ - وهكذا فان للعرب كل الحق في أن يعتبروا أن غرس عنصر أجنبي غريب في الارض الفلسطينية قد فرض عليهم من قبل دولة اوروية بسبب اتصاف مجموعة من الدول الاوروية على مجموعة اخرى كانت تضم الامبراطورية العثمانية .

ان اهمية هذه الاستنتاجات تأتي من حيث كون الصهيونيين يمددون موعد بدء قيام الدولة اليهودية بأول موجة هجرة يهودية الى فلسطين بين ١٨٢٢ و ١٩٠٣ أو بما يسونه بحرب الاستقلال عام ١٩٤٨ ليركزوا على رفض العرب لقرار التقسيم وعلى سوء نية بريطانيا وعدائها الواضح الذي كان سبباً في القتال الارهابي الذي شنه الصهاينة قبل عام ١٩٤٨ .

أجل ان دور الهجرة اليهودية الى فلسطين قبل عام ١٩١٤ كان هاماً غير ان وجود ٨٥ الف يهودي لم يلعب سوى دور ثانوي جداً في اصدار بيان بلفور ... ولم يكن التفكير باقامة دولة يهودية مستقلة أمراً ممكناً الا حين اصبح هناك في فلسطين ٥٣٩ الف يهودي (سنة ١٩٤٣) أي ٣١٪ من السكان . وما كان لهذه الهجرة الجماعية أن تتم لولا الحماية البريطانية .. فلو كانت الدولة العربية المستقلة المتحررة من الضغوط الخارجية هامة لا امكن لليهود أن يحققوا هذه الهجرة .. ولهذا كان القادة الصهيونيون أنشاء الانتداب بطالبون بريطانيا بأن تدعم جهاز البوليس وتفتح في الوقت نفسه قيام أية هيئة تمثيلية من شأنها أن تضعف ولو بنسبة قليلة جداً من سلطة المفوض السامي .

من ذلك يثبت أن بريطانيا هي التي خلقت قاعدة تحقيق حلم هرزل ، قاعدة الدولة اليهودية .. غير أنها اخذت بعد الانتداب تزداد حساسية لعداء العرب للمشروع الصهيوني فأصدرت في ١٧ أيار عام ١٩٣٩ كتاباً ايض تعلن فيه معارضتها الصريحة لفكرة قيام دولة يهودية تضم كافة الاراضي الفلسطينية وتفكر بقيام دولة فلسطينية مستقلة خلال عشر سنوات لا يكون فيها لليهود اكثر من ثلث السكان . وعلى هذا اخذت بريطانيا تحدد من الهجرة ومن بيع الاراضي .

ولقد نتج عن ذلك تردي العلاقات بين اليهود وسلطات الانتداب البريطاني ولجوء الصيونييين الى تأليف منظمات ارهابية (شتيرن والارغون) تقوم باغتيالات وعمليات تخريبية ضد بريطانيا للضغط عليها وفتح باب الهجرة والغاء الكتاب الابيض . وفي ١١ أيار عام ١٩٤٢ عقدت الجمعية الصهيونية الامريكية اجتمعاً قررت فيه تبني الخطة التي قدمها بن غوريون رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية والتي سميت «برنامج بيلتيمور» . هذه الخطة تطالب باقامة دولة يهودية على كامل الاراضي الفلسطينية وانشاء جيش يهودي ورفض الكتاب الابيض وفتح باب الهجرة بلا حدود تحت اشراف الوكالة اليهودية . ومرعان مصادقت اللجنة المصغرة للمجلس العام للمنظمة الصهيونية في القدس على برنامج بيلتيمور واعتبرته البرنامج الرسمي للحركة الصهيونية .

كانت النتيجة المنطقية لمشروع قيام الدولة اليهودية وقوع حرب حتمية بين العرب واليهود . ولقد تنبه الى ذلك بعض اليهود العقلاء أمثال مارتن بوبر ، الفيلسوف الشهير ، الذي اخذ على الحركة الصهيونية الرسمية سياستها المبنية اساساً على البحث عن اتفاقات دولية بدلا من السعي الى اتفاقات محلية مع العرب في فلسطين . وقال بوبر ان مشروع بيلتيمور الذي يعترف بأن هدف الصهيونية هو احتلال البلاد عن طريق المناورات الدولية لم يثر غضب العرب فحسب بل جعل جميع الجهود الرامية الى إيجاد تفاهة بين العرب

واليهود جهوداً مشبوهة في نظر العرب تخفي في الواقع النوايا الحقيقية التي اعترف بها الصهونيون رسمياً (١) .

التقسيم والحرب الدولية في فلسطين :

ان الحركة الارهابية وقوة ضغط المنظمة الصهيونية ولا سيما في الولايات المتحدة جعلت البريطانيين يقتنعون بأن من الأفضل أن يرحلوا عن فلسطين ويتركوا اليهود والعرب وجها لوجه . ولقد اقتنعت الدول الكبرى ، بعد مارآته من قوة يهود فلسطين « وحرهم » ضد الانكيز ، بأن التعايش السلمي بينهم وبين العرب أمر خيالي ، فكان أن صوتت الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٤٧ على قرار بتقسيم فلسطين وأعلن البريطانيون أنهم سيسحبون قواتهم في ١٥ أيار ١٩٤٨ ، مع أنها العنصر الوحيد القادر على منع الاصطدام ، وبذلك كان الصدام الدامي أمراً محتماً .

لقد كان قبول التقسيم بالنسبة للجهاير العربية معناه الاستسلام بلا قيد ولا شرط لارادة أوروبا تماماً كما كان ملوك الزنوج أو أقاصي آسيا الصغرى يستسلمون في القرن التاسع عشر أمام المدافع المصوبة نحو قصورهم ، ذلك أن أوروبا اوفدت هؤلاء المعمرين الذين كانوا يهدفون الى الاستيلاء على جزء من تراثهم الوطني . وحين كان بمقدور السكان العرب أن يردوا بسهولة هذه الموجات من المهاجرين ويطردها كانت القوات البريطانية المنتدبة تمنعهم من ذلك وتؤكد لهم في الوقت نفسه أن الامر هو مجرد ابواب عدة من البؤساء الذين سيظلون أقلية ... وما أن أخذت نوايا هذه الجماعات من المهاجرين تظهر وتفتضح حتى تضافر العالم الاوروبي والأمريكي ، ليفرض على العرب قبول الأمر الواقع .

لم يكن الصراع بين اليهود والعرب عبارة عن حرب تحريرية بين اليهود المناوئين لبريطانيا والمعادين للاستعمار وبين الاقطاعيين العرب ، كما يحاول اليساريون اليهود تصوير ذلك . كما أنها لم تكن حرباً بين دولتين كإثند وباكستان حول كشمير . ان الحرب الفلسطينية هي في الواقع صراع ضد افتتات امبريالي جديد على أرض شعب رازح تحت الاستعمار .

(١) . تراجع كتاب مازتن بوبر : نحو اتحاد في فلسطين ، دراسة عن الصهيونية وعن التعاون العربي - اليهودي . منشورات القدس سنة ١٩٤٧ .

ولقد خذل العرب في حربهم الاولى مع اليهود في ايار ١٩٤٨ نتيجة لعوامل عديدة كان أبرزها الفرقة بين الدول « المتحالفة » وضعف التجربة العسكرية والتبجح . يضاف الى ذلك الخطر الذي فرضته بريطانيا على شحن الاسلحة الى دول المنطقة آنذاك والتي كان أكثرها يعتمد على السلاح البريطاني . في حين تمكن اليهود من الحصول على كميات هامة من الاسلحة التشيكية وتمكنت شبكات الهاغانا في امريكا واوروبا من شراء وارسال أسلحة ومتطوعين بمساعدة السلطات الرسمية في بعض الدول مثل فرنسا ويوغسلافيا مستفيدة بوجه خاص من الفرصة التي أتاحتها لهم الهدتان الاولى والثانية .

ومها يكن من أمر فان مجرى الحرب لم يكن لينزع من أفكار العرب اقتناعهم بأنهم تجاه مستعمرة قوية تدعمها مجموعة الدول الاوربية الامريكية وتعتبرها منشقة عنها وتابعة لها . ولم يكن الوضع داخل دولة اسرائيل بعد ذلك لينفي هذا التحليل فلقد اعتبر اليهود أن الاقلية العربية التي بقيت ضمن حدود دولتهم ماهي الا طابور خامس كامن ، ولذلك فاق التدابير التمييزية التي طبقت عليهم كانت نتيجة منطقية لهذا الاعتبار .

المقدمة :

من هذا العرض السريع للاحداث نستخلص الحقائق التالية :

١ - لقد جيء الى فلسطين المأهولة بالسكان العرب بسكان آخرين من أصل اوروبي ، وذلك نتيجة لحركة عقائدية اوروبية ونحت ضغط الجماعة التي كانت تمثلها هذه الحركة .

٢ - توصلت هذه الحركة الى مآربها بعمل سياسي بريطاني يتمثل في وعد بلفور الذي جاء انتصار الحلفاء على الامبراطورية العثمانية وموافقهم على القرار البريطاني ليعطيه قوة القانون الدولي .

٣ - كذلك نجحت الحركة الصهيونية بفضل الحماية التي قدمها الانتداب البريطاني اذ أتاح لها تكوين قاعدة كافية ، وبفضل حرب قامت بها مبدئيا ضد بريطانيا نفسها حين أخذت تحفظ بالنسبة للصهيونية ، ومن ثم ضد السكان العرب أنفسهم واخوانهم الذين جاؤوا يدعمونهم .

٤ - ربح الصيونيون الحرب بفضل قوة شعور التضامن القومي بين اليشوفات (يهود فلسطين الاصليين) ويهود العالم ، وبفضل تفوق هؤلاء في استخدام الوسائل الاوروبية الحديثة سواء في حقل السلاح أم في التنظيم ، وبفضل قوة الضغط التي يمارسونها في أمريكا وأوروبا .

٥ - كذلك كان للشعور بالذنب لدى الاوروبيين والاميركيين من جراء ما أصاب اليهود على أيدي الالمان ، اخوانهم في التبعية الاوروبية ، اكبر الأثر في دفعهم الى تبرئة انفسهم والتكفير عن ذنوبهم تجاه اليهود ، وذلك دون ثمن كبير وعلى حساب أذنين غير اوروبيين .

٦ - اما مشاعر السكان العرب الاصليين ومصالحهم فلم تؤخذ بعين الاعتبار خلال جميع تطورات النزاع ومراحل المساعي الصهيونية .

٧ - وهكذا فان نمو وتقدم الحركة الصهيونية ، ومن ثم نجاحها ، يمكن وضعه ضمن اطار التوسع الاوروبي باتجاه البلدان التي سميت فيما بعد بالعالم الثالث . وإن الأهداف الاولية للحركة تحتم بأن تكون نتيجةها هي هذه التي وصلت اليها ، فنطق التاريخ الذي لا يقاوم يقضي بأن تظهر النتائج والآثار الحالية وذلك منذ ان تمكنت الحركة من توطيد وتثبيت مقدماتها وطلائعها في الارض الفلسطينية .

٨ - ان انشاء دولة يهودية محضة أو ذات سيطرة يهودية في فلسطين العربية ، القرن العشرين ، لا يمكن إلا أن يؤدي الى وضع من نوع استعماري يرافقه ثور روح عنصرية وبالتالي الى مجابهة عسكرية بين العنصرين او الشعبين . ومن هنا سبب رفض القادة الصهيونيين لكل تسوية سلمية مع العرب لانضمن لهم السيطرة التامة على فلسطين . ونذكر بهذه المناسبة الجواب الذي أفضت به غولدا مابر حين سألتها عن الالضاء الامريكيين في اللجنة الانكوار امريكية التي قامت بتحقيق في فلسطين عام ١٩٤٦ :

- اذا كان للاقلية اليهودية في فلسطين نفس الامتيازات التي تعودون بها العرب كأقلية ، قبل ترضون بذلك .

- كلا ياسيدي فلابد من وجود مكان في العالم لا يكون فيه اليهود أقلية . بعد هذا لا يمكن انكار الانسجام بين هذا النوع من التفكير المركز على حل معين يحتمل حقوق الآخرين وبين المخططات الصهيونية الاصلية . ولا يمكن بالتالي ان نستنتج بأن الواجب الادبي كان يقضي على الآخرين بالخضوع ، ومن ثم نستغرب كيف يثير هذا الحل لديهم ردود فعل عنيفة .

قد يحكم المرء على هذا الهدف بأنه نبييل ومقبول ، وقد يعتبر ان الظلم الذي حل

بالعرب امر تافه لا يذكر ، وقد يجد الوسائل التي استخدمتها الصهيونية معذورة وربما جديدة وذلك حسب سلم القيم الذي يتبناه كل انسان ... ولكن مالا يمكن لاي انسان ان ينكره هو الاطار الذي يصنف ضمنه المشروع الصهيوني . ربما حكم الانسان على حركة التوسع الاوروبي حكما مختلفاً .. وقد يكتفي المؤرخ بملاحظة هذه الحركة دون ان يلفظ حكمه بشأنها . . ولكنه اذا ما حاسبها وأدانها واستنكرها ، واذا ما تمسك ردود فعل الشعوب المستعمرة ، فان أدنى واجبات الدقة في التفكير تمنعه من استخدام طريقتين مختلفتين للتقدير والتقوم . واني لأصر على الاعتقاد بأن كون المرء يهودياً لا ينبغي ان يلزمه باستخدام وزن ، وكيلين . والا فليكن صريحاً وليعلن بأن ثمة طائفة من البشر هي دائماً على حق في جميع الظروف والأحوال ، وهذه الطائفة هي ، بحسب القيم الصهيونية والاسامية ، الطائفة اليهودية . ان مثل هذه القناعة المطلقة لدى الانسان في صحة مواقف الطائفة او العشيبة التي ينتمي اليها ، ظاهرة شائعة في تاريخ الفئات البشرية ، وهي تسمى بالعنصرية .

الاعتراضات ومخالفات :

بعد هذا العرض العام نأتي الآن الى الاعتراضات التي يثيرها وأولها ، وأقلها أهمية ، ما يسمى بحقوق اليهود التاريخية في أرض فلسطين .

ان آخر دولة يهودية مستقلة فعلا في فلسطين ماتت عام ٦٣ قبل المسيح حين استولى الرومان على القدس . وتقلص بعد ذلك التاريخ عدد السكان اليهود نتيجة الهجرة واعتناق المسيحية ثم الاسلام . ومن المرجح ان دم الاجداد العبريين القدامى يجري في عروق سكان فلسطين العرب اكثر بكثير من اليهود المنتشرين في اطراف الدنيا .

وحتى لو سلمنا جدلا بأن كتلة اليهود القداماء تعتبر على مر العصور وحتى هذا التاريخ شخصية جماعية ثابتة ودائمة فليس هنالك أي وجه حقوقي لمنحها على هذا الاساس حقوقاً في أرض تجدد سكانها بشكل كامل ، وان بقيت عناصرم دونما تغيير كبير . ولقد سبق لفيصل ، كما سبق للآخرين قبله وبعده ، أن ردوا على هذا المنطق اليهودي قائلين ان العرب يستطيعون على هذا الاساس المطالبة باسبانيا . والواقع أن حجة الصيونييين في العودة الى صهيون هي حجة ضعيفة معناها في الواقع أن يجعل كل انسان من اهتماماته الشخصية الضميمة قانوناً يفرضه على الآخرين .. وليس في جميع هذه الحجج

التاريخية ما يمكن ان يجعل من غرس عنصر غريب على حساب سكان الارض الاصليين مجرد عملية عودة الى ارض الوطن ...

اما الطابع الاشتراكي الذي اتسمت به جماعات اليهود الاولين الذين هاجروا الى فلسطين فليس من شأنه ، لامنتقياً ولا اجتماعياً ، أن يشكل حجة تغطي او تنفي الطابع الاستعماري لهذه الجماعات . ولقد كان واضعاً نظريات الاشتراكية القومية اليهودية قلما يبالون بالجماعات التي سببها اليها مشروعهم ويدمرها ... كانوا بكل سداجة يظنون بأن المجتمع اليهودي المتجدد الذي ينوون اقامته في فلسطين لا يمكن الا ان يندم ويفيد تلك المجتمعات القائمة اصلاً في البلاد .. ان التشابه يبدو بديهاً بين هذا النوع من التفكير وبين عقلية المستعمرين الفرنسيين الذين ذهبوا الى الجزائر والهند الصينية ليخدموا مصلحة الجزائريين والفييتاميين .

وحى لو سلمنا جدلاً بأن دولة اسرائيل هي دولة اشتراكية مثالية من جميع النواحي فليس في ذلك ما يسمح مطلقاً بالقول والاستنتاج بأن سياستها الخارجية هي مثالية ايضاً وبأن موقف اكثرية سكانها من بقية الشعوب هو موقف مستوحى من الامية النقية . . . فليس هناك ما يمنع ارقى المجتمعات الديمقراطية او الاشتراكية داخلياً ان تمارس في الخارج سياسة تنكر وتجاهل حقوق المجتمعات الاخرى .

أجل قد نفهم غضب بعض الاشتراكيين الاسرائيليين حين يواجهون بمواقف هرزل الامبريالية والاستعمارية والرأسمالية . . . وقد يكون هناك فعلاً بين جاهير اليهود اكثرية متأثرة بالعقيدة الاشتراكية ومعارضة لمفاهيم هرزل . . . غير ان هذه العقيدة الاشتراكية لم تنجح في اسرائيل سوى عدد ضئيل جداً من القادة لم يكن لهم اي وزن في الحد من الخيف الذي لحق بالعرب . . . ومن جهة اخرى فان الحركة الصهيونية تشكل كلاً لا يتجزأ . وما كان للقادة الصهيونيين ان يتوصلوا الى اهدافهم لولا قاعدتهم الجماهيرية «الاشتراكية» وسياستهم الدولية . فلو ظلت الامبراطورية العثمانية قائمة او لو قامت الدولة العربية الكبرى او الدولة السورية الكبرى او الدولة الفلسطينية المستقلة لما كان لضغط الجماعات الصهيونية اي جدوى بل كان اقصى ما يمكن ان تصل اليه هو توطين بعض المجموعات اليهودية في فلسطين ضمن شروط للتعايش تقبلها الاكثرية العربية ، الامر الذي يؤدي الى صرف انظار اليهود في العالم عن فلسطين كوطن مختار للهجرة .

وينبغي أن لا يغيب عن الذهن بأن اكثرية اليهود قد اختارت منذ عهد الرومان والفرس أن تبقى خارج فلسطين منتشرة في أنحاء العالم . فعدد يهود نيويورك يفوق منذ

القديم عدد سكان اسرائيل ، كما وأن اكثرية اليهود الذين غادروا الجزائر اختاروا اللجوء الى فرنسا وليس الى اسرائيل ..

ومها يكن من أمر فان الاشتراكيين الاسرائيليين كانوا خاضعين دائماً لسياسة المنظمة الصهيونية وم الى حد بعيد متضامنون معها . وما تمرد اليهود على الاستعمار البريطاني قبل الاستقلال الا من نوع تمرد المعمرين ضد الوطن الام حين تختلف اهداف الطرفين ، مع فارق رئيسي واحد هو ان هؤلاء المعمرين لا ينتمون الى نفس الشعب الذي يعيش في الوطن الام .. وأما الادعاء بأن هذا التمرد هو الذي أطلق حركة القومية العربية وسعيها للاستقلال فهو مخالف للواقع والتاريخ لأن ثورات العرب في مصر وسورية وفلسطين تعود الى غاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن الحالي وتسبق بكثير قيام يهود فلسطين ببعض الاعمال الارهابية ضد سلطات الانتداب البريطاني .. أجل ان هذه الاعمال أظهرت للعرب ضعف بريطانيا النسبي وشجعتهم ولكنهم لم ينتظروا هذه الاعمال كي يبدأوا ثوراتهم ضد بريطانيا .

ليس في كل هذه الادعاءات اليهودية اذن ما يخفف من الطابع الاستعماري الذي اتسمت به حركة توطين اليهود في فلسطين . واذا كان الصهيونيون يدعون بأنهم اشتروا الاراضي في فلسطين من أصحابها بشكل قانوني ومشروع فان صفة الشرعية هذه لا تعتبر حجة ضد السنة الاستعمارية ليهود فلسطين . ولا سيما وأن هذا الشراء لم يجر الا قبل عام ١٩٤٨ . فلقد سبق لبريطانيا ان استعمرت الهند ولم تأت بمعمرين اكثر من ارض الفلاحين الهنود .. قبل هتلك من يتردد مع ذلك في وصف هذه الحال بغير الاستعمار . ان مصادرة الاراضي بالقوة ليست هي وحدها العنصر الذي يميز الحركة الاستعمارية عن سواها .. فهناك ظروف وحيل قانونية ذكية يُلحقها الاستعمار ويضطر السكان الى التخلي عن اراضيهم بأي ثمن .. وبشكل مشروع في الظاهر ..

وبعد ذلك كيف يمكن أن ننسى مصادرة الاراضي العربية بعد ١٩٤٨ حين قفزت مساحة الاراضي المزروعة من قبل اليهود من ٩٢٨ كيلومتراً مربعاً في ١٩٤١ - ١٩٤٣ الى ٣٢٤٠ كيلومتراً مربعاً في ١٩٦١ - ١٩٦٢ ، أي أن العرب فقدوا ٤٠ الى ٥٠ بالمائة من اراضيهم منذ الحرب . (١) .

(١) يراجع بصدد المصادر البحث الموضوعي التزيب الذي نشره السيد شوارتز بعنوان « العرب في اسرائيل » - بالانكليزية - صفحة ٩٦ ... وفي كتاب « اسرائيل والعرب الفلسطينيين » - انكليزي - منشورات معهد الشرق الاوسط =

ويدعي اليهود - في معرض نفيهم للصفة الاستعمارية لاستيلائهم على الارض العربية في فلسطين - بأنهم لا يستثمرون الفلاحين العرب بشكل مباشر كما كان المعمورون الفرنسيون يستثمرون الفلاح الجزائري . .

ولكن الاستثار المباشر للسكان الاصليين ليس هو الصفة الضرورية للاستعمار . فلم يكن المعمورون الانكايي في الولايات المتحدة ليستخدموا الهنود الحمر الا في حالات نادرة جداً . . كذلك كان الأمر في الهند وفي استراليا ونيوزيلاندة . . فهل يعني ذلك ان التوسع البريطاني في الهند وغيرها لم يكن استعمارياً .

ان العلاقات بين الاسرائيليين والعرب لم تكن علاقات استثار بقدر ما كانت علاقات هيمنة واحتلال . واذا ما شئنا الوقوف عند الوقائع الثابتة التي لاتزاع في صحتها فذكر مبدئياً فرار العرب من الاراضي الاسرائيلية الذي أدى الى تقليص عددهم من الثلثين الى عشر السكان . ان السبب الرئيسي في ذلك هو بلاشك رغبة المستوطنين اليهود الجدد - الذين تسللوا تدريجياً الى فلسطين منذ ستين عاماً - في أن يصبحوا العنصر الغالب والمهيمن في دولة قومية يهودية (١) . وهي رغبة نسل بانها تنحصر في السيطرة على الاراضي

==يوأشطن ١٩٥٨ - تراجع كذلك الوثائق والاحتجاجات المنشورة في مجلة Mer التي تصدر في اسرائيل وخاصة منها الاحتجاج الذي وجهه مارتن بوبر رئيس اللجنة القانونية في الكنيسة ضد « قانون اقتناء الاراضي » الذي يسمح في الواقع بسرقة اراضي الآخرين من سكان الدولة المواطنين العرب . والامثلة التي نشرتها المجلة المذكورة في الجزء ١٥ في آذار ونيسان ١٩٦١ عن مصادرة اراضي العرب في الجليل وتقديره بأثمان بخسة وعدم دفع هذه الاثمان ، كل ذلك لأن سكان المستعمرات اليهودية يرغبون بتوسيع املاكهم .

من ذلك يتبين كيف ان نظام الحياة الجماعية (لاشتراكية) لا يمنع مطلقاً الرغبة الجماعية في الاستيلاء على اموال الآخرين .

(١) - يراجع كتاب ميشيل بار-زوهار اليهودي وعنوانه (بن غوريون) صفحة ١٥٣ حيث يقول : « كثيرون من اليهود كانوا يمتنون منطقياً كما يتمنى قائم الا على بن غوريون ان يفاذر فلسطين اكبر عدد ممكن من العرب . قد نتم بن غوريون بالعنصرية ولكننا في هذه الحال لابد ان ندين بحمل الحركة الصهيونية المبنية على مبدأ قيام وحدة يهودية محضة في فلسطين . اما النداءات التي وجهتها بعض المؤسسات الصهيونية للعرب تناشد البقاء والاندماج بالدولة اليهودية فقد كانت نداءات منافقة » .

أكثر من السكان .. ولكن بما أن إسرائيل لا تستطيع الادعاء بأن هذه الأراضي قد أعطيت لها بحض مشيئة العرب ورضام ، فالملحق الوحيد للعملية اذن هو انها بذلت جهوداً كي تفرض ارادتها على الآخرين . (١)

أما عن وضع العرب الذين بقوا في إسرائيل فلعل افضل شهادة في هذا الموضوع ما كتبه الصهيوني والترشوارز (٢) وبالرغم من بعض التدابير الخفيفة التي اتخذت فان من الواضح ان الاكثريه اليهودية تفرض ارادتها على الاقلية العربية وان هذه الاخيرة تتعاطف مع العرب في مصر والاردن لا مع الاكثريه التي تحكمها . وهذه نتيجة طبيعية لأن عرب إسرائيل ، شأنهم شأن العرب الفلسطينيين الذين تركوا البلاد ، هم في وضع لم يختاروه ويقبلوه وانما فرضه عليهم اليهود بالقوة . واما كانت المبررات التي قدمها بعضهم لهذا العمل فليس في مقدور احد أن ينكر هذا الواقع .

أما ما يقوله العرب من أن إسرائيل تسام مع النظام الامبريالي العالمي في استئثار العالم الثالث اقتصادياً فهذا موضوع يحتاج الى دراسة مطولة . على أنه يبدو واضحاً وبديهاً ، بصورة عامة ، ان تفوق إسرائيل التقني يمنحها إمكانيات للضغط الاقتصادي على الاقتصاديات المتخلفة ، غير أن ضيق رقعها وصعوباتها منع جبراتها وتبعيتها الاقتصادية للدول الرأسمالية الأوروبية والأمريكية كل ذلك يجد من تلك الامكانيات . ولعل الاختيار السياسي لإسرائيل هو الذي جعلها تظهر كحليف للدول الامبريالية . ويمكن القول ان هذا الاختيار السياسي قد أملت ظروف انشاء الدولة وظهورها الى الوجود ، وهو ايضاً نتيجة حتمية للاختيار الصهيوني الاصيل . فن الثابت اذن - وبصورة عامة - أن إسرائيل تظهر كما أرادها هيرزل كرأس جسر للعالم الرأسمالي الصناعي وسط عالم متخلف .

(١) يراجع بصدد هجرة العرب من فلسطين ، مقالات الاستاذة غواشون في مجلة الفرنسية اعداد تموز وآب وايلول ١٩٦٤ والتي يبدو من خلالها ان التفسير الرئيسي لقرار العرب الجماعي من فلسطين هو الذعر الناتج عن مذبحه دير ياسين التي قتل فيها ٢٥٤ رجل وامرأة وطفل ليلة ١٠ نيسان ١٩٤٨ . ويمتدح رئيس عصاة الأورغون منحيم بيغن ، الذي ينكر هذا الحادث ، يمدح اعماله اذ يقول في كتابه « ثورة إسرائيل » منشورات باريس ١٩٥٣ صفحة ١٦٠ : « كانت القوات اليهودية تتقدم في حيفا كالكسكين في الزبدة وكان العرب يهربون في ذعر وهم يصيحون : دير ياسين »

(٢) يراجع كتاب والتر شوارز : « العرب في إسرائيل » انكينزي - لندن منشورات فاير ١٩٥٩ .

الخاتمة :

أعتقد بأني برهنت في ما تقدم أن إقامة دولة إسرائيل على الأرض الفلسطينية إنما هي نتيجة لعملية تدخل تماماً ضمن إطار حركة التوسع الأوروبية - الأمريكية الكبرى في القرنين التاسع عشر والعشرين الرامية إلى الاستيطان في أراضي الشعوب الأخرى أو السيطرة عليها اقتصادياً وسياسياً . وإذا كنت قد احتجت إلى الكثير من الكلام لاثبات هذا التشخيص الواضح فلأن هناك جهوداً كبيرة - يائسة - قد بذلت لإخفاء هذه الحقيقة . إن ما ذكرته هو وقائع .. وأما بشأن اختيار العبارة الدقيقة فيبدو لي أن كلمة « عملية استعمارية » هي التعبير الملائم المنطبق على هذه الوقائع .

ومن البديهي أن لهذه العملية الاستعمارية كما نغيرها سمات خاصة . فلقد جيء بالمعمرين دون أن يكونوا تابعين لوطن أصلي كما هو الحال بالمعمرين الانكليز في الهند .. وطرد السكان الاصليون من أراضيهم وبقي قسم منهم خاضعاً من الناحية السياسية لسيطرة المعمرين .

إن التعريف يهدف عادة إلى تبرير السمات والهويات بعبارات أكثر وضوحاً ، وذلك حسب الأغراض المرجو تحقيقها والوصول إليها .. فقد يمكن أن نجد تعريفاً للاستعمار لا ينطبق على الحالة الخاصة لإسرائيل . وإذا ما رجعنا إلى التعاريف التي ذكرتها موسوعة لاروس الكبرى وجدنا أن التعريف الأول لكلمة « مستعمرة » هو : « أرض محتلة ومدارة من قبل دولة خارج حدودها ومرتبطة بهذه الدولة بروابط وثيقة » وأن هذا التعريف لا ينطبق على إسرائيل .

وأما التعريف الثاني : « تجمع أشخاص غادروا بلادهم ليستوطنوا في بلاد أخرى » فهو ينطبق تماماً على إسرائيل ، كذلك فإن كلمة « ييشوف » العبرية مترجمة من القاموس العبري - الفرنسي لمؤلفه « المالح » « بأنها البلاد المسكون ، المستعمرة ، المقاطعة المسكونة . السكان ، الاستعمار » .

ولقد استعرض أحد علماء الاجتماع جميع هذه التعاريف فخلص إلى النتيجة الآتية : « يمكن القول إن هناك استعماراً حيث يوجد احتلال وسيطرة ، وحيث يوجد هجرة وتشريع » . ولقد هاجر اليهود ، تحذيم الحركة الصهيونية ، إلى فلسطين ثم سيطروا عليها ، ثم احتلوا فعلاً وأخذوا يشرعون ليبروا هذا الاحتلال حقوقياً ... وهكذا نجد

في هذه الوقائع جميع عناصر التعريف الذي انتهى اليه هذا العالم الاجتماعي . (١)
ترى ماهي النتائج التي ينبغي أستخلاصها من هذا التشخيص لحقيقة الوجود
الاسرائيلي ؟ هل نبشر بالحرب المقدسة ضد الدخلاء ونطالب بقذفهم في البحر باسم الضمير
العالمي الذي جاء مؤخراً - ومؤخراً جداً - بدين الاستعمار ؟ هل ننتقد هؤلاء الدخلاء
ونصفهم للعالم أجمع بأنهم مجرمون ؟

انني أسمح لنفسي بابتداء رأي . أن على العرب ، الذين لحق بهم الحيف ، أن
يحددوا سياستهم تجاه اسرائيل . ولا يبدو لي أن دور الآخرين هو أن يدفعوا العرب
نحو الحلول العسكرية . وانني لأعلن بأنني أفضل شخصياً ، وحتى حدود الامكان ،
الحلول غير الدموية ولا أجد لنفسي أي حق في أن أبشر ، وأنا في برجتي العاجي ،
بالانتقام والقتل .

انني مناهض للاستعمار ومناهض للعنصرية . ولكني لا بد أن أفسر وجود هذه الظواهر
بعوامل اجتماعية وسيكولوجية شائعة جداً ليس في مقدور أحد أن يبريء نفسه من
التورط فيها . إن الزمن الذي ينقضي على الاغتصاب هو وحده الذي يتغير طولاً
أو قصرًا . فالضمير الانساني ينتهي عاجلاً أو آجلاً بقبول مبدأ « التقادوم » والتاريخ
حافل بمجالات الامر الواقع .

واننا حين نعي هذه السمة الاستعمارية لدولة اسرائيل ندرك وتتفهم سبب ضغط
الاحداث على اسرائيل ودفعها نحو معسكر الدول الغربية ، وتتفهم بالتالي ردود الفعل
العربية . أما الذين يصنفون جميع الحركات والانظمة العربية بأنها فاشية فهؤلاء ينشرون
مفهومًا سيئًا وخاطئًا جداً للمشكلة . كذلك الامر بالنسبة لاولئك الذين يفسرون المشكلة
بأنها مجرد حقد مجاني عند العرب ضد اليهود اتنا يضلون الحقيقة ويضلون الآخرين . فاذا
كان هنالك من حقد يفوق الحدود ، واذا كان هنالك بين الحكام والعقائديين من يبني

(١) يراجع كتاب رينيه مونييه (علم الاجتماع الاستعماري) باريس عام ١٩٣٢
منشورات (دوما مون كريستيان - باريس) صفحة ٣٧ . ويلاحظ بصورة عامة أن
الضموينيين كثيراً ما استخدموا عبارات « استعماري » و « مستعمرات » دون أي
حرج أو خجل ، وذلك في عناوين مؤسساتهم وفي نصوصهم الرسمية وغير الرسمية أثناء
تحديدهم لأهدافهم ومشاريعهم .

الأساطير لتعبئة الجماهير من اجل القضية الفلسطينية فلا شك بأن القادة الصهيونيين هم المسؤولون عن هذا المعطى الموضوعي الذي هو استعمار ارض اجنبية .

لذلك فان ايدانة ثورة العرب ضد وضع استعماري أمر قد تقبل به اذا صدر عن أنصار مذهب الاعتف . وأما المعادون للاستعمار فان الحد الادنى من الانسجام في التفكير بينهم من ايدانة العرب . اقصى ما يستطيعون قوله هو أن هذه الثورة غير ملائمة في الوقت الحاضر .

يستنتج من ذلك ان الاعتماد على ظهور نظام اجتماعي جديد في البلاد العربية يقبل بوجود اسرائيل انا هو وهم خطير . انا نقول ذلك بكل صراحة وان استنكر هذه الحقيقة فمطبو اليسار الذين يعتقدون بأن الثورة الاجتماعية كفيلة بحل كل المشاكل . ليس هناك « حل ثوري » للمشكلة العربية - الاسرائيلية . فخلق دولة اسرائيل كان تحديا مبرها للعرب كشعب وليس هناك اي نظام يستطيع أن يرضى به بله اختياره . وقد تؤدي الظروف السياسية الدولية او الداخلية الى الاعتراف يوما باسرائيل ولكن ذلك لا يمكن أن يتم على اساس ايديولوجية تسل بشرعية الاستعمار الاسرائيلي . ولقد ثبت ان الأنظمة الاشتراكية في العالم العربي هي الاكثر تشدداً وتطرفاً في مطالبها ، وأي اعتقاد مخالف لهذه الحقيقة انا هو دليل على الجهل التام للاوضاع المحلية .

وبعد فقد تكون الحرب هي المخرج الوحيد لهذا الوضع الذي خلقته الصهيونية . ولست من الذين يبتهجون لذلك . ولكن اذا كانت هناك أي فرصة للوصول الى حل سلمي ، فهذا الحل لا يمكن ان يتحقق بأن نطلب الى العرب أن يصفقوا للمحتلين لأنهم اوروبيون ولأنهم « متطورون » أو لأنهم ثوريون أو اشتراكيون أو يهود ...



الأسلحة الاقتصادية العربية

(١) والعدوان الصهيوني

د. هشام متولي

في الخامس من حزيران (يونيو) عام ١٩٦٧ اندلعت الحرب للمرة الثالثة بين العرب والسلطات المحتلة لأرض فلسطين العربية وذلك خلال فترة تسعة عشر عاما . وكان لابد لهذه الحرب ان تندلع لأن السلاح الرادع الرئيسي الذي تملكه سلطات الاحتلال المذكورة هو الاعتداء من اجل أن تثبت وجودها الدولي . وما كان لهذا الوجود أن يتثبت دوليا لولا كونه متبني مقدما من قبل بعض الدول الكبرى كالولايات المتحدة الأمريكية بالدرجة الأولى ،

(١) الغاية من هذا المقال مناقشة مختلف وجهات النظر بشأن استخدام الأسلحة الاقتصادية العربية بمناسبة أزمة الشرق الأوسط ، لذا كان لابد من شموله على مجموعة من الافتراضات . هذا ، ولابد لي من شكر زميلي الدكتور محمد الأطرش للملاحظات التي أبدأها لي لدى كتابة هذا المقال .

ثم من بريطانيا والمانيا الغربية ودول أخرى منضمة تحت لواء المعسكر الغربي . فالنزاع الدائر بين العرب والسلطات الصهيونية (١) المحتلة في الشرق الأوسط يتجاوز في الحقيقة الطرفين المتخاصمين بكامل امكانياتها ليحتل مكانه على الصعيد الدولي . ومن هنا كانت الفكرة التي سنحاول تحديد بعض ملامحها فيما يلي من كلام ، والتي تتلخص بأن الحرب بين العرب والسلطات الصهيونية المحتلة انما هي مجزء كبير منها حرب بين العرب والقوى التي تتحرك وتساند الاختلال أو الاستعمار الصهيوني .

فما هي الأسلحة الرادعة التي تملكها البلدان العربية ككل تجاه السلطات المحتلة والقوى العالمية التي تساندها ؟ بالإضافة الى القوات المسلحة النظامية وتلك الخاصة بمرجب التحرير الشعبية ، هناك الأسلحة السياسية والاقتصادية . سنقصر حديثنا التالي ، وبشكل عام ، حول هذا السلاح الأخير .

ولكي يكون هذا السلاح رادعا ، نعتقد انه يجب أن يقوم على أساسين في وقت واحد :

١ - أن يتميز بالشمول الجغرافي ، أي أن يشمل كافة البلدان العربية .

٢ - أن يتميز بشموله لكافة عناصر هذا السلاح التي هي :

أ - سلاح المقاطعة الاقتصادية التامة لاسرائيل .

ب - سلاح النفط ، سواء من حيث الإنتاج والتصدير أو من حيث

اتفاقات الاستثمار .

ج - سلاح الأرصدة النقدية المودعة لدى مصارف الدول التي ساهمت في

العدوان بشكل مباشر أو غير مباشر .

(١) إن صراعنا هو مع الصهيونية كظاهرة استعمارية عالمية حديثة ، وليس مع اليهودية التي تضم الدين اليهودي والأفراد اليهود . وليس هناك مجال تفصيل هذا الكلام .

د - سلاح المقاطعة الاقتصادية أو حظر التعامل مع الدول المذكورة .
ستعرض فيما يلي من حديث الى النقاط : (ب ، ج ، د) فقط على
اعتبار ان السلاح الأول لا يدخل ضمن نطاق بحثنا هنا فضلا عن أنه مطبق عمليا .
وقبل ذلك نود الاشارة الى الملاحظات التالية :

أولاً - اذا اردنا لهذه الاسلحة أن تكون رادعة فعلا ، فلا بدّ من
استعمالها جميعها وفي وقت واحد ، وذلك مع مراعاة عامل الشمول الجغرافي
المذكور .

ثانياً - اذا لم يتحقق الشرط الاول هذا بكليته ، فان درجة أهميتها
كسلاح رادع ستخف .

ثالثاً - يجب ألا يغرب عن بالنا بأي شكل من الأشكال :

آ - ان هذا السلاح الاقتصادي ذو حدين ، بمعنى ان استعماله يؤثر أيضاً ،
وبدرجات هامة أحياناً ، على اقتصاديات الدول العربية التي لا بد لها من ان
تحمس حسابها للتضحية والتشف .

ب - يجب ألا يذهب بنا الخيال الى أننا سندمر الاقتصاد الغربي ، أو
اقتصاد الدول التي ساءمت بشكل أو بآخر بالعدوان ، وذلك لأسباب متعددة .
أهمها بنظرنا وجود ما يسمونه في علم الاقتصاد بعامل الاستبدال أو الاستعاضة .
فقطع النفط العربي لا يوقف المصانع نظراً لانه من الممكن جلبه من الولايات
المتحدة ذاتها ومن فنزويلا ويران ومناطق أخرى . ولكن سعر الكلفة سيكون
أكبر في هذه الحالة ، وهذه هي النقطة التي نستطيع ان نستخدمها كسلاح
رادع تؤثر عن طريقه ، لأن آثاره ستعكس على الاقتصاد ككل . كذلك
هو الأمر بالنسبة لسلاح الأرصدة مثلا الذي لا يمكن استخدامه اكثر من كونه
اداة ضغط ومساومة .

الطابع الدولي لصراع العربي — الاسرائيلي :

اتخذت البلدان العربية عقب عدوان الخامس من حزيران مجموعة من التدابير النفطية الرادعة ، تدابير من شأنها ، اذا ماراقتها عامل الاستمرار ، أن تغير من الوجه الجغرافي والاقتصادي لصناعة النفط في المنطقة العربية بكاملها . فقد أوقفت البلدان المنتجة للنفط ، العراق ، الكويت ، العربية السعودية ، أبوظبي ، قطر ، ليبيا ، الجزائر ، تصدير هذه المادة الى كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا لمساندتها العدوان ، وسمحت بتصديره للبلدان التي لم تساند العدوان ووقفت على الحياد كفرنسا ، شريطة ألا تعيد بلدان الحياد هذه تصدير النفط العربي الى بلد ساند العدوان بنظر العرب . وبالإضافة الى البلدان المنتجة للنفط ، فان بلدان العبور (الترانزيت) أوقفت بدورها مرور النفط : القطر المصري (قناة السويس) ، سورية ولبنان (أنابيب النفط) .

قد يعترض معترض ويقول : ان الحرب هي بين العرب وقوات الاحتلال الصهيوني في فلسطين فلماذا نقيم الدنيا ونقعدها ونجعل من حربنا الصغيرة المحدودة أرضاً حرباً مع معظم دول العالم وأكثرها قوة ونفوداً ؟ ان الجواب على هذا التساؤل يكمن في منطق الأمور في الواقع . ذلك انه اذا ما نظرنا الى الأمور نظرة استراتيجية شاملة ، أي وضعنا مشكلة الحرب المذكورة ضمن اطارها العالمي ثم المحلي ، لاحظنا أن للمطامع الاستعمارية الغربية (وخاصة الانغلو — ساكسونية) ركيزتين متماثلتين من بعض الأوجه في الشرق الأوسط والعالم العربي ، وهما النفط واسرائيل . ان العلاقة بين هاتين الركيزتين علاقة سببية ، كل منها رأس حربية استعمارية لحماية الأخرى . فاحداث « دولة » اسرائيل عام ١٩٤٨ في فلسطين العربية لم يكن الا تويجاً للحركة الصهيونية

العالمية التي هي مرآة تعكس بجلاء ووضوح المصالح الاستعمارية للغرب في هذه المنطقة من العالم . كذلك فإن استثمار النفط العربي من قبل الشركات الاحتكارية الكبرى ليس الا مظهرا جديدا من المظاهر الاستعمارية المعروفة . ولكن هذا الاستثمار النفطي ، على قوته وقدرته ، معرض أحيانا - إن لم نقل دوماً - للهجمات التحريرية على الشركات المستغلة ومن ورائها حكوماتها . فلا بد اذن من قاعدة قادرة على الحركة والتوسع لحماية المصالح النفطية ومصالح أخرى . وخلق الاستثمار الغربي اسرايل ، خلقها ليستخدمها في الوقت المناسب لحماية مصالحه . في عام ١٩٥٦ مثلا خلال العدوان الثلاثي على مصر بسبب تأمين قناة السويس وخلال عام ١٩٦٦ - ١٩٦٧ أيضاً عندما تجاوزت الأنظمة الاجتماعية التقدمية مرحلة النقد للأوضاع الاستغلالية لشركات النفط الاحتكارية العالمية الى مرحلة الفعل والعمل : فكان تأمين الثروات النفطية في الجمهورية العربية السورية ، وكان النزاع مع الشركة العالمية الكبرى (الآي . بي . سي .) ثم بدء النزاع مع الشركة الاحتكارية الكبرى التابلاين . كذلك اتجهت أكثر البلدان مثل (الجمهورية العربية المتحدة) الى تبني عقود المشاركة في الاستثمار النفطي التي وان لم تكن كبيرة الخطورة بحد ذاتها ، الا أن آثارها على المنطقة مقعمة بالخطر . وذلك بالاضافة الى أمور أخرى طرحتها أنظمة الحكم المذكورة لاجمال للتعرض لها هنا .

هناك اذن علاقة سببية : طردية ومستمرة ، بين المصالح الاستعمارية المهتدة والوجود الاسرائيلي الممكن للاستخدام حين الضرورة تحت ستار : حماية أمن وحدود « دولة » اسرايل .

قصداً من هذا الكلام هنا التدليل على أن النزاع بين العرب والصهيونية

المحتة ليس نزاعاً بين طرفين متخاصمين فقط ، بل هو بالدرجة الأولى مجابهة المصالح العربية الحيوية مع المصالح الغربية ذات النزعة الاستعمارية - بالمفهوم الحديث للكلمة - والتي هي حيوية لهذا الغرب أيضاً من أوجه متعددة . فلا بد اذن من استخدام هذه المصالح الحيوية للغرب من قبل العرب كأداة ضغط ومساومة .

فمن وراء الصراع الظاهري المحلي ، هناك اذن الصراع الحقيقي والفعلي الذي يربط الوجود الاسرائيلي من جهة ، ووجود شركات النفط الاحتكارية الكبرى ، من جهة ثانية ، بالمصالح الغربية النفطية وغير النفطية في المنطقة . هناك اذن أكثر من مجال لربط المشكلة الفلسطينية بالقضية النفطية ، ولربطها معاربطاً وثيقاً بالدول المرتبطة مصالحها في المنطقة بهذين العاملين وبمعايير أخرى .

لهذه الأسباب ، ولأسباب أخرى لا مجال لذكرها هنا ، يكمن المبور في استعمال الأسلحة الاقتصادية العربية كأسلحة رادعة أو كأداة ضغط ومساومة على الصعيد الدولي .

أولاً - سلاح النفط :

آ - لنعد الآن الى موضوع حظر تصدير النفط العربي الى الدولتين اللتين ساندتا اسرائيل في العدوان وهما : الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا . ان هذا الحظر يؤثر على الدولتين المذكورتين بدرجات شديدة التفاوت . فالولايات المتحدة لا تتأثر كثيراً بالمقاطعة النفطية لأن وارداتها من النفط العربي لم تمثل عام ١٩٦٦ أكثر من ١٦ مليون طن ، اي (١٢٪) من وارداتها ، وهذه الكمية

تغطي فقط ما يقرب من (٣ ٪) من الاستهلاك المحلي في الولايات المتحدة من المحروقات . أما الباقي فتؤمنه من انتاجها وما تستورده من بقية انحاء العالم . وهنا تكمن الفكرة الجديرة بالانتباه والتي أشرنا اليها : وهي امكانية الاستعاضة التي تضعف من عامل المساومة التي نبغي ممارستها من وراء حظر تصدير النفط الى هذا البلد . ولكن عملية الاستعاضة هذه ستزيد من سعر الكلفة لأن تكلفة استخراج النفط من البلدان العربية اقل مما هي عليه في بقية بلدان العالم . واذا زاد سعر الكلفة نقصت ارباح الشركات الكبرى ذات التأثير الكبير على سياسة بلادها الخارجية . ومن هذه الناحية يمكن القول ان استعمال سلاح النفط على الشكل المذكور يؤثر لمصلحتنا في مجال المساومة والضغط . ولكن هذا التأثير مرتبط الى حد بعيد بمدى صمود هذه الشركات النفطية الاحتكارية الكبرى ومدى تقبلها للخسارة^(١) . على ان هناك ناحية اخرى لتأثير قطع النفط العربي على الولايات المتحدة تتعلق بحرب الفيتنام . فالحرب الآلية بدرجة عالية جداً هناك انما تستغذى بجزء كبير منها بنفط الشرق الاوسط . أما بريطانيا فانها تتأثر بدرجة اكبر بكثير من جراء عملية حظر تصدير النفط العربي اليها اذ انها تستورد حوالي ثلاثة ارباع احتياجاتها النفطية من البلدان العربية . ففي عام ١٩٦٦ ، بلغت وارداتها النفطية (٧١٥ ٪) من اصل مجموع مستورداتها النفطية ، اي (٥٠٣) مليون طن من اصل (٧٠٤) مليون طن . فدرجة الصمود البريطاني تجاه عملية حظر تصدير النفط العربي اليها ضعيفة جداً اذن . وهي اذا حاولت استبدال النفط العربي بنفط بلدان اخرى فيسكلفها ذلك اكثر ، الامر الذي يزيد من اعباء ميزان مدفوعاتها

(١) حقاً انهم يمكن لهذه الشركات الا تخسر إذا ما حلت الخسارة للمستهلك في الغرب . ولكن الا يمكن لهذا المستهلك ان يجابه ذلك بضغط من طرفه على الحكومات وبالتالي على الشركات ؟

ويؤثر بالتالي على اقتصادها ككل . ولكن بالمقابل ، يجب ألا ننسى امرأ هاماً في هذا المجال ، امرأ يجعل الوضع مختلفاً عما كان عليه عام ١٩٥٦ لدى أزمة قناة السويس . ففي ذلك الوقت تأثرت بريطانيا كثيراً من جراء انقطاع النفط عبر القناة والانايب المارة بسورية ، وبدأ ينعكس التأثير على الليرة الاسترلينية آنذاك . وكان السبب الرئيسي لهذا التأثير هو امتناع الولايات المتحدة عن تموين انكلترا وفرنسا بالنفط نظراً لعدم وقوفها الى جانب العدوان الثلاثي . ولكن الأمر مختلف عام ١٩٦٧ بسبب كون الولايات المتحدة تساند العدوان ، وبالتالي فإنها ستسهل عملية تموين حليفها بريطانيا بما تحتاج اليه . وهذا امر من شأنه طبعاً أن يقلل من درجة تأثير حظر تصدير النفط العربي الى انكلترا .

من الأرقام المتقدمة الذكر يمكن ان نستخلص أن مجموع كمية النفط العربي التي يمكن حظر تصديرها للولايات المتحدة وبريطانيا معاً وعلى أساس إنتاج عام ١٩٦٦ هي ٦٦٠٣ مليون طن . ويمكن للبلدين المذكورين اتباع طريقين لشل عملية الحظر هذه :

١ - استخدام عامل الاستبدال او الاستعاضة المذكور وزيادة كمية النفط المستورد من أماكن إنتاجية اخرى كإيران وقزويلا ونيجريا والولايات المتحدة نفسها .

٢ - انه من الصعب جداً فرض رقابة دقيقة على الشركات التي يسمح لها باستيراد النفط العربي والتي يمكنها ، بشكل او بآخر ، ايصاله الى البلدين المذكورين ، خاصة وان هذه الشركات هي نفسها المسيطرة على النفط العربي وهي التي ستنتج الكميات التي ستصدر الى بلدان غير بلدان مصادر رؤوس أموالها : اي الولايات المتحدة وبريطانيا .

لذلك يجب ألا يظن بأننا نقنع ان مجرد حظر تصدير النفط العربي الى البلدين المذكورين يشكل مجدذاته ولوحدته قوة سياسية رادعة او قادرة على فرض حلول نتيجة للمساومة . وزيادة سعر التكلفة الذي أشرنا اليه يمكن أن يلعب دوراً ولكن يجب الا نبالغ في اهمية هذا الدور لوحده .

ويحتمل اغلاق قناة السويس مر كزاً مرموقاً بخصوص زيادة سعر التكلفة بالنسبة للنفط الايراني وكميات النفط العربي التي لايجري تصديرها عبر انابيب النفط المارة بسورية ولبنان . اذ لا بد لهذه الكميات من النفط من ان تأخذ رأس الرجاء الصالح وتدور حول افريقيا لتبلغ اوروبا . وفي هذه الحالة فان زيادة سعر التكلفة سيؤثر حتى ولو تمكنت بعض الشركات من تحويل النفط العربي المصدر من البلدان التي لم تساند العدوان الى البلدان التي ساندته . ولاعطاء فكرة عن اهمية دور قناة السويس ، فان كميات النفط التي عبرتها عام ١٩٦٦ بلغت /١٢٧/ مليون طن من اصل مجموع بلغ / ٢٢٧ / مليون طن ، جرى تصدير الفارق البالغ / ٩٩ / مليون طن عن طريق انابيب النفط المارة عبر سورية ولبنان .

ولكن هذا الحظر لا يمكن له ان يؤدي ثماره كما ذكرنا ان ظل مقتصراً على البلدين اللذين ساندوا العدوان . وما لم يكن هناك حظر شامل على انتاج النفط العربي وتصديره لأي جهة كانت ، فان سلاح النفط يكون سلاحاً مشاؤلاً . وبهذا المعنى يجب أن نلاحظ ، حرصاً منا على عرض الآراء وما يمكن أن يرد عليها من اعتراضات ، أن المقاطعة الشاملة التي نقترحها بشأن النفط لا تخلو من بعض النقذ :

١ - اذا نظرنا الى الموضوع من الناحية المالية فان البلاد العربية المنتجة للنفط ستخسر ما لا يقل عن ٧٥٪ ، ان لم تقل اكثر ، من عائداتها النفطية . ترى

هل تستطيع تعويض المبلغ او جزء منه على الأقل لدى العودة الى الضخ وفرض
زيادة في الكميات المستخرجة ؟

٢ - ان الحظر الشامل سيشمل بلدانا وقفت على الحياد كفرنسا . فهل
من المصلحة قطع النفط عنها ، خاصة وأن من الممكن استخدام هذه المقاطعة
كسلاح لمحاربة سياسة الجنرال ديغول ؟

وهل من الممكن ان نجد حلا للموضوع هنا بأن البلدان التي صوتت في
الأمم المتحدة الى جانب المشروع اليوغوسلافي تعفى من المقاطعة الشاملة هذه ؟

٣ - ان الطرف الذي يتأثر فعلا من جراء الحظر الشامل لتصدير النفط
هو اوروبا الغربية . أما الولايات المتحدة فنسبة تأثرها ضئيلة جداً . وهنا يطرح
التساؤل التالي : هل من مصلحة السياسة العربية ان يزداد اعتماد اوروبا
الغربية في حال وقف الضخ - على اقتصاد الولايات المتحدة الذي سيزداد نشاطه
حكما ، وبالتالي يزداد النفوذ السياسي للولايات المتحدة على بلدان اوروبا الغربية ؟

٤ - نظراً لكون قضيتناهي بالدرجة الأولى البحث عن مصالحنا ، ألا يكون
السماح بتصدير النفط كالعادة بدلا من الحظر الشامل هو في مصلحتنا ، وذلك
شريطة أخذ الأمور التالية بعين الاعتبار :

آ - زيادة الضرائب على شركات النفط العاملة في البلدان العربية (مع
استثناء حصص الدول غير المنحازة كفرنسا) ، وتوجيه حصة هذه الزيادة نحو
تمويل الجهود الحربي بمعناه الواسع .

ب - اقتطاع نسبة معينة وهامة من عائدات النفط التي تقبضها البلدان
العربية المنتجة للنفط مقابل ما يصدر الى البلدان التي ساندت العدوان ، وازافة

هذه النسبة الى الحصيلة المذكورة في (آ) وتخصيصها أيضاً للجهود الحربية
بمعناه الواسع .

* * *

والحظر الشامل هذا عبارة عن سلاح ذي خدين . ويتعلق الأمر كله في
في وضع كهذا بدرجة الصمود . ودرجة الصمود هذه انما تتركز بالدرجة الاولى
على مقدار ما يملكه كل طرف من مال . ومن يملك مالا اكثر تكون درجة
صموده اكبر ، وفترة انتظاره اطول . ورغم ان هذا التحليل الجرد هو لمصلحة
شركات النفط التي هي أقوى مادياً بدون شك ، الا أن هذه الشركات لا تستطيع
الانتظار لفترة طويلة ، والا دخل خلل على سير عمليات استهلاك النفط للمعامل
والاستهلاك العادي ، وعلى اسعار هذا النفط ، الأمر الذي تكون له انعكاساته على
بقية فروع الانتاج والاستهلاك . هذا بالاضافة الى ان ارباح الشركات ستتقلص ،
واحتياطها النقدي سيتأثر . وبالمقابل فان البلدان العربية المنتجة للنفط قادرة على
الصمود اذا اعتمدت التضحية والتشفي كأساس . ذلك أيها تملك ارصدة نقدية
قادرة على تسيير الحياة فيها خلال الأمد القصير ،^(١) ولن يتأثر اقتصادها القومي
بدرجة هامة (عدا العراق نتيجة لوقف الضخ الا من حيث توقف العائدات التي
يمكن تعويضها جزئياً كما سنفصل ذلك لدى بحث أمر اتفاقات النفط . ولكن

(١) تجدر الملاحظة - التي تدعم الرأي المذكور - بأن طراز المعيشة في هذه البلدان
العربية ليس متطوراً بتنوعه كطراز المعيشة في الغرب الأوروبي او في الولايات المتحدة
حيث يكون لظاهرة التشفي - على افتراض وجودها - انعكاسات اقتصادية بالغة التأثير
على الانتاج القومي ، وحيث يصعب على معظم السكان الضغط على مستوى معيشتهم في
حين يمكن لغالبية سكان البلدان العربية الضغط بشيء من الشدة على مستوى المعيشة ،
وخاصة في البلدان المنتجة للنفط .

الاقتصاد الغربي بكامله سيتعرض الى الحلل والاضطراب النسبي اذا ماتوقف الضخ توفيقاً تاماً . فصلاح الحظر الشامل لانتاج النفط وتصديره يشكل اذن قوة رادعة قادرة على التأثير في الأمد القصير . والاقتصاد الغربي غير قادر على تجاوز مرحلة الأمد القصير رغم المحزون واستخدام عامل الاستعاضة مالم يتعرض لشيء من الحلل والاضطراب النسبي .

ب - والى جانب سلاح الحظر التام على الانتاج والتصدير للنفط العربي فان هناك سلاحاً نفطياً آخر يمكن الاعتماد عليه لزيادة الأثر الفعال للسلاح الاول . والسلاح الجديد يتعلق باتفاقيات النفط المعقودة مع الشركات الكبرى . من المعروف ان هناك اشكالا ثلاثة لاستثمار النفط في البلاد العربية :

١ - النموذج التقليدي القائم على منح امتياز التنقيب والحفر والاستخراج والتصريف مقابل دفع مقدار معين من العائدات . انه النموذج المطبق في العراق (بحسب الاتفاق القديم) والكويت والسعودية وليبيا . وكانت شركات النفط الاحتكارية الكبرى تتحكم في المقادير السياسية والاقتصادية والاجتماعية للبلد الذي يخضع لهذا النموذج من الاتفاقيات . ونكتفي بضرر مثل عن سياسة نوري السعيد في هذا المجال .

٢ - ثم حدث تطور وتقدم في تنظيم الاتفاقيات فكانت عقود المشاركة التي تبنتها الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وتونس . وبموجب عقد المشاركة تشارك الحكومة صاحبة الثروة الشركة في العمليات منذ التنقيب حتى تصريف النفط أو بالأحرى تصديره . بمعنى أنه يكون للحكومة رأي في مختلف الأعمال التي تقوم بها الشركة ، بل وحتى في كيفية تحديد العائدات .

٣ - هناك أخيراً نظام التأميم وقيام الحكومة باستثمار النفط بنفسها أو

عن طريق التعهد بتكليف شركة لأن تعمل لحسابها في استثمار النفط ، وهذا ما اتبعته الجمهورية العربية السورية .

الذي يبعنا هنا من هذا التصنيف هو أن أغلب الدول العربية المنتجة للنفط ما زالت تتبع النموذج الأول الذي ما زال رغم الاصلاحات التي أدخلت عليه بعيداً عن أن يكون مرضياً من النواحي الحقوقية والسياسية والاقتصادية كالنموذج الثاني . فأداة الضغط التي يمكن للبلدان المنتجة للنفط أن تستخدمها بالإضافة للسلاح النفطي الأول هو أن تنتهز فرصة الأوضاع الراهنة في العالم العربي وتطور النموذج الأول الى النموذج الثاني حيث يصبح لها رأي أكثر فعالية في الاشراف على أعمال الشركة وتوجيهها واجبارها على زيادة العائدات التي لا التي لا تفرد الشركة بحسابها كما هو الأمر مع النموذج الأول^(١) . وهذه أداة ضغط لأنه ليس من مصلحة الشركة الانتقال من النموذج الأول الى الثاني ، أو اذا تم الانتقال فبحدود . وطبعاً لا أتحدث هنا عن النموذج الثالث (اللجوء الى تأمين آبار النفط في العالم العربي) لأنه بنظري قد لا يكون عملياً في الوقت الحاضر ، لا من الناحية السياسية ولا الاقتصادية ، حتى ولو كان هذا أمراً يمكن تحقيقه . وكما سبق وأشرت، ان الغاية الأساسية في المرحلة الحاضرة هي استخدام النفط كسلاح رادع من أجل الضغط لصالح القضية الفلسطينية .

(١) من المعروف أن العراق وضع حديثاً موضع التطبيق الكامل القانون رقم ٨٠ الصادر عام ١٩٦١ والذي يقضي بمنح الحكومة العراقية حق اعطاء الاستثمار النفطي للشركة الوطنية للنفط . ان هذا يأخذ من شركة (الآي . بي . سي) (٩٩٪) من الاراضي التي كانت تحت تصرفها للتنقيب والاستثمار بموجب حق امتياز . كذلك فان ليبيا طالبت حديثاً الشركات العاملة لديها بزيادة سعر النفط المستخرج من أراضيها .

مُنبأ - الأرصدة :

والأرصدة المالية للبلدان العربية تشكل السلاح الرادع الآخر بعد سلاح النفط ، علماً بأن معظم هذه الأرصدة هي عائدات نفطية . ان هذه الأرصدة مودعة لحساب البلدان العربية في المصارف البريطانية بالدرجة الأولى ومصارف الولايات المتحدة . وقدرت هذه الأرصدة بالاسترليني في بريطانيا بمبلغ ٦٥٠ مليون ليرة استرلينية حتى نهاية آذار (مارس) ١٩٦٧ ، تملك الكويت لوحدها من أصل هذا المبلغ بين (٣٠٠ - ٣٥٠) مليون ليرة استرلينية (١) . من المؤكد أن سحب هذا المبلغ بكامله دفعة واحدة وطلب تحويله الى ذهب (الأمر الذي سيؤثر على الولايات المتحدة) سيهز أسواق الصرف أو القطع في الغرب وسيؤثر بشكل بالغ الخطورة على سعر الليرة الاسترلينية حتى لو حاولت بقية المصارف المركزية للدول الصناعية مساندة مصرف انكلترا لايقاف تدهور سعر الليرة الاسترلينية (٢) . ولكن ليس هذا الآن مجال تفكيرنا لأننا نود في الواقع استخدام هذه الأرصدة كسلاح رادع وكأداة ضغط بالدرجة الأولى على الاقتصاد البريطاني والاقتصاد الغربي عامة ، ولو سجننا الأرصدة بكاملها فان ذلك سيؤدي الى انخفاض قيمة الاسترليني ، ولكن أي انخفاض لقيمة الاسترليني أو الدولار سينعكس بصورة أكثر حدة على قيمة كثير من عملات البلدان العربية . وبالإضافة الى ذلك يجب أن نعرف أن جزءاً هاماً من المبلغ المذكور ليس مودعاً بشكل نقد قابل للسحب في أي وقت ، وان الجزء المتبقي للسحب يمكن لبريطانيا عملياً

(١) انظر : (The Economist, June 10, 1967)

(٢) انظر في ذلك تعليقنا (السيولة النقدية الدولية وأزمة الشرق الأوسط) في

« (اقتصادى العربى) » العدد ٢١٦ لعام ١٩٦٧ .

أن تجمد جزءاً منه كما سبق وجمدت الأرصدة المصرية بالاسترليني ، فضلاً عن أن بعض الدول العربية ما زالت ضمن منطقة الاسترليني . ثم ان عملية سحب ما يمكن سحبه ، وتحويله الى مصارف أخرى (في سويسرا وفرنسا مثلاً) لن يكون ذا أثر لأن التحويل سيتم في سجلات المصارف . من المؤكد أنه يمكن التأثير عن طريق طلب تحويل الجزء الذي يمكن تحريره الى ذهب وبذلك يمكن الضغط على بريطانيا والولايات المتحدة في وقت واحد . أعتقد أن هناك وجهين لاستعمال الأرصدة التي يمكن سحبها أو تحويلها بشكل يعطي بعض الجدوى :

١ - ذكرنا اعلاه عن الايقاف التام لضخ النفط . وعليه فان الدول المنتجة للنفط اذا ما وافقت على ايقاف الضخ فستتوقف عائداتها . وعندئذ يمكن الاعتماد على هذه الارصدة لتمويل سير الحياة فيها على درجة هامة من التقشف طبعاً ، وذلك مع الاشارة الى أن ما يمكن سحبه من أرصدة سيمول الاستيراد العربي في بلدان أخرى غير انكلترا او الولايات المتحدة . وهذا سلاحها في الأمد القصير حتى ولو كانت الشركات النفطية الكبرى أقوى منها مادياً بكثير ، بحيث يعمل الزمن - من ناحية القدرة المالية - لمصلحتها . ولكن الأوضاع الاقتصادية العامة في الغرب تجبر الشركات ، بالغة ما بلغت قدرتها المالية التي تجعل الزمن يلعب لمصلحتها في الانتظار ، على ان تأخذ هذه الاوضاع بعين الاعتبار ، فضلاً طبعاً عن اوضاع اخرى هامة سياسية واستراتيجية .

٢ - محاولة الضغط عن طريق المطالبة بتحويل الأرصدة أو ما يمكن تحريره منها الى ذهب ، ومحاولة التعاون في هذا المجال مع فرنسا التي تسلك في مجال السيولة النقدية الدولية مسلكاً غير متوافق مع المصالح (الانغلو - ساكسونية) .

ثالثاً - مظهر التعامل ارفنصاري :

بقي ان نتحدث أخيراً عن السلاح الاقتصاد الثالث الذي هو المقاطعة الاقتصادية للدول التي ساندت العدوان حيث يمكن أن تشمل هنا الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والمانيا الغربية . ولنقل بأدنى ذي بدء ان هذا السلاح هو اضعف من سابقه . فاذا اغلقنا أسواقنا العربية بوجه هذه الدول تبين معنا أن الولايات المتحدة تفقد قيمة صادرات مقدارها /٦٤٣/ مليون دولار ، وبريطانيا ، /٥٨/ مليون دولار ، والمانيا الغربية /٤٠٥/ مليون دولار . (١)

ولنقل بصراحة ان هذه الأرقام هي ذات اهمية كبيرة بالنسبة للبلدان العربية لأنها تتضمن قيمة المستوردات من الآلات والتجهيزات ، وبالمقابل فان أهميتها أقل بكثير بالنسبة للبلدان الثلاث المذكورة وذلك بسبب كون هذا البلدان قادرة بدون خسارة كبيرة على تحويل هذه الصادرات الى بلدان اخرى في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، ثم هي اصلاً لا تمثل الا رقماً متواضعا بالنسبة للقيمة الكلية لصادراتها ودخولها القومية . اما اذا تحدثنا عن ايقاف صادراتنا الى هذه البلدان ، فالامر يكون العكس تماماً إذ أن الأهمية النسبية لقيمة صادرات البلدان العربية بالنسبة لدخولها القومية هي أهم بكثير منها في البلدان الثلاث المذكورة . وبالإضافة الى ذلك فان نوعية اتاجنا تجعل من الصعب علينا أن نكون قادرين على تحويل تجارتنا الى مناطق جغرافية أخرى قد لا تكون بحاجة لمنتجاتنا بالقدر الذي نرغبه ، وفوق ذلك كله فان هناك حصيلة صادراتنا من العملة الصعبة (دولار ، استرليني) التي نمول بها مستورداتنا ، بما في ذلك التجهيزات اللازمة

(١) احصاءات مستخرجة من نشرات الصندوق النقدي الدولي .

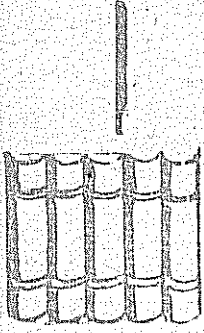
لمشاريع التنمية ، من البلدان الاشتراكية وبلدان أخرى تشترط أن يكون الجزء الأكبر من الدفع بهاتين العمليتين الصعبتين ، وهذا أمر طبيعي في مجال العلاقات الاقتصادية الدولية .

نستخلص من ذلك أن الأثر الاقتصادي للسلاح الثالث ليس في مصلحة الدول العربية كلياً . ولكن يمكن أن يكون في مصلحتنا إذا ما استعمل بشكل تام مع السلاحين السابقين ، وذلك مع الأخذ بعين الاعتبار أنه يمكن لهذه الدول أن تقاطعنا بدورها ، ولكن ألا يمكن تحويل مصدر مستورداتنا وتزويدها من الدول الاشتراكية والدول العربية التي لم تساند العدوان ؟

وخلاصة القول ان السلاحين الأولين ، النفط (من حيث وقف الضخ كليا ، ومن حيث المباشرة بتعديل الاتفاقيات القائمة) ، والأرصدة بالعملة الصعبة ، لها أثر اقتصادي وسياسي ، بينما السلاح الثالث يكون أثره السياسي أهم من الاقتصادي .

ان استعمال هذه الأسلحة معاً وفي وقت واحد وعلى صعيد الشمول الجغرافي العربي وفي الأمد القصير وضمن اطار من التضحيات من طرف الدول المنتجة للنفط خاصة وكذلك اتباعها لسياسة في التقشف هي قادرة عليها لأن طراز المعيشة فيها يمكن تكيفه دون احداث هزة في الأسواق الاستهلاكية ، يمكن له أن يحدث تأثيراً ضاعطاً وقوة في المساومة للضغط بصورة غير مباشرة على سلطات الاحتلال الصهيوني التي يتجسد وجودها بنظرنا بالمصالح السياسية والاقتصادية الاستعمارية لمجموعة من البلدان العالمية التي قد يتغير عددها وتركيبتها ، ولكن الخط الموجه في وجودها يظل هو نفسه ، وقوة المساومة يجب أن تكون مع هذا الخط الموجه بصورة مباشرة .

وفي ذلك كله علينا أن نعتد اعتماداً كلياً وتاماً على قاعدة الاستراتيجية العليا التي تمثلها تمام التمثيل في مجالات العلاقات الدولية لبحثنا «شعرة معاوية» .



الآداب

- حسن كامل الصبري
- محمد عفيفي مطر
- بمدوح عدوان
- شوقي بغدادى
- زكي قنصل
- الحق المقدس
- رقصة الخماض الثاني
- الطاووس
- دمشق تصبغ المصابيح
- ليل العروبة

الحوا المقدس

حسن كامل الصيرفي

- القاهرة -

ما لم نطهر بالظي الوطننا
من جلدجل الناقوس أو أذنا
مها يطل توقيته بيننا
للغدر - شللت - في غد يمتني
ويجوع الأمم ماقد جنى
على مدار الشمس لن تدفنا

لن تهدأ النفس ولن تسكنا
يقسم بالله وآياته
أن هيب النار لم ينطفئ
وأن حقداً زوعته يد
يُطعمه الغادر في غصّة
صدورنا تغلي ، وأحقادها

مادام فينا دم من غالبوا
وخلدوا في الدهر اسماءهم
كم غزوة بآت بجزي ، وكم
جحافل الغازين والأزمنا
وأهملوا التاريخ ما دوننا
عاد حطمتنا بأسه الأرعنا

* * *

يُقسمُ بالله وآياته
أن ترى الأرض التي خصنا
أرض مثى فيها يسوع كما
وطار فيها من ذرى مكة
والمسجد الأقصى وما حوله
تشرى بأرواح سميت عنصراً
حقاً نفديه ، وان حاولت
وشيعة تلى جراح الذي
تدفع للجنانين أجر الذي
ترشو شعوباً أسامت وجهها
أغنى بلاد الله في ما لها
أفقرها روحاً لا يغالها
تعلو الى السحاب بناياتها
لاجلس الامن ، ولاشيعه
بستطيعين انتقاض الذي

من جلال النافوس أو أذنا
بها إله الحق من حقتنا
تشي يد الآسي لتسفي الضنى
محمد مثل وضيء السننا
باركه الله لنا وحدثنا
ولم تدنسها خطايا الحنا
كتاب الشيطان أن يغبتنا
قاسى من الاندال عيسى هنا
جتموا عليه داعياً مؤمنا
لقبلة الدولار كي تدعنا
أفقرها في حسنات الفنى
في الشر تحمي جنده الأجنبنا
بأنفس لم تعل مثل البنى
تحكم فيها الدون والأدونا
أبرمه - قبل - إله الدنيا

* * *

يا باطلاً قد غرّه بارق
لن يطمس الحق وإن ساءه
ولن يقرّ الرجس في أرضنا
غداً بأرض التّيه أشلاؤكم

فاستبلس المغرور واشيّطنا
ما مَوّه الباطل أو لونا
ان ينشد الراحة أو يأمننا
تجري عليها رامسات الفنا

مائة قصيدة

من روائع شعر الحديث

اشترك في انتقائها وترجمتها من الانكليزية الى العربية:

الساعر سليمان عيسى

وناديا الياس

نشر وزارة الثقافة بدمشق

يطالبا جميع المكتبات

رقصة الحياض الثالث

محمد عفيفي مطر

- القاهرة -

هل كنت تحمل هذه الأرض القديمة في دماك
ما لي أراها إذ أراك
زيتونها الجليء يصرخ في خطاك
وشموسها انسكبت بقلبك والغيام والنجوم
يا نهرنا البشري .. في الليل العظيم
كانت طقوس الخلق والتكوين .. كان الانتظار
لهباً يعشش في ملاحج وجهك الصئب القديم ..

هذا حصان الريح يركض بين يافا والخليج
وصهيله الدموي رُمح في الظلام

قمرٌ يعللُ صليّةَ الجوعِ المؤرّقِ ، في الخيام
شمسٌ تَوْرَجُهَا مِنَا فِي الْأَرْضِ ، زهوٌّ ليس يُعقِدُ فِي الثَّارِ
هذا حصانُ الرّيحِ يصرخُ فِي لِيَالِي الْإِنْتِظَارِ :

« قومي أيا أجدات من صمت القفار

قومي أيا أجدات

قومي أيا أجدات .. »

الشمس تولد في السماء

عنقود نار

والأفقُ صقرٌ ملتهبٌ

والنخل يزحف بالطناجر مسقطاً ثمر الغضب

والأرض ترقص رقصة الميلاد ،

تقتلى السواقي بالدماء

اليوم .. أول ما رأينا من نهار

فأراك يا حيفا عزوساً للبحار

شفتاك في هذا الزمان

زمني ، وعيناك التان رأيتُ في

غورٍ بينهما الطمي المعضب والشجر

أرضي ، وفي جنينك ساقيتي القديمة ، والقمر

ما زال محتبباً خلال جدائل الشعر الغمامي الرحيم

أنفاسك الخضراء سنبلي الملية والدم الحبي الذي

ينساب في ليل العروق

ورداؤك الليلي عش البروق
كفاك بيارات زيتون وآبار ودار
وخطاك نار عتقت عشرين عاماً في الجرار
يا صوت ميلادي القديم
فجّر بجنجوتي الغناء وأشعل القلب المؤرق يا مطر ..

هذا حصان الريح يرقص في الميادين الفساح
رقصاً الهيأً يفجّر ما لعقنا من جراح
فلأرض تولد والسما
والرمل يفتح بابه الدهري .. ينفض من أجمته الرجال
والشعب يولد في الدماء والنار ،
يا قمري الحديد

هذا زمان العرس .. فارقص أيها الرعد العظيم
واحمل ربابك أيها البرق المغني في السماء ..

مجلة المعرفة — مجلة المثقف العربي

بحوث ودراسات عربية — النشاط الفكري والثقافي في العالم

الفنون المختلفة

اشترك بها يمكنك من ميزات كثيرة

اتصل بالادارة للحصول على المعلومات

الطاووس

محمد عبد الواسع

فهت اليوم صمتك والأسى المحزون في عينيك كالعتب
ودمعك حين تبسمين في طرب
فهت اليوم ما معنى انتشاء الناس بالأحزان والخمر
لماذا كان خلف حياتنا ذاك النشيج المر مستتراً بلا صوت
لماذا كنت صامتة وبأكية بلا سبب
لماذا لم تجيبيني .. وقد ناديت أحياً ولم أفهم
فنحن ، الجليل ، كورس مآتم مهمهم
ونحن نعيش أمواتاً .. ونرقص في أسى من نشوة الموت

« نسوان تبكي خجل »

« تاهت عن دروبا »

« وشباب مثل النخل »

« ع الجيش مسحوبا »

كأنك قد رأيت بعمرى الشيء الذي أخفيه عن نفسي

رأيت وراء صوتي في الغناء ، وحيناً أطرب

بأني قد خسرت العمر ، ان خسارتي قدر بلا مهرب

فدائي في شراييني

واني قد خسرت غدي

وشخت ولم أجاوز بعد عشريني

خسرت ودون أن ألعب

« ونار وصيبيتي بالجسم لدعت »

« ولو ينفع دعاي الله لدعيت »

« ولو يشفي بكاي الحزن لدعيت »

« الانس والجن يتباكوا سوى »

ولكني . .

وحيداً حائراً أقف

مليئاً بالمتاعب ،

رغبتني في النوم تخنقني

كأني ميت ملقى بلا كفن

ودون غد .. ولا حتى انتظار غد

كأني جد إبي . جد اخوتي الصغار ،

وجد نفس : خلفها أقف

وحيداً وسط صحراء

وليس سوى سراب كله صلف

بلا درب .. بلا أفق .. بلا آثار خطوات

وحيداً .. ليس لي هدف

وابلع ذكرياتي ، كالعناكب تستعيد خيوطها

وتغوص في العفن

إذا ما أرعبتها هجمة الأعداء

وها أنذا مليء المحجرين دماء

لأني كلما أوغلت في الماضي ، أتوه بزحمة الأشلاء

كذبت عليك لما قلت ان الخيل تعرفني

ويعرفني كذلك الليل والبيداء

وان الناس ، كل الناس ،

إن أضع العمامة يعرفوني

فارس التاريخ والصحراء

واني إن أضع تلك العمامة أفتقد

كالبدر في الظلماء

أنا كذباية خسرت جناحها ..

فلا نقص الذباب ، ولا أضافت في عيون الناديين بكاء

زهوت .. وكنت أحمل في دمي وطني

وسرت به طويلاً لم يكن في السير والضوضاء يتعبني
ولم أحسب حساب الريح والرمضاء
ولم أحسب حساب الموت والزمن
لان عمامي عندي :

متى أضع العمامة يعرفوني
فارس التاريخ والصحراء
ولما ذاب عني الثلج ، غاصت جبهتي في الوحل ،
ثم غرقت في أبد من الفتن
وعدتُ إليك منهوِكاً
وكان الجلد ، حتى الجلد ، يتعبني
وخلفي من خيط مد نريف الأرض والوطن

* * *

ولكني ..

بجئت ولم أجدك ، فكيف قد ضعت
وانت المرفأً الباقي .. وأسخى من سيكيني
أأنت هنا ولا ألقاك ؟ أم ذبت ؟
تراك سبية صرت ؟
وأحذية الغزاة تدوس ما صنعت ؟
وأنياب الغزاة تروح تنهش ما سألت ولم تجيبيني
بودي لو أرى عينيك في حامي الى حين
ففي عينيك آلاف من الأموات احسدهم على الموت

ووجهك ، رغم هذا الحزن ،
هذا الصمت ، أحسده على الصمت

* * *

ركضت اليك كي أهلك ، كي لا تسألني الخيلا
لثلا تسمعي قول الذي شهد الواقعة اني
قد خضتها طفلا

وان غنيمتي كانت بها ذلا
ومعذرة ..

اريدك ان تظلي الدهر جاهلة بما حلا
قفي .. ولتقبلي ذلي .. وفي أفيائه عيشي
لأني كنت طاووساً
وقد عريت من ريشي

اشترك في مجلة

المعرف

يعني حصولك عليها بانتظام وبسعر مخفض

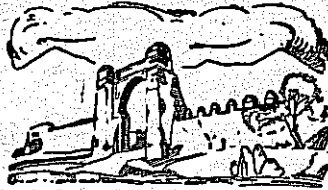
اتصل بالادارة لتسهيل اشتراكك

وشوق تصبغ المصاحح

شوقي بغدادى

دمشقي الجميلة، تُرخي الحجاب،
وتحيا بوجهٍ كثيفِ النقاب،
دمشقي قابعة، في الظلام،
محدقة، في الدجى لانام،
دمشقي تقطعُ زهاتها
وتحفت ضجةً سهراتها
وترنو فلا تبصر العاشقين،
يسرون في خفية، خائفين،
ويختلسون الهوى واجفين

دمشقي ، دمشقي - نخشى القمر
وتطرده إن ظهر
دمشقي الجميلة تحجب خدًا
وترصد هولا قريباً بدّي
وألقى القناع بعيداً ، وشدا
ليقتل هذا الوليد المفدى
وقد شب حتى السماء ، وسدا
مدينتي الآن تحيا زماناً
يقولون عنه غداً جلّ عهدا
دمشقي تصبغ كلّ المصايح
إلا العيون
فمنها يلوح
بريق ابتسامه
يبدّد هذي الغمامه
دمشقي الجميلة تبقى جميله
وإن عذبتها الليالي الطويله
دمشقي تحيا زمان البطوله



ليال العروبة

زكي قنصل

- بوانس أيرس -

حواء يهدر فيها الحقد والوهج
والقوم حولك لا اغتموا ولا نشجوا
ولا يهز هواك البلبل الهزج
خطب الذي فقد الايمان مزدوج
يجيء بعد اشتداد الحنة الفرج
نار على دمدمات الثأر تعتلج
لن يبلغ النجم في تصعيده درج

ماللدماع في عينك تختلج
تقضي لياليك في غم وفي أرق
حيران ولهان لاتغريك زنبقة
هلا انتصرت على ما فيك من وهن
الصبر خير ملاذ في البلاء ، فقد
لم يجتمع العرب للبلوى ولا انطفأت
قل الذين تادوا في ضلاتهم

هيهات ترشده الاقباس والسرج
 غضبي فتجرف من خانوا ومن خرجوا
 ومن توانوا ومن في إثرهم درجوا
 الى مواكبة الاقدام والمهجم
 فليس في خلقها عيب ولا عوج
 على مواردنا الاحلال والمهجم
 وينهش القيد رجليها فينزلج
 كالروض يندوي ويبقى النور والارج
 ان سوف نخرجهم من حيثنا ولجوا
 والسيف حجتنا ان اعوزت حجاج
 لكننا القبر للأجلاف ينفرج
 ومرو فيها بزاة القرب واندرجوا
 سوى اساطير بالعنات تتخرج
 وليس في صدرنا ضيق ولا حرج
 نار العجاج ، وماد السهل والجرج
 دم يراق ... ويستهوهم غنج
 فان اهاب بهم صوت العلي عرجوا

من ليس يرشده عقل وموعظة
 غداً تهب رياح الحق صاخبة
 ومن تراخوا ومن ماتت عزائمهم
 الله اكبر نادى المجد واستبقت
 انا لمن امة طابت ارومها
 تأبنت حولها الاطاع واجتمعت
 بعضها الجرح لكن لايزلها
 ماودعت امل الا الى امل
 لمن غزاها عبيد السوط فليثقوا
 الحق عدتنا في حرب باطلهم
 دار العروبة للاحلاف مضيقه
 سطا عليها غزاة الشرق واندرثوا
 لم يبق منهم ومن آثار دولتهم
 الله يشهد ليس الحق شيتنا
 لكن اذا غمز الزاري كرامتنا
 لتبرأ الضاد بمن لا يجر كهم
 يجررون في حلبات الغزي عاصفة

* * *

بينتم دولة العدوان فابتهجوا
 هذا هو المثل الأعلى لمن نهجوا

يا آل صهيون - والدنيا مداولة -
 «بلفور» اعطاكم من جيبنا وطناً

وزفرة الشيخ في اسماعكم هزج
فربما افترستكم في غدٍ ليج
ومن يعشّ اهوجاً اودى به الهوج
لكنما فجرها لا بدّ منبلج
ما دام فيهم دم الايمان يخرج

دمع اليتيم شراباً في مجالسكم
لا تتركوا حسوة في كأسكم لغد
من يزوع النار لم تسلّم اصابعه
ليل العروبة داخي الوجه معتكر
لن يسكت العرب عما قد ألمّ بهم

دراب الواسع

مجموعة من الشعر الحديث

حسان

أحد كبار مشيلى المدرسة الشعرية الجديدة فى القطر السورى

صدر عن وزارة الثقافة - دمشق

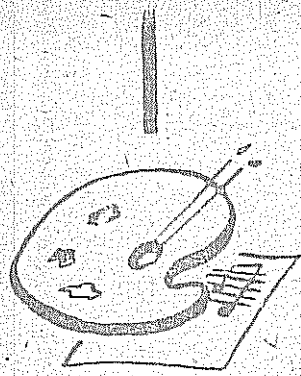
معهده فجمع الكتابات

تحرص المجلة على التعريف بنتائج الفكر العربي الجديد بصورة خاصة ، ونتائج الفكر العالمي بصورة عامة . ويسعدنا أن تتقبل شاكرة الكتب الجديدة التي تصدرها دور النشر العربية والأجنبية ، أو التي يبعث بها الينا مؤلفوها ، ليصار الى دراستها وعرضها في حقول المجلة .

— المقالات التي ترد الى المجلة ، لاتعاد الى اصحابها ، نشرت أو لم تنشر .

— ترجو المجلة من الكتاب الذين يبعثون اليها بمقالاتهم ومجوتهم ، أن تكون هذه مكتوبة بخط واضح جداً (والأفضل أن تكون مطبوعة على الآلة الكاتبة) وأن تتضمن اسم كاتبها الحقيقي كاملاً ، وعنوانه واسمه الأدبي الذي يرغب في أن ينشر مع مقاله .

— ترجو ادارة المجلة من مشتركيها ومن أصدقائها الذين ترسل اليهم المجلة هدية ، أن يعلموها كتابياً عن كل تبديل يطرأ على عناوينهم .



الفنون

الكتاب والموضوعات

حوار مع الفنان الناقد صبحي الشاروني

• نبيل فرج

حوار مع الناقد الفنان

صبحي الشاروني

بئيل فبج

- القاهرة -



الفنان الناقد صبحي الشاروني

وظيفة الفن اثناء المعركة
الى اين توجه حركة الفن التشكيلي في بلادنا
المدرسة التجريدية في الميزان
القيم التي يضيئها شباب الفنانين
المعاصرة هي استيعاب التراث والاضافة اليه
سر تعدد الاساليب الفنية
الاشتراكية والفن والمستقبل
الالتزام بين الأدباء والفنانين
القيمة الاقتصادية للآثر الفني القديم
العمل الفني بين التفسير والمحاكمة
وبين اطلاق والنقد

يعيش تحت سماء القاهرة ثلاثة أخوة اشقاء يشتغلون بالثقافة ، لكل واحد تخصصه واستقلاله ، ولهم جميعا آثار على مستوى عال من الاصاله والابداع ، يساهمون بها في الحركة المعاصرة ، وهم : يوسف الشاروني القصاص وصاحب الدراسات الأدبية ، ويعقوب الشاروني الكاتب المسرحي ، وصبحي الشاروني الفنان والناقد التشكيلي .

الا ان صبحي الشاروني يعد في الحياة الفنية واحداً من انشط النقاد التشكيليين ، واقواهم ايمانا بدور الفن في خدمة الحياة اليومية . وقد خاض من اجل ذلك ، خلال مناقشة الوظيفة الحقيقية للفنون ، كثيرا من المعارك النقدية ، لم يتخذ فيها موقف الحد من حرية الفنان ، بل كان داعية للحرية ذاتها .

والى جانب حرفة الناقد المسؤول التي يؤديها صبحي الشاروني ، قل من يعرف انه يضم بين جوارحه فناً مقتدرا ، يمارس تخصصه في النحت والخزف الذي بدأ اثناء دراسته بكلية الفنون . وقد اشترك باعماله منذ ١٩٥٤ في المعارض العامة ، وعرض في دورة بينالي الاسكندرية ١٩٥٧ .

وككل فنان يشتغل بالنقد ، يتميز انتاج صبحي الشاروني باقتحام المشاكل الفكرية ، وتناول القضايا المعاصرة التي يقف على قمة الوعي بها .

من ذلك تمثاله « اهل الأض » (١٩٥٨) الذي يصور فلاحا عاريا نحيلاً ، من فرط البؤس ، يسند ذقنه على ظهر كفيه على ركبتيه المضمومتين ، في وضع اليقظ المتحيز المليء بالانفعالات ، يطرح به قضية الفلاح المصري الموضوعية ، التي تركزت عليها الشاعر ، بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وينبه الأذهان الى الشظف الذي يثقل اولئك البؤساء ، وهم ينفذون عن كاهلهم بقايا الاقطاع .

ولا تؤثر هذه المضامين التقدمية عنده على جمال التكوين او اكتمال الشكل . فلتتعرف عن كثر على تاريخ حياة هذا الفنان .

* * *

تخرج صبحي الشاروني (٣ ابريل - نيسان - ١٩٣٣) في كلية الفنون الجميلة بالقاهرة دفعة ١٩٥٨ بدرجة الامتياز مع مرتبة الشرف . ولكنه يشتغل بالنقد في الصحافة المصرية قبل هذا التاريخ بسنوات ، منذ ١٩٥٤ على التحديد ، في فترة انتقال من العصر السابق الى اللاحق ، تنقل خلالها من مجلة « الاذاعة » الى « صباح الخير » ثم استقر به المقام محررا اساسيا بصفحة الفنون التشكيلية الاسبوعية بجريدة « المساء » التي انتظم صدورها منذ انشاء الجريدة سنة ١٩٥٦ ، حتى العدوان الذي على الامة العربية في يونيه (حزيران) ١٩٦٧ .

ومن موضعه بدار التحرير للطبع والنشر ، يساهم الشاروني في تحرير مادة الفن التشكيلي بجريدة « الجمهورية » وفي البرامج الفنية بالتلفزيون العربي واذاعة القاهرة .

أما دراساته المطولة عن تاريخ الحركة الفنية في بلادنا وتياراتها وفنائها ، والمعارض الهامة ، فتوزع بين مجلات : « المجلة » ، « الفكر المعاصر » ، « الكاتب » . كذلك صدر للشاروني في اواخر ١٩٦٦ عن دار القومية للطباعة والنشر (دار الكاتب العربي حاليا) ، كتاب هام بعنوان « عبد الهادي الجزائر - فان الاساطير وعالم الفضاء » ، استنقذ به من الضياع ذكرى فنان معلم من القلائل الذين عبروا عن العصر ، بكل متناقضاته وتطلعاته ومكاسبه .

والجزائر هو الذي فقدته الحياة الفنية ببلادنا في مارس (آذار) ١٩٦٦ ، بعد

اشهر من فوزه بجائزة الدولة التشجيعية في التصوير الزيتي ، عن لوحة « السد العالي » ، التي تعتبر اهم آثاره جميعاً ، واكثرها استجابة للحضارة العربية .

ويعد الشاروني الآن كتابين آخرين : الاول عن الفنان السكندري الراحل محمود سعيد (٨ ابريل- نيسان- : ١٨٩٧ - ١٩٦٤) الذي كرمته الدولة سنة ١٩٦٠ بالجائزة التقديرية ، والثاني عن الفنان الشاب صلاح عبد الكريم (١٩٢٥-) الذي فاز سنة ١٩٦٦ بجائزة الدولة التشجيعية في النحت الزخرفي عن عمله الفني البديع المتعدد المستويات «قاع البحر» ، الذي يزين فندق فلسطين بالاسكندرية . وكان الشاروني قد كتب في جريدة « المساء » مقالة تقيمية عن صلاح عبد الكريم ، عقب اعلان فوزه وتسليط الاضواء عليه ، يعرف الناس به كقنان واعد يقف على المستوى العالمي باعماله المركبة من نفايات الحديد والمعادن الاخرى .

ولأن الشاروني على وعي ثقافي كبير ، لا تقتصر كتاباته الواضحة على الفن والفنانين ، وما اكثر الذين يعتبرونه ناقد هم الأول ، بل تتسع سعة آفاق الفكر الانساني .

وتحت عنوان «الغربة والاعراب والاعتراب في الحياة والفن والفكر» ، يجمع في كتاب يصدر قريباً دراساته التي عقدها مع عدد من كبار الكتاب والفنانين والمفكرين في مصر .

انه في كلمات قليلة ناقد تقدمي متبصر ، دفع الى مضائق الخلق الفني ، قد دعمت معرفته بخفاياه واسراره ، وهو صاحب دعوة يتعصب لها ويطبقها بحرفيتها يؤمن بالاشتراكية والتطور والانسان ، ويساهم بنصيب وافر في تعميق المفاهيم بها . لاغرو انن أن يتوقع المرء له أن يتبوأ مكان الريادة في مجال النقد الفني .

وفي لقاء مع صبحي الشاروني برسمه بشارع الهرم بالجيزة ، على مشارف القاهرة ، في أواخر مايو (أيار) ١٩٥٧ ، دار الحوار التالي :

— نخوض الجماهير العربية في هذه الأيام أخطر معارك العصر الحديث .
فليكن مدخلنا تحديد وظيفة الفن في غضون هذه الظروف .

● تتميز المعركة الراهنة بالأحداث السريعة المتلاحقة ، التي نكاد نلهمث ونحن نتابعها .

كما ان طاقات الانفعال والحماس المتولدة عنها لاتدع للفرد فرصة التأمل او التمييز .

ولما كان فن المعركة سلاحاً من الاسلحة الوطنية ، وجب أن يتوفر فيه شرط سهولة تلقي الجماهير له ، بفضل الوضوح ، والبساطة ، والتعبير المباشر عن احداث الساعة .

ولهذا ففن المعركة ببساطة هو فن المصقات والرسم السريع الذي يؤدي دورين في آن واحد : الاول هو تفريغ الطاقة الانفعالية الهائلة المحتدمة في نفس الفنان ، والمنعكسة عن الأحداث . والدور الثاني المشاركة بالفن في تعبئة الجماهير ، بنفس القدر الذي عيى به الفنان .

لذلك ، فما اقل الاعمال الفنية ، من نتاج المعركة ، القادرة على البقاء والتأثير زمنياً طويلاً .

ويكفي الاغلبية العظمى من الاعمال الفنية أن تنهض باداء دورها المباشر والفعال ، وان فقدت فيما بعد قدرتها على التأثير الجمالي الخالص .

— هل يمكن تحديد ابرز معالم حركة الفن التشكيلي في مصر ؟

● تنحصر هذه المعالم في استلهاهم التراث الفرعوني القديم ، الذي توعرع في الفترة الاولى ، مع نشأة حركة الفن الحديث ، وكان قطباها محمود مختار في النحت ، ومحمود سعيد في التصوير .

تلا هذه البداية الاتجاه الى الفنون الغربية المعاصرة والتأثر بها ، كما في اعمال صلاح طاهر ، وسيف وانلي ، وماهر رائف مؤخراً .

ومنذ الخمسينيات بدأ الفنانون يتطلعون الى الاشكال الشعبية التي ينتجها ابناء الشعب في المدينة والريف ، وخاصة في النوبة ، على نحو ما نجد عند عبدالسلام الشريف وسعد كامل .

ويخدم داخل الحركة الفنية صراح غنيف بين انصار التشخيصية ، ومعظمهم يؤمنون بدور الفن الفعال في معركة الحياة ، وبين انصار اللاتشخيصية او التجريديين ، ولو انهم خلال المعركة يتخاون عن اغراقهم في الشكل .

ويعكس هذا الصراع مرحلة التحول الاستراتيجي التي لا تزال قائمة في مصر ، لم تدحض فيها بعد الى النهاية القيم القديمة .

والحق أننا لن نصل الى نتيجة حاسمة ، يتبلور لنا فيها فن قومي محدد الملامح ، الا اذا تم بالفعل التحول الاستراتيجي .

وقد سبق هذا الصراع بسنوات صراع آخر بين عبدة الطبيعة من جهة ، والمطالبين بالتححر من قيودها من الجهة المقابلة ، اسفر عن تكوين ثلاث جماعات فنية ، تناصر التححر من التزمم الاكاديمي والخضوع للاشكال الطبيعية ، هي : « الفن والحربة » (١٩٣٩) ، « الفن المعاصر » (١٩٤٦) ، « الفن الحديث » (١٩٤٧) .

— ما هي عيوب التجريدية وفضائلها ، وما موقفنا ازاءها ، وما مستقبلها عندنا ؟

● لعل اكبر عيب في المدرسة التجريدية هو اغراق فنانها في ذاتيتهم ، وتقوقعهم في اجاث شكلية بجمته ، تتعد باعمالهم عن تناول القضايا الحية ، سواء

السياسية او الاجتماعية او النفسية . ولا ادل على ذلك من انهم يهجرون مدرستهم العقيمة ، تحت الحاح الاحداث الوطنية ، ويلجأون الى الشخصية . ومع هذا فقد استطاعوا أن يضيفوا بأبحاثهم الشكلية ما يفيد الفنانين الموضوعيين ، ويثري أعمال الفن النفعي الذي يجمل حياتنا اليومية . على هذا الاساس يجب ان نأخذ هذه المدرسة في الظروف العادية بمحذر شديد ، فلا نرفضها جملة ، ولا نقبلها جملة .

اننا حقا نرفض الارضية الفلسفية المتمايزيقية التي ترتفع عليها ، القائلة بأسبقية الفكر على المادة ، واعتبار الذهن البشري قادراً على خلق اشكال من العدم ، ليس لها وجود سابق في الطبيعة .

سوى اننا ، في نفس الوقت ، نقبل ماتقدمه من تجارب تكتيكية في التشكيل ، لها اساسها العلمي التجريبي .

وتشهد بلادنا في السنين الاخيرة اعمالاً فنية ناجحة ، تسعى الى المزاوجة بين القيم التجريدية والقيم الموضوعية ، ابرزها اعمال صلاح عبد الكريم ، واثوق ان يكون لها المستقبل .

— هل يمكن اعتبار هذه المزاوجة ، القيمة الجديدة التي يضيفها الشباب

الفنانين الى الحركة المعاصرة ؟

● ليس بالدقة . انما الأفضل ان نقول ان أهم قيمة يتم صياغتها الآن بين شباب الفنانين في مصر ، هي ايجاد الصيغة الملائمة لانصهار القيم الشكلية الراقية التي ظهرت في الفنون التاريخية على المدى مع القيم الانسانية المعبرة عن روح العصر وواقع الحياة ، دون أي قسر من قبل الفنان او تعنت .

— بم تعرف الفن ، وما معنى المعاصرة فيه ، وما أسلوبه الأمثل ؟

● الفن عندي محصلة لشكل الحضارة ، ومكونات البيئة الموحدة أو

المتناقضة .

والمعاصرة هي ان يستوعب الفنان جيداً كافة مانتج في عالم الفن ، حتى يستطيع ان يضيف اليه افكاره عن العالم او انفعالاته او احساسيه .

وليست الفنون القديمة سوى لبنات في البناء الفني الشامخ للتراث الانساني .

ويخطيء من يحدد اسلوباً أمثل للفن . ان كل اسلوب يعبر باصالة عن

عن الواقع المعاش ، سواء كان ذاتياً او انسانياً او عالمياً ، هو بالضرورة

الاسلوب الامثل .

— كيف تفسر تعدد الاساليب الفنية في الوسط التاريخي والاجتماعي

الواحد ؟

● يرجع السبب الى تعدد وتشعب اتجاهات الفكر العالمي التي يتأثر

بها فنانون الوسط الواحد ، في وقت لا تزال فيه حضارتنا في طور التجريب والنمو ،

لم تصل بعد الى الصيغة الملائمة الشاملة للتعبير المطابق لروح العصر .

ولكنها بالغة اياه حتماً .

— الا يمكن ان تذكر اسماء الفنانين الذين تتمثل في اعمالهم الروح

الحقيقية للعصر الاشتراكي ؟

● لا يوجد حتى الآن فنان يمكن ان يتمثل في اعماله الروح الحقيقية

للعصر الاشتراكي ، لسبب بسيط وهو ان هذا العصر لم يتحقق بعد .

ومجيئه سيخلق فنانيه بلا شك .

اما الفنانون المعاصرون ، وخاصة الامجايين في انتاجهم ، فانهم يقفون

عند حد التبشير بهذا العصر .

— ماهو مستقبل الحركة الفنية في ظل الاشتراكية ؟

● هذه مسألة تقديرية بحجة . لاتتعدى حد التبؤ والحدس . الا انه بوسع الناقد ان يرجح انكماش حجم الفن الخالص ، وربما اضمحل كلية ، واقتصر مكانه داخل المتاحف .

وسيكون من العسير جدا ان يوجد في ظل المجتمع الاشتراكي فنانون ينتجون للمتاحف ، على نحو ما يحدث الآن .

اما الفنون ذات الاستخدامات اليومية ، التي تدخل حياة الانسان ، فاني اتوقع لها منتهى الازدهار ، لما تحققه من انسجام مع هدف توفير الرفاهية الاقتصادية لجميع الناس ، عن طريق توظيف الفن في خدمة الحياة اليومية .

— من الظواهر الطريفة عندنا زيادة عدد الادباء الملتزمين على عدد

الفنانين التشكيليين الملتزمين . وبمنظرة يمكن ان نلاحظ ان الاول ابعد اثرا في حياتنا ، فهل يرجع ذلك الى طبيعة الادوات المستخدمة عند كل طائفة ؟

● نحن نتج بشكل عام ، في غير اوقات المعارك الوطنية ، فنا

للمتاحف ، كما اشرت من قبل . وقصارى الفنان الملتزم الآن ، من بين فنانى المتاحف اولئك ، ان يضمن أعماله (التي لا يعرف مصيرها بالضبط) بعض القيم الانسانية والفكرية التقدمية .

لذا كان عدم الالتزام اكثر انسجاما مع هذا الوضع ، لاطبيعة الادوات المستخدمة كما تذكر ، لان حركة الفن التشكيلي لم تحقق للاسف من الشروع الجماهيري ، ومن ثم بعد الاثر ، ما تحقق للادب .

ويوم ينتج الفن تحت الحاح مطالب الجماهير ، ليس فقط نتيجة الدافع الذاتي للفنان الذي يضرب به احيانا في الفراغ ، سيتعدى عدد الفنانين الملتزمين زملاءهم الادباء ، ويصبح الفن غذاء ضروريا للملايين .

— من اي زاوية يتناول الناقد الآثار الفنية القديمة : مرتبطة

بعصرها وحده ، او قيمة ماثلة في كل العصور ؟

● شغلت مشكلة بقاء وخلود الاعمال الفنية القديمة كل علماء الجمال والفلاسفة والنقاد ، وواجهوا جميعا قضية زيادة الاقبال عليها عصرا بعد عصر .

وفي يقيني ان زاوية الرؤية التي نطل منها على الاعمال الخالدة هي التي ترفع من قيمتها ، لانها بالتعبير الاقتصادي تساوي نفسها عدد السنين التي عاشتها .

اضف الى ذلك الخاصية المميزة للعمل الفني التي تناقض كل السلع الاخرى ، اذ انه لا يستهلك بزيادة مريديه ، بل على العكس يشيع خبره ، بتناسب مطرد ، ويزداد المقبولون عليه .

ان سرقة لوحة روبنز في مصر نهبت الاذهان الى القيمة الاقتصادية لاعماله الفنية ، وهو ما لم يلتفت اليه الكثيرون قبل الحادثة الشهيرة ، وضاعفت بالتالي من عدد الجمهور المستعد لدفع رسوم دخول اي متحف يضم اعماله .

ويؤدي هذا بالضرورة الى ارتفاع قيمة هذه الأعمال اقتصادياً وجمهيرياً . وترتبط الاعمال الخالدة بعصورها التي انتجت فيها ، ارتباط النبت الخاص بالارض الخاصة ، سواء في مجتمع المشاع البدائي على جدران الكهوف ، أو الحضارات القديمة القائمة على اكتاف العبيد ، او حضارات البنخ في العصور الوسطى الاقطاعية ..

ولكننا عندما ننظر اليها الآن لا نناقشها من زاوية البيئة التي صيغت خلالها ، ونطبق عليها الأقيسة العالمية والموازن الدقيقة ، بل ننظر اليها كتحتاج لفترة الطفولة البشرية ، ونفرح بها كما نفرح بالكلمة الاولى ينطق بها الطفل .

وجلي أن هذه الاعمال الصادقة تختلف عن تلك التي قصد من ورائها خدمة الأسياد .

— اين تقف مفاهيمك عن العالم اثناء استجلاء معاني الاثر الفني ؟

● عندما اسأهد عملاً فنياً فاني انحلي تماماً عن كل النظريات والافكار السلفية التي استوعبتها من قراوتي ودراساتي ومناقشاتي ، والقي بنفسي في احضان هذا العمل ، انشد الاستمتاع الكامل الذي لا توجهه اي معرفة .

وخلال عملية الاستغراق في الاثر الفني اكون ، يادى ذي بدء ، حكماً اولياً ، احاول بعد ذلك ان اتوصل بطريقة عقلية الى اسبابه .

وتتطلب هذه العملية عادة رؤية العمل الفني اكثر من مرة . وافضل ان اقول الالتقاء به أكثر من لقاء ، حتى اتمكن من التوغل في اسراره الباطنية ، واستساغته ، وتمثله .

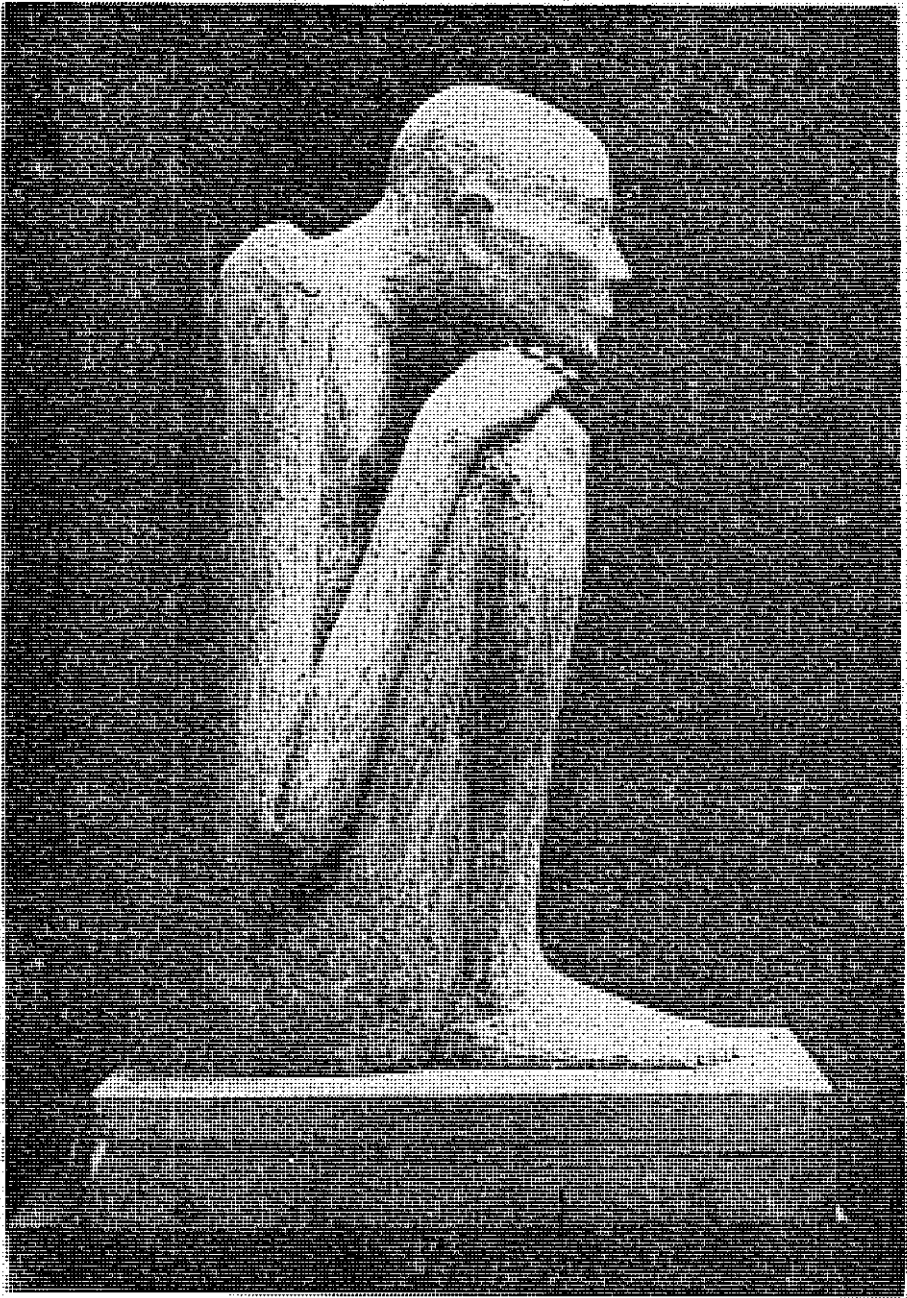
وبعد ذلك تجيء عملية النقد ، التي يتحول الناقد فيها الى موقف المعرف بالاثر الفني ، المحلل لعناصره .

وهو موقف اعلامي في المحل الأول ، يتضمن جانباً من التقييم ، وجانباً من التوجيه . ولعلنا في هذه المرحلة بحاجة الى نقاد يعرفون بالاعمال الفنية ، ويقربونها الى الجماهير ، اكثر من حاجتنا الى نقاد يشترحون العمل الفني ويقاضون الفنانين .

— بوصفك فناناً تمارس الخلق الى جانب الاشتغال بالنقد ، احب

ان يكون سؤالى الاخير عن كم التلقائية في انتاجك بالنسبة للوعي والارادة؟

● العملية الفنية عندي عملية متبادلة : تبدأ بالفكرة تخطر على الذهن فاتحيل الشكل الذي سيكون عليه العمل . ثم اصطدم عند التشكيل بواقع الممارسة وضرورتها واحتياجاتها .



أمنhotep الثالث - ارتفاع ١٢٠ سم - لاس فيغاس، كاليفورنيا

وعندئذ اطلق العنان لكل الكوامن التلقائية في نفسي ، ثم اعود وناقش
بعين الناقد ما فعلت ، محوراً ومغيراً وفق ما تمليه علي هذه العين الناقدة .

ثم اعود لاسلم نفسي الى التلقائية مرة أخرى ، وهكذا .. الخ حتى
يستوي العمل بين يدي ويتكامل .

والملاحظ انه بقدر سيطرة العين الناقدة على العمل الفني يخرج منفقاً ،
وتطبق عليه المقاييس المقررة ، ولكن جامداً يكاد يخلو من الحياة .

وبقدر ما توجه التلقائية يكون جيداً نابضاً ، ولكن على حساب النظريات
الجمالية المعروفة .

ومحاولة التوفيق بين العلم والفن ، بين العقل الدارس الواعي والعاطفة
الفطرية ، دون التضحية بأحد العنصرين ، هو قضيتي الدائمة التي أعانيها في الحلق .

تصويب

لوحة (صامدون) في الصفحة ١١١ من العدد الماضي من « المعرفة » ٦٦
(آب - أغسطس ١٩٦٧) كتب تحتها (الفنان صلاح طاهر) ، والصحيح انما
الفنان حسين بيكار .

كتاب المعرفة

د . يوسف شقرا

الاشتراكيون

نبيلة الرزاز

الحاض

مع الأحداث العربية

ألفة الادلي

لقاء أخير مع الأديبة الراحلة

سميرة عزام

فنون

غازي الخالدي

— لوحات جديدة ومعرض

متجول حول المعركة

كورغان

— متحف دوستوفيسكي —

ترجمة سامي دمير

— حب

ظافر عبد الواحد

في المكتبة العربية

مشام الدجاني

مجلة المجلات

نداء من المثقفين العرب

اخبار ثقافية

جولة الشهر

اديب الجمي

الامبريالية وحق الشعوب

كتاب المعرفة

الله تراليون

ANDRÉ PHILIP

P
POLITIQUE

les Socialistes

1905



1936



1956



Ce qu'ils ont été.
Ce qu'ils sont aujourd'hui.
Malgré **Suez** et **l'Algérie**,
malgré sa **bureaucratie**
la **S.F.I.O.** est restée
l'épine dorsale de la Gauche...
Et voici
ce que devrait être **le socialisme**
d'une société moderne.

SEUIL

أندره فيليب

عرض وتحليل:
د. يوسف شقرا

بقيادة ليون بلوم ، ومن ثم يأتي على ذكر
الاميرال الذي مني به الحزب ولاسيما
البيروقراطية فيه . وفي الناية يقترح فيليب
حزباً اشتراكياً جديداً اميناً لأخلاقه التقليدية
ويتلاءم في الوقت نفسه من حيث التكنيك
والتنظيم مع المشكلات التي يطرحها العالم
المعاصر .

* * *

ولد الحزب الاشتراكي الموحد في نيسان
عام ١٩٠٥ من توحيد عدة جماعات صغيرة
ذات اتجاهات سياسية مختلفة كانت قد تكونت
منذ عام ١٨٧٠ ، ولكن الافكار الاشتراكية
كانت قد عرفت قبل ذلك التاريخ كورد
فعل ضد المظالم والآلام التي تعرضت لها
الطبقة العاملة من قبل الرأسمالية . والكتاب
لايتعرض لمختلف اشكال الاشتراكية الطوباوية
التي عرفت من خلال ثورة عام ١٨٤٨ ومن
خلال ثورة الكومون لان هذه الاشكال لم
ترتبط بحركة سياسية تعبر عن تطلعات العمال ،
ولأن الطبقة العاملة الحقيقية لم تبدأ بالظهور
فعلا الا اعتباراً من عام ١٨٧٠ وهو التاريخ
الذي انطلق منه اندره فيليب لتأريخ الحركة
الاشتراكية .

ولن ندخل في تفصيلات الحركة
الاشتراكية الفرنسية ولا في الانقسامات التي
تعرضت لها ، ولا في حياة كثير من قادة
الحزب الاشتراكي الفرنسي للمبدأ الاشتراكي
والاخلاق الاشتراكية ، ذلك لايبي الكثرة

في السلسلة السياسية التي تصدرها دار
«سوي الفرنسية» للنشر صدر مؤخراً كتاب
جديد للمفكر الاشتراكي الفرنسي . اندره
فيليب ، وعنوان الكتاب هو «الاشتراكيون» .

واندره فيليب شخصية معروفة في العالم
وفي الوطن العربي فلقد كان من اوائل الاشخاص
الذين رفضوا الاستسلام أمام قوات الاحتلال
النازية لفرنسا وكان وزيراً للداخلية في
الحكومة الفرنسية المؤقتة برئاسة الجنرال
ديغول في لندن وفي الجزائر ، كما كان رئيساً
للجنة الدستور للجمعية التأسيسية الأولى بعد
التحرير ثم اضحى وزيراً للمالية والاقتصاد
منذ عام ١٩٤٦ حتى عام ١٩٤٨ . وهو
حالياً استاذ في كلية الحقوق والعلوم الاقتصادية
في جامعة باريز . ومن أم مؤلفاته « أوروبا
الموحدة » و « الاشتراكية التي خناها » .
لقد دخل اندره فيليب الحزب الاشتراكي
الفرنسي منذ عام ١٩٢٠ ولكنه ترك هذا الحزب
عام ١٩٥٦ عندما شجب موقف غي موليه
من قضية الجزائر ومن المشاركة في العدوان
الثلاثي على مصر اثر تأميم قناة السويس ،
وانشأ حزباً جديداً اشتراكياً يسارياً .

والكتاب الذي تقدمه لقراء العربية
يتحدث عن الحزب الاشتراكي الفرنسي
وتطوره والمراحل الحاسمة في تاريخه . فهو
يبدأ البحث عن ولادة الحزب الاشتراكي
وتأثير جان جوريس الكبير فيه ، وعن
الانقسام الذي حل فيه ، وتجربة الجبهة الوطنية

الساحقة من القراء العرب وان عني به بعض الباحثين والمتخصصين؛ تعيننا قبل كل شيء النتائج التي استخلصها المؤلف من هذه الدراسة والتي سنركز عليها جهداً في التلخيص لهذا الكتاب القيم في وقت يمنا فيه تقييم حركة اشتراكية من قبل احد كبار قادتها ومؤسسيها بغض النظر عما جاء في الكتاب من آراء تستدعي المناقشة .

* . *

١ - الثورة الزراعية :

ان المشاهدة الاولى التي تلفت النظر هي الالهية القصوى للمشكلة الزراعية . ولقد لفتت الزراعة انظار الاشتراكيين قبل الحرب العالمية الاولى ووحده الحزب الاشتراكي برنامجه الزراعي الذي يقوم على تأميم الملكيات الكبيرة وعلى الدفاع عن صغار الفلاحين وعلى تعدد التعاونيات الزراعية .

ولم تعرف فرنسا الثورة التقنية الزراعية التي عرفتها بريطانيا في القرن الثامن عشر والتي انطلقت من الاملاك الكبيرة ، كما انها أهملت الأخذ بالثورة الزراعية الثانية في القرن التاسع عشر التي طبقتها كل من الدانمرك وهولندا وبنجاح ، اعني بها الانتقال من زراعة الحبوب الى تربية الحيوانات ، أما اليوم فان البلاد بأسرها تلتزم ثورة جديدة تطبق العلم على الزراعة وتستخدم الاسمدة استخداماً

كثيفاً وتستعمل البذور المنتقاة بالاضافة الى المكننة الزراعية .

ونتيجة لذلك زاد الانتاج الزراعي خلال السنوات الخمس الاخيرة بمعدل ٩٪ سنوياً كما زادت الانتاجية بمعدل ٤,٥٪ بالغة بذلك رقماً أعلى من الازدحام المتوسط للانتاجية الصناعية . ولا كان الاستهلاك الوطني لايزداد بالنسبة ذاتها فينتج من ذلك حالة مزمنة من الانتاج الوطني الفائض مما يتم اللجوء باستمرار الى التصدير وبخاصة الى البلدان الاوربية . وثمة ميل أيضاً الى تخفيض نسبي للاسعار الزراعية بالنسبة الى الاسعار الصناعية مما يؤدي ، ان لم يكن الى انخفاض في الدخل الزراعي ، فالى تقدم ابطاً من التقدم الحاصل في الدخول الاخرى .

ونتيجة لذلك حصل تحول عميق للنسبة الاجتماعية في الريف اذ بدأ الصناعيون في ادراك الفائدة التي يجنونها من استثمار رساميلهم في عمليات زراعية . ولقد شاهدنا ظهور مشروعات صناعية تتحرر شيئاً فشيئاً من الارض ولاسيما في ميدان تربية الدواجن وتربية الجنائز .

ولكن الجيل الجديد من الريف قد غير عقليته ، فبينما كان آباءه لايفكرون الا في توفير المال لشراء الأراضي السقي لا يستطيعون استغلالها بكفاية لنقص الوسائل وكانوا يرون اللجوء الى القروض عاراً ، فان الشباب لايترددون في الاستقراض ليحصلوا على

تكاليف الانتاج الزراعي . ولهذا فان عدداً من الفلاحين الشباب أصبحوا يطالبون بتأمير الأرض التي يمكن ايجارها الى مزارع من اجل الزراعة او الى تعاونية من اجل اقامة المباني مادامت تعود للمدينة او للمنطقة او للدولة .

اننا نشهد اذن ولادة اشتراكية زراعية تنظر الى الزراعة كهنه منظمة على اساس تعاوني في اطار من خطة اورية للانتاج الزراعي . ان هؤلاء المزارعين الشباب يطالبون حقاً بتدخل السلطات الاوربية العامة في تحديد الحد الأدنى من الأسعار . ولكن أم من ذلك ، فيما يبدو لهم ، انما هو التربية المنية والاعداد التقني والمساعدة في جعل التني حديثة وعصرية . ان اشتراكية الأرياف هذه اذا ماربطناها بالثورة التقنية الجديدة تبدو قوة مبدعة مستقلة . والفلاحون الشباب يرون ان يصنعوا سلامتهم بأيديهم بخلق مؤسساتهم الخاصة بهم . ولا تتدخل الدولة ، وهي الدولة الاوربية طبعاً ، إلا باعداد الخطوط الكبرى للتشريع والابتهتسة الاطار الخاص بتشجيع مباداهاتهم .

٢ - تطور الصناعة والثورة التقنية :

وفما يتعلق بالصناعة تظهر تحولات أخرى .

١ - تصدع الحرفيين التقليديين :

لقد تجمعت الأسر الكبرى التي حقق

مرأس المال اللازم للاستغلال . وعلى النقيض من آباتهم فانهم لايعنون بشراء الأراضي مكتفين بان يكونوا مزارعين اذا توافر لهم الأمن واذا كانت أجرة العقار السني يدفونها قد حددها القانون .

وغة عدد منهم يبيعون مالدتهم من حصة في الاراضي ويقيمون في المدينة كصناع وتجار صغار وموظفين عندما يلاحظون عدم كفاية الدخل الذي يحصلون عليه . ولقد انخفض عدد السكان الزراعيين من الذكور عام ١٩٥٤ وعام ١٩٦٢ من ٣٥٠٠٠٠٠٠ الى ٣٥٧٧٠٠٠ كما انه يغادر الريف بين ١٥٠ - ١٦٠ الف مزارع سنويا . ومن يبقى منهم يفكر اما بشراء الأراضي التي شغرت او باستمجارها ويطالبون تطبيق حق الشفعة لهم عليها ، ولما كانوا يلاحظون ان الوسطاء الكثيرين هم الذين يتحكمون بسوق المواد الغذائية وان المرباح تتحقق من جراء تحويل المحصول الغذائي وتوزيعه بشكل أفضل ، ما هي عليه في انتاجه ، لذلك فانهم يكتثرون من تعاونيات المبيع والشراء ويتعاملون مباشرة مع لجان المصانع وتعاونيات الاستهلاك في المدن .

ومن جهة أخرى لم يعد الناس يبحثون عن الأرض كوسيلة للزراعة وحسب بل اصبحت في الريف ، ايضاً هدفاً لمضاربات عقارية من اجل توسيع الطرق او اقامة المباني ، مما زادني قيمتها وادى بالتالي الى زيادة

تمويلها الذاتي في القرن التاسع عشر النمو المنتظم والبطيء للانتاج في شركات مساهمة تجاوزت مركزها المالي والتقني الحدود المألوفة. وفي الصناعة الحديثة لم يعد رب الحرفة متعبداً فريداً ولكنه أصبح منسقا لأعمال تقنيين متخصصين . وأضحى الصفات التي تطلب منه مماثلة لصفات تطلب من وزير مسؤول عن ادارة فهو يعطي توجيهات عامة الى فرق مسؤولة . واخيراً فهو ينفصل شيئاً فشيئاً عن الادارة التقنية لمصنعه الذي عهد به الى معاونيه ويكرس قسماً كبيراً من وقته لمجلس الادارات الدولية او الى نشاط الجماعات فيما يتعلق بالعمل بين المهن ذاتها ، ذلك لأن القرارات الأساسية التي تتعلق بها مشروع مصنعه انما تتخذ هناك .

أما المالك النظري - واعني به المسام - فلا يقوم في اتخاذ هذه القرارات باي دور جدي . فهو يجمل غالباً كل شيء عن القضية ويكتفي بان ينتظر ارتفاع السهم الذي يملك نتيجة للمضاربة او ان يتلقى بانتظام الربح السنوي عنه . اما الموجهون الحقيقيون للأعمال الكبرى فهم غير اولئك ، وهم ليسوا مساهمين اوم مساهمون بمبالغ ضئيلة حصلوا عليها احياناً عن طريق القرض . انهم يؤلفون ارسقراطية تسعدف الربح لا بغرض الربح ذاته وانما كدليل على حسن الادارة . وما نعنيهم انما هو التعبير عن شخصيتهم بممارسة السلطة التي ترتبط بالتقدم العام للمشروع

الذي اندمجوا فيه . ولما كانت لهم مصالح عديدة متناقضة احياناً فانهم يرتفعون شيئاً فشيئاً الى مستوى المصلحة العامة .

ولا شك ان هذه النظرة انما هي نظرة خاصة ومالية الى المصلحة العامة فهم يعتادون على عقد المساومات مسترشدين بأراء مساعديهم بدلاً من فرض طاعتهم ومن الدخول في حوار مع زملائهم .

وباعتبارهم قد تخرجوا من مدارس كبرى ، يحيدون أمامهم موظفين أعدوا الاعداد نفسه ، ولكنهم يعالجون المشكلات من وجهة نظر أعم آخذين بعين الاعتبار مصالح المجتمع الطويلة الأجل ، ويتحقق عندئذ نوع من التآلف بين المجموعتين .

لقد تحدثوا عن هذا الموضوع من التقنوقراطية ، حتى ان الكاتب الأمريكي برونام قدم النظام التقنوقراطي المستبد كنتيجة من اكثر النتائج احتمالاً - بل واكثر من الاشتراكية - لانبيار الرأسمالية التقليدية .

ولكن هذا التطور ليس حتمياً فالتقنيون والاداريون سواء كانوا من القطاع الخاص أو القطاع العام لا يؤلفون حقلاً في الوقت الحاضر طبقة اجتماعية بل مجموعة من الزمر لها مصالحها ومشاكلها وآراؤها المتخالفة . ولكن شعروا بقيمهم وباحترامهم للجهة (وبخاصة للبورجوازيين التقليديين واصحاب العقارات والأدباء) واضعين انفسهم بهذه الصورة

حين اطار اشتراكية سان سيمون، فان رغبتهم
تزداد في تولي الخدمة العامة بمجرد ان يعطوا
لوجودهم معنى . ويمكن ان تتجنب السقوط
في التقنوقراطية - كما يقول ليون بلوم - اذا تم
انتقاء المديرين بشكل ديموقراطي وخضعوا
لرقابة المواطنين . فاذا اردنا في الحقيقة ان
نتجه نحو ديموقراطية صناعية فينبغي على
المواطنين ان يصبحوا جديرين بفهم مشكلات
الاقتصاد الحديث ؛ ونستطيع ان نجعل
التقنوقراطيين ديموقراطيين اذا توصنا في
الوقت نفسه الى جعل الديموقراطيين
تقنوقراطيين .

ب - ان هذا التوجيه للأطر التقنية
التي ركزت عليه الثورة الصناعية الجديدة
والذي بدأ في الولايات المتحدة والاتحاد
السوفياتي قد دخل اوروبا الآن ؛ انه مرتبط
بالتسارع العام للمواضلات وبالتغيرات
الحاصلة في استخدام الطاقة وبالتقدم الآلي بخاصة
لأن الآلات الحاسبة الالكترونية تسمح
باستبعاد تدخل الانسان في كل ما له علاقة
بتنفيذ الانتاج . والأمر هنا لا يتعلق بزيادة
إنتاجية العمل البشري بتوجيهه الى آلية أكثر
تعقيداً ، وإنما باستبعاده جاكياً عن تنفيذ العمل
وحتى عن مراقبته . واصبحنا ننظر الى الآلة
منذ الآن ، لا على اساس انتاج ينبغي ان
يصنع ، وإنما على أساس وظائف ينبغي ان تنفذ .
إننا امام مرحلة كيفية جديدة تسمح بالتحدث
عن ثورة صناعية ثانية .

ح - ولكن ما هي نتائج التطور الراهن
لمجتمع من يؤجرون والذين ازداد دخلهم في
فرنسا خلال السنوات العشر الأخيرة من
١٩٥٦ الى ١٩٦١ ، من الانتاج الوطني الصافي؟
١) هل ستخلق الثورة الصناعية الجديدة
بطالة دائمة ؟

ان هذا التساؤم لا مبرر له في أوروبا خلال
المرحلة الراهنة وما من شك في ان ثمة مشكلات
جديدة بدأت تظهر من حيث طبعان صناعات
جديدة على صناعات قديمة اذ حلت مثلاً
الطاقة في معظم الأحيان محل الفحم واصبح
من الضروري ان تؤمن للعالم الذين اضطروا
الى الانتقال دخلاً مضموناً وان نوجد لهم
وظيفة جديدة ، سواء اكان ذلك في الصناعة
ذاتها في منطقة اخرى او في صناعة اخرى
في المنطقة نفسها وهذا أفضل مع تأمين ملاءمتهم
المهنية .

ان المثال الأمريكي يوضح انه في مرحلة
متقدمة من الآلية تبدأ مشكلات أكثر
خطورة في الظهور ، لا لأن الوسائل التقنية
الجديدة تخلق البطالة في الصناعات التي
تستخدمها فهذه الصناعات ترسل الفائض عن
حاجبها من العمال الى قطاعات اخرى وتنقص مدة
العمل وتقدم السن المحدد لتقاعد العمال دون ان
تستبدل فهذه آخري . ان الصناعة المتقدمة
تتسبب تنزع الى عدم استخدام العمال موجدة
نوعاً من البطالة ليس لديها وإنما في الخارج
وفي المصانع المنافسة التي تقضي عليها وبخاصة

لدى الشباب الذين لا يحصلون على العمل الا بصعوبة تزداد يوماً عن يوم .

ان الصناعات الجديدة تفتقر الى اطر والى تقنين ، والى عمال يتمتعون بثقافة تقنية عامة وكافية تمكنهم من التلاؤم مع وسائل العمل المتغيرة باستمرار . وهي تسعى الى اعدادهم مهنيًا والى ربطهم باجور مرتفعة اكثر وبشروط أفضل للعمل .

وفي الصناعات والمصالح الأخرى تتركز يد عاملة ضعيفة الاعداد ، بينما تظل شروط عملها ومدته في المستوى الراهن ذاته . ومع ذلك فان الأجور التي تشهد نمواً اضعف من نمو اجور القطاع الآلي ستسير مع حركة المجموع وستشهد ارتفاعاً اعلى من انتاجية قطاعها الخاص مما سيؤدي الى ارتفاع الأسعار . ويصبح اذن من المحتم ، رغم صعوبة ذلك ، العمل على تحقيق التوازن بين العرض والطلب لمختلف القطاعات اذا اردنا تجنب الأزمات الاجتماعية الخطيرة . وينبغي بشكل خاص ان نؤمن لجميع العمال الشباب اعداداً تقنية عاملاً يتجاوز تعاليم المهن المنقرضة والاختصاصات التي لم تعد متلائمة مع الوضع الجديد . فإذا اردنا ان نكون في الوقت المناسب الطبقة العاملة الجديدة التي تتطلبها الصناعة الحديثة .

٢) نلاحظ ان العامل المختص في فرنسا ما يزال يؤلف في الوقت الحاضر النسبة الكبرى من العمال في مجموع الصناعة الفرنسية ،

وان تكن هذه النسبة هي أقل مما هي عليه الحال في الولايات المتحدة الأميركية . بيد ان وضع العامل الفرنسي وحالته النفسية قد تبدلا نوعاً ما ؛ فلقد عاشت الطبقة العاملة الفرنسية زمن النقاية الثورية مع الفكرة القائلة - بأن العامل بسبب من معلوماته المهنية - يستطيع ان يستلم ادارة الصناعة . ولقد كان ذلك في عصر تسود فيه صيغة تقول ان «المعمل سيحل محل الحكومة» . ووثق العامل بعدئذ بـ «التأميم» كوسيلة تبدل نظام حياته . فلقد كانت التأميمات نجاحاً تقنياً ضخماً ولكنها كانت أيضاً فشلاً اجتماعياً ، بمعنى ان العامل لم يشعر بتحول ما في علاقاته السيكلوجية بالهندسين والرؤساء الذين يلقون اليه بالأوامر ، لذلك نقل امه الى الثورة الروسية وأربط بالشيوعية . ونلاحظ اليوم أن على روسيا أيضاً ان تواجه المشكلات نفسها ، ليس فقط من حيث التنظيم الاقتصادي ، وانما من حيث العلاقات الاجتماعية أيضاً .

لقد أبانت بعض الدراسات التي اجريت حديثاً ، أن الحالة النفسية للعامل المختص هي شعوره بالارتباط والتبعية وعدم الاعتبار . واكثرية الطبقة العاملة تسعى الى ان تترك وضعها الذي يجعلها تابعة للآخرين لأن رمز النجاح الاجتماعي بالنسبة لها انما هو قدرتها على ترك المصنع لكي تصبح سيده .

ان ردود الفعل الاساسية لهذه الفئة العاملة محافظة بشكل عام . ففي بلد يجيأ في اوج تحوله التقني - الذي يستلزم اعداداً بنى جديدة

وجودها ذاته رغم استعمالها الصيغ الانشائية الثورية . فن الواجب ان نساعدنا - ونجاسة عنصر الشباب منها - كي تجتاز مرحلة انتقال صعبة وتتلاءم مع عالم جديد . ولكن قوة تغيير البنى الاجتماعية لن تصدر عنها وانما ستصدر بالاحرى عن المزارعين وعن الأطر الجديدة .

٣ - نموذج المربية :

درسنا أشكال التقدم التقني الحديث ونتائجها على النمو . بيد اننا لانستطيع ان نمنع انفسنا من طرح السؤال التالي : ولكن ماهي غاية النمو ؟

لعل ما يسترعي الانتباه ان الثورة الصناعية الاولى - سواء تلك التي حصلت في العالم الغربي او من بعده في اليابان ومن ثم في الاتحاد السوفياتي - قد ارقها بؤس رهيب طغى على الطبقات الكادحة رغم انها كانت تعبر عن نفسها في فلسفة عامة تثق بالحياة وتتفاهل بالتقدم . ان ثورتنا الثانية حلت معها في الغرب وفي كل مكان تحسناً ملموساً في مستويات الحياة ومع ذلك فانها تتابع السير في جو عام من التذمر ومن اليأس في الغالب ومن فلسفة العدم ؛ وسواء اكان ذلك في الولايات المتحدة الامريكية أم في الاتحاد السوفياتي او في اوربا ، فان الأجيال الجديدة تثور وتشك في اسس المدينة ذاتها التي اقترحت لها تارة عن طريق المبالغة في صفاتها وتارة عن طريق انكار

باستمرار - يشعر العامل المختص بالحذر من اي تغيير قد يُلغف العمل . انه يخشى الصعوبات الجديدة مفضلاً توزيعاً مختصراً للعمل بين جميع عمال المصنع على ان يتزك بعضهم العمل ولو اعطوا اجوراً اعل ومساكن افضل في مكان غير المكان الذي اعتادوا ان يمينا فيه وان يعملوا فيه . ومثل هذا الخوف من فقدان العمل يدفع بالعامل الى ان ينظر الى العامل المهاجر القادم اليه نظره الى منافس خطر . ذلك يقودنا الى نتيجة محزنة هي : انه اذا كانت الاوساط الريفية تؤدي الى ولادة نخبة فنية من المزارعين ذوي النزعات الاشتراكية واذا كانت الأطر تبدو لطبقة مأجورة صاعدة مجددة ومبدعة ، فان الاكثريه من يؤلفون في الوقت الحاضر ايضاً الطبقة العاملة يشكلون عنصراً سلبياً ثائراً ضد النظام العام للصناعة الكبرى ، ويحلمون بالعودة الى الصناعة اليدوية الصغيرة والى التجارة الصغيرة السائدة قبل الثورة الصناعية .

وهذه الطبقة التي تنفصل عن المشكلات الحقيقية التي تطرح في الاقتصاد المعاصر لا تتمتع بالميل المبدع ولا بإمكان العمل الحقيقي والمجدي من اجل تحويل البنى المعاصرة . انها تمثل قوة محافظة يهددها التقدم التقني في

هذه الصفات اطلاقاً . ذلك لأن هذا التقدم يتحقق بشكل اساسي في قطاعات لا تتلاءم مع المنافع التي يرغب فيها الناس . فالناس يشعرون بالحاجة الى بعض المنافع والمصالح (السكن ، التربة ، الصحة ، الهدوء ، الهواء النقي ، الماء غير الملوث ، المساحات الخضراء ... الخ) .

وفي الصناعة المتقدمة يسرعون في الانتاج ويسعون بعدئذ الى تصريفه باثارة الطلب بشكل كفي على محصولات لا يشعر المستهلكون انهم بحاجة اليها . ونظمت اماكن الراحة التي ينبغي ان تكون ملاذاً لمن يقومون بمبادهات فردية تنظيمياً يستهدف الربح التجاري واكتشفت دور الاسطوانات اشخاصاً لصوت لهم ولا موهبه وحبيت بهم الجليل الجديد من الفتيان الذين بأسرم كل طريف وشاذ .

واثارت شركة الاستهلاك لدى كل فرد غريزة الاقتناء ، وقذفته نحو عالم مجهول ووضعت في موضع يتصرف فيه على هواه مما يحطم شخصية الانسان ويقضي على الغريزة المبدعة ، ويمكننا ان نتساءل ما اذا كان ذلك لا يؤدي الى ايجاد الوان خطيرة من الفوضى النفسية والاجتماعية نشهد اعراضها في الولايات المتحدة الامريكية (الانتحارات ، الامراض العصبية ، استعمال المخدرات .. الخ) . ومهمتنا الرئيسية اليوم ان نتفق على اهداف محددة مشتركة تلام شكلاً من اشكال المدينة وان ننظم الانتاج والاستهلاك على السواء في سبيل خدمة هذه الأهداف . فلقد وصل العالم الى

مرحلة يستطيع معها ان يعيد المعجزة اليونانية من جديد . وقامت مدينة هذا الشعب التي هي اساساً فكرية وعلمية وفنية على عمل العبيد ولكننا نملك الان آلات بدلاً من العبيد تسمح بان نحرق قسماً متزايداً من بدنا العاملة . ومن عقلنا من اجل نشاطات تربوية ، ولكن لا ينبغي ان يوضع المستهلكون في سبيل ذلك الى دولة هائلة القوة تتخذ القرارات بدلا منهم ، كما لا ينبغي ان تسودم دعاوة تجارية عدوانية تدمر شخصيتهم وتعدم امكانيات الحكمة لديهم .

لقد اخضع البرابرة الرومان - الذين لم يكونوا يعرفون الا غزو العالم بقوام العسكرية وبثرواتهم بلاد اليونان - وشرعوا في افساد اولئك الذين لم يتمكنوا من اخضاعهم . وفي نهاية الامبراطورية الرومانية كان الشعار العام اتا هو « القمح والعباد السيرك مجاناً للجميع » . فلا ينبغي ان يكون الشعار بالنسبة لنا هو الآلية ولا الحرية غير المترزمة ولا المدنية الزائفة التي تقدم لنا على الصورة الأمريكية .

وفي الوقت الذي تتعرض فيه البنى الاجتماعية للارتباك عن طريق الثورة الصناعية الجديدة فان حادثتين خارجيتين هامتين هما موضع الدراسة ألاوهما يقظة العالم الثالث ووحدة اوربا .

يقظة العالم الثالث :

إن اشد المشكلات خطورة في عصرنا هي علاقتنا مع ما يسمى بالبلدان السائرة في طريق النمو أو

الآن اية مجموعة يستطيع ان يخرج منها اى صاحب مشروع خاص وقوي ومسدخر ومبدع ، فالدولة وحدها بفضل نفوذها وسلطتها تستطيع ان تفتح او ان تفرض عند اللزوم بداية النمو الاقتصادي . وفي هذه الشروط يصبح من المحال ادخال قواعد الديمقراطية البرلمانية المطبقة في الغرب الى هذه البلاد . فالذين تم انتخايم على هذه الصورة يصبحون طبقة من المتفعين يشتركون الاصوات ويدافعون عن مزايا اسرتهم . واذا كان ثمة تعدد في الاحزاب فسيصبح كل حزب ممثلاً للمصالح المحلية للقبائل . ومصالح القبائل تعود الى الفوضى والى عودة البربرية . فلنكي يصل تقدم ويتم فرض التضحيات الضرورية على الجميع ويشرع في الادخار ، يجب ان نبحث عن سلطة قوية توضع في ايدي قلة كمرست نفسها للبحث عن المصلحة القومية وحدها . فقد يكون ذلك نظاماً دينياً على مثال رهبان القرون الوسطى ، وقد يأخذ شكل حزب وحيد يكون الانتساب اليه ضعيفاً ، كما يمكن ان يأخذ شكل جيش اعتاد افراده على حياة قاسية وانضباطية وتم تطويعهم من جميع القبائل والمناطق بحيث يستطيعون ان يدركوا المصلحة القومية وان يقرضوها .

وهذه البلدان تتكون بنسبة ٨٠٪ من فلاحين يمارسون زراعات تقليدية قديمة . وعندما تنشأ مدن في الشواطئ يهرع اليها قسم من السكان يعيشون من اعمال صغيرة او

يبلدان « العالم الثالث » . اى بعدد من البشر يبلغ ملياراً ونصف المليار نسمة وهو اكبر من نصف البشرية ، يسعى بعد ان عاش قروناً من اليأس الرهيب وبعد ان خضع للسيطرة الاستعمارية الغربية ، لمعرفة الاقتصاد الحديث . ولكن ذلك صعب جداً بالنسبة لؤلء السكان لأنهم ينطلقون في الواقع من مستوى اقتصادي وسياسي ، وغالباً ثقافي ، ادنى من المستوى الذي عرفته اوربا عندما قامت ثورتها الصناعية . ولئن تلقوا من البلدان المصنعة معونة ما ، هي في الاصل غير كافية وغير موجبة الوجيهة الملائمة ، فانهم يعانون من تبدلات اسعار موادم الاولية ويصطدمون بسيطرة الاحتكارات الرأسالية على السوق العالمية مما يوجد عقبات يصعب التغلب عليها في الغالب امام غنوم الاقتصادي . ان معظم بلدان العالم الثالث حصلت على استقلالها مؤخراً بعد سنوات عديدة من النضال القومي في اغلب الاحيان ولكنه مع ذلك قصير . لقد وجدت الدولة المستقلة قبل ان تشعر الامة بوجودها . اما الحقيقة السوسولوجية فهي عبارة عن تضامن عائلي وقبلي ، ومازال العمل الذي كان قاصراً على العبيد محتقراً . اما السلطة السياسية فتعتبر كوسيلة خدمة نفوذ الامرة الموسعة وقوتها عن طريق التعاطف العائلي والرشوة . وعندما ننجح فرد في الادارة او في الحياة الاقتصادية في زيادة دخله ، يجد انه يحاط بعدد مبن الأثرياء يعيشون في منزله ويبددون ثرواته . ولهذا فانه لا يوجد حتى

من التسول أو من السرقة عندما لا تكون هناك فرص للعمل . وسرعان ما يعود هؤلاء من جديد إلى قرام وإلى رحمة مجتمعم الأصلي بعد أن وقعوا فرائس البطالة .

لذلك فإن أي تقدم اقتصادي يتطلب في الأصل تربية الفلاحين لتحسين وسائلهم التقنية وإيجاد تعاونيات للتخلص من سيطرة المرائي والتاجر وتحسين الصناعة الريفية والحث على إيجاد مشروعات صغيرة تنتج الآلات ووسائل الاستهلاك الضرورية للمزارعين ، كل ذلك في إطار المهلة الأولى من ثم في إطار المنطقة . والأمر لا يتعلق بداية في إيجاد مشروعات صناعية كبرى ولا في إدخال الوسائط الأوروبية في الزراعة بتجارب الزراعة المستنبدة إلى الآلة ، سواء كانت تلك التي تتعلق بالقول السوداني في نغانيقا أو الرز والقطن في النيجر ، قد أفضت إلى الفشل . ويجب أن نتطرق من وسائل الزراعة التقليدية ونحسنها شيئاً فشيئاً حتى نحقق التقدم . ولكن ذلك يفترض أن يمتلك الفلاح لنفسه محصول جهده . ولكن في عدد كبير من البلاد - وفي أمريكا اللاتينية خاصة - يقوم النظام الزراعي على نوعين من الأراضي : نوع ضيق صغير لا يكفي لإعالة أسرة ، ونوع واسع ضخم يترك أصحابه الاقطاعيون القسم الأعظم منه بوراً بحيث يمكنهم ذلك من استخدام المزارعين على شكل مستأجرين يحيون حياة قريبة من حياة العبيد . ففي هذه البلدان لا بد من ثورة زراعية

تطرد بالقوة وبدون تعويض المالكين الاقطاعيين ، وهذه الثورة ينبغي أن تسبق بالضرورة أي نمو اقتصادي .

أما الصناعة الحديثة فيمكن أن نخلقها شيئاً فشيئاً في المناطق الساحلية على أن نستعاض عن عدم كفاية السوق الداخلية بفتح أسواق مضمونة على الصعيد الدولي . ولكن انتقاء هذه الصناعات لا ينبغي أن يترك لرأسمالية أجنبية لا تعنى إلا بالحصول على الربح السريع الذي سترسله إلى بلدها الأصلي . فالصناعة ينبغي أن تستهدف استخدام المواد الأولية المصدره حالياً في امكنة استخراجها وأن تستعاض عما تستورده من أدوات الاستهلاك التي ترهق ميزان المدفوعات ارهاقاً شديداً . وإذا كان لا بد من استخدام الرأسمال الاجنبي فلا يجب أن يكون ذلك إلا ضمن خطة وضعها البلد نفسه آخذاً بعين الاعتبار مصالحه في الأمد البعيد . وستكون هذه الخطة في البدء غير ملائمة لأنها لا تستند إلى احصاءات . وبعد تكرار الفشل والتصحيح وإعادة النظر يمكن أن تقدم الخطة الثالثة أو الرابعة قيمة حقيقية لتوجيه جديد للقوى المنتجة في البلاد .

ولكن هذه البلاد تصطدم في مجها عن بداية نمو اقتصادي بعقبات اضافية لم تعرفها أوروبا في القرن الثامن عشر ، وهذه العقبات ناجمة عن التفاوت في القدرة الاقتصادية بين العالم الثالث والبلاد المصنعة سواء اكانت هذه البلاد الولايات المتحدة الأمريكية أو أوروبا

المختلفة . وهذه المعونة تكون ممتازة عندما يكون أولئك الذين ينفذون المعونة جديرين حقاً بأن يخدموا البلد الذي قدموا لمساعدته وأن يتلاءموا مع عقليته .

المعونة الأوروبية :

لم يعد ثمة سياسة اشتراكية ممكنة في الاطار الوطني لدى البلدان المصنعة ، ذلك لأن البلاد أصبحت صغيرة بشكل يصعب عليها فيه الافادة من تقسيم العمل ومن التخصص ، وبخاصة الافادة من الاسواق الواسعة الضرورية لصناعة حديثة . ولقد جرت خطوات حاسمة متقدمة في هذا الاتجاه منذ اثني عشر عاماً . ان المجموعة الأوروبية للفحم والصلب كانت تتمتع بصلاحية تنظيم اسواق هاتين الصناعتين ، كما ان معاهدة روما توقعت انخفاضاً في الرسوم الجمركية واقامة تعرفه مشتركة بين بلدان المجموعة الستة . ونحن اليوم مستعدون في الواقع لتحقيق وحدة جمركية نهائية على الصعيد الصناعي ، كما انه بمبادرة من فرنسا أعدت نهائياً سياسة زراعية مشتركة . ولكن الولايات المتحدة الامريكية بادرت منذ ثلاث سنوات الى اجراء مقاضات تستهدف تخفيض ٥٠ ٪ من التعريفات الجمركية لمختلف البلدان ، مما سيؤدي الى الحلال الوحيدة الجمركية الاوربية في منطلقوا سعة من التبادل الاطلنطي الحر تجري فيها بحرية تامة حركة البضائع والراسمبل ، مما سيجعل من الصعب القيام بتخطيط وطني .

او الاتحاد السوفياتي . وكا انه انشئ في اوربا وفي امريكا الشمالية في القرن التاسع عشر ضريبة تصاعديّة على الدخول - حيث كانت تستخدم - لتمويل النفقات ذات الصفة الجماعية (المرافق العامة ، التربية ، المستشفيات) ولكي تؤمن الى الطبقات الفقيرة حداً اذنى مضموناً من الدخول - ينبغي ان ننظم الآن على الصعيد العالمي انتقال بعض ثروات البلدان الغنية الى البلدان الفقيرة . ولقد اقترح مؤتمر التجارة والتنمية بحريش من الوفد الفرنسي - كبادرة للعمل - ان ينص ١٪ من المحصول الوطني الختام للبلدان المصنعة لمعونة العالم الثالث . ولكن فرنسا كانت البلد الوحيد الذي احترم هذا التعهد . وينبغي ان تكون هذه المعونة ثابتة لاتتعلق بتصويت عليها من البرلمان ، كما ينبغي ان تمنح لجميع اولئك الذين يبذلون جهداً حقيقياً للتقدم بغض النظر عن الانظمة الاقتصادية او السياسية التي يطبقونها في الوقت الحاضر . وينبغي ان يراقب استخدام الاموال بواسطة منظمة دولية وان تكون اشكال المعونة موضوع عقود بين مجموعات من البلدان المتاحمة والبلدان المستفيدة بعد فحص ومناقشة مشتركين لخطّة التنمية الاقتصادية التي وضعتها البلدان الاخرى .

واخيراً ينبغي ان نأخذ بعين الاعتبار ان المعونة ذاتها يمكن ان تكون لها نتائج سيئة . ومن اهم اشكال المعونة المجدية هو التعاون الفني الذي يسمح بتكوين تقنيين فنيين ومدربين للجيل الجديد في البلدان

ومن الواضح انه يصعب على اشتراكي ان يقبل تخفيض الرسوم ، مالم يترافق ذلك في الوقت نفسه بتحقيق تقدم حاسم في طريق التكامل الاقتصادي التام لأوروبا .

ان هذا التكامل يفترض ، بالإضافة الى الوحدة الأوروبية ، تنسيقاً للمواضلات وللمجموع القوى المحركة والسياسة التقدمية وللخطوط الكبرى للتخطيط وبخاصة فيما يتعلق بتنسيق الاستثمارات والسياسة التجارية الخارجية للبلدان الستة .

ولا يتحقق ذلك إلا في ظل سلطة اقتصادية تسود القوميات وتمتلك وسائل البحث والقرار والمراقبة الكفيلة باتخاذ قرار حول توجيه سياستها المشتركة . ولن نصل الى ذلك إلا عن طريق مفاوضات طويلة بين حكومات مستقلة تؤدي الى اجراءاتسويات بين المصالح الوطنية دون ان تأخذ بعين الاعتبار المصلحة الأوروبية المشتركة . ان الوحدة الاقتصادية تؤدي وستؤدي حتماً ، عاجلاً أو آجلاً ، الى وحدة سياسية عن طريق الانتخاب المباشر والاقتراع العام الاوربي للجنة الموحدة ، على ان تراقبها جمعية منتخبة عن المناطق او عن البلدان من خلال انتخابات اوروبية . ولكن من دواعي الاسف ان هذه الوحدة السياسية غير ممكنة في الوقت الحاضر بسبب الخلاف العميق القائم بين البلدان الستة حول بعض المسائل الاساسية .

(١) ان أم مشكلة عالمية معاصرة انما هي العون المحررد والمجدي الذي يقدم الى البلدان النامية عن طريق تنظيم سوق المواد الغذائية ذات المتشياً الاستوائي ، واعطاء الافضلية

للمنتوجات الصناعية التي ينتجها العالم الثالث وفرض ضريبة عالية على الدخول لتقديم حد ادنى من الموارد لصالح هذه البلدان . ولكننا نضطدم هنا بالولايات المتحدة الاميركية التي ظلت أمينة على المبدأ الذي آمنت به منذ القرن التاسع عشر وهو المحافظة على حرية العمل ، والى المعونة المستندة الى اعتبارات سياسية والى تشجيع حضارة الاستهلاك في العالم الثالث لأنها مرتبطة بالاستثمارات الخاصة الامريكية . وفي اوربا تسير كل من المانيا وهولندا على النواك نفسه ، أما البلجيكيون والاطاليون فترددون . وتبقى فرنسا وحدها تبحث عن أساليب سياسية اشتراكية في علاقاتها مع العالم الثالث .

(٢) اما في امريكا اللاتينية فلا يمكن القيام بأي اصلاح في الوقت الحاضر قبل اجراء ثورة زراعية تقضي نهائياً على اقطاعية المالكين العقاريين . ولكن مصالح الشركات الامريكية مرتبطة بهذه الاقطاعية كما ان جميع محاولات الاصلاح الديموقراطية - على بساطتها - كانت تجد امامها سواء كان ذلك في سان دومينيك او غيرها ، تدخل القوات المسلحة الامريكية لكي تكرس بقاء الوضع الراهن على ما هو عليه . ان منظمة الدول الامريكية والتحالف من أجل التقدم بسبب من تفاوت القوى بين الولايات المتحدة الاميركية وأمم اميركا الجنوبية الصغيرة ، قد اصبحا أداة للاستعمار الجديد الذي يقف حائلاً دون أي تقدم . وما من مخرج امام ذلك الا في وحدة

الاقتصادية لمجموع بلدان أمريكا الجنوبية ، ذلك لأن هذه الوحدة هي وحدها التي تستطيع أن تعطي شعوب أمريكا اللاتينية القوة الضرورية لمفاوضة جارتها القوية في الشمال .

(٣) وأخيراً فإن الوضع في آسيا يضع السلم العالمي كل يوم في خطر . فالتدخل الأمريكي المسلح في فيتنام ، وما يؤدي إليه من نتائج خطيرة في مختلف الميادين ، لا يمكن أن يقره أي اشتراكي . وما من مخرج لهذا المأزق إلا عندما يوقف الأمريكيون قصف فيتنام الشمالية ويقبلون بالتفاوض مع من يحاربونهم - أي مع الفيتكونغ - ويلتزمون بإخلاء الأراضي التي يحتلونها ؛ وينبغي أن يتبع هذا التفاوض مؤتمر عام يفتتح عنه اتحاد جنوب شرق آسيا (فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية ولاوس وكامبودجيا وبرمانيا وجميع من يرغبون في هذا الاتحاد) على أن تكون كل دولة في هذا الاتحاد حرة في اختيار النظام السياسي الذي يلائمها . ولكن إذا كانت فرنسا قد عبرت عن رأيها في هذا المجال ، فإن بلدان أوروبا الأخرى وبريطانيا العظمى بحاجة لا يجرؤ أن تفوه بكلمة لأمر ترتبط ارتباطاً كلياً اقتصادياً ومالياً بالقوى الأمريكية .

ان فرنسا بعد ان رفضت فكرة تسليح ألمانيا عام ١٩٥٠ عادت فقبلت مؤخراً تسليحها في إطار الحلف الأطلسي ، وحلت فكرة التكامل الأطلسي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية محل فكرة التكامل الأوروبي . ذلك لأن الولايات المتحدة الأمريكية ترى ان وجود القوات

الاقتصادية في أوروبا كقيل يمنع أي هجوم روسي محتمل ويردصاعق من اسلحتها الذرية . ولكن مما تجدر الإشارة إليه ان هنالك حادثين جديدين :

(١) ان التطور الداخلي في الاتحاد السوفياتي من شأنه ان يبعد عن الأذهان أي هجوم روسي على أوروبا . ذلك لأن الشعب الروسي بعد سنوات طويلة من التضحية يبشده اليوم رفاهاً أكثر مما عرف في الماضي ويطالب باعطاء افضلية للمواد الاستهلاك ؛ وبعد ان تمت القطيعة مع الصين اخذ عهد لاتحاد موقف دفاعي في أوروبا . كما تسعى الدبلوماسية السوفياتية لاجراء اتفاق يتم الاعتراف فيه بالوضع القائم في ألمانيا الشرقية . ولا يستطيع الامان ان يعتمدوا على ضغط القوات الأمريكية لكي مرضوا وخدمهم على الاتحاد السوفياتي . ولا يمكن الحصول على هذه الوحدة الا بشكل غير مباشر بعد تحسين العلاقات بين المجموعة الأوروبية والاتحاد السوفياتي ، وبخاصة ازدياد الروابط الاقتصادية والثقافية مع مختلف دول أوروبا الشرقية . ويمكن تحقيق وحدة ألمانيا في إطار دولة أوروبية غربية موحدة تشترك اقتصادياً مع بلدان أوروبا الشرقية .

(٢) ان الحماية الأمريكية قد تهدورت أيضاً . وتجربة فيتنام توضح لنا الطريقة التي ترى فيها الولايات المتحدة الأمريكية الدفاع عن بلاد صديق بوضعها اليد على السلطة السياسية وبقصفا المدن وبتخريبها الزراعة وجميع القوى الحية . ووجود القوات

ان فرنسا بعد ان رفضت فكرة تسليح ألمانيا عام ١٩٥٠ عادت فقبلت مؤخراً تسليحها في إطار الحلف الأطلسي ، وحلت فكرة التكامل الأطلسي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية محل فكرة التكامل الأوروبي . ذلك لأن الولايات المتحدة الأمريكية ترى ان وجود القوات

ان فرنسا بعد ان رفضت فكرة تسليح ألمانيا عام ١٩٥٠ عادت فقبلت مؤخراً تسليحها في إطار الحلف الأطلسي ، وحلت فكرة التكامل الأطلسي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية محل فكرة التكامل الأوروبي . ذلك لأن الولايات المتحدة الأمريكية ترى ان وجود القوات

الولايات المتحدة الأمريكية، مثلما كنا ضد الحكومة الفرنسية إبان الأزمة الجزائرية . انه نقد لمفهوم المدينة الاستهلاكية التي تولف خطراً على الانسانية ، انه عمل ضد الامريكان اعضاء غرف التجارة ، ضد جونسون ، ولكنه مع الأمناء الحقيقيين لتقاليد هذا البلد من الشعب الأمريكي .

محو اشتراكية صربية :

ليست الاشتراكية في نظرنا نتيجة ميكانيكية لا يطلق عليه قوانين التاريخ وانما هي اختيار يستند الى القيم المعنوية .

١ - فليست هنالك مراحل ضرورية لتطور محتوم ، وما نلاحظه انما هو عدد لا يحصى من الوقائع التاريخية تلعب الأحداث العرضية فيها دوراً هاماً ، فالماضي لا يقيدنا وانما ينقل بنا ارتقاءً يحدد امكانيات عملنا ويقدم لنا ، في الوقت ذاته ، وسائل العمل . اننا نمر في تطور سريع يتطلب الهدم والبناء في آن واحد . وعلينا ان نؤثر ، كل حين ، في الأحداث بغية توجيهها الوجهة الملائمة .

لقد كان الوم العلمي للحتمية الماركسية خطية مفيدة في بداية القرن التاسع عشر في المقياس الذي قدمت فيه الى الطبقة العاملة المضطهدة املاً في انقلاب كامل لوضعها واسطورة تعوض فيها عن شعور النقص الذي كانت تعيش فيه . ولكنها تبدو اليوم كأنها سير للبرولتاريان في طريق البورجوازية

في اوربا لا يؤدي بالضرورة الى استعمال الاسلحة الذرية الامريكية فقد نشب حرب على طراز حرب فيتنام، وبعد هذه الحرب التي تدمر فيها اوربا ويقتل فيها معظم الاوربيين قد تهدد امريكا بانتقام ذري وقد تعمد الى عقد اتفاق مع الاتحاد السوفياتي لاقتسام النفوذ الذي سيفرض فرضاً على من تبقى من الاحياء في اوربا . وكلنا يعلم ان القوة الامريكية فقدت اكبر قسم من قيمتها كضمان للسلام . وفي هذه الشروط يبدو من الضروري ان يأخذ الاوربيون على عاتقهم دفاعهم التقليدي عن اراضيهم ، وان يقرروا وسائل جابتها في المرحلة الاولى من الحرب مع بقائهم اعضاء في حلف الاطلسي ومع استنادهم دائماً كسلاح أخير الى القوة الذرية الامريكية في حالة وقوع اعتداء خارجي . ويصبح من المرغوب فيه ان تعود الى مفهوم المجموعة الدفاعية ضمن النطاق الاوربي .

ولا يمكن ان تظهر اوربا الى العالم كنوع من التحالف بين المصالح المحافظة او كعضو جديد في نادي الاغنياء . فثمة امكانية تستطيع ان تؤكد وجودها فيها سياسة مبدعة ، وهي تعطي المثال في الداخل عن ديموقراطية اجتماعية مخططة تخضع الاقتصاد لحاجات الانسان وترسم سياسة سلام ومعوونة للعالم الثالث، مما يؤدي الى اقامة تعاون دائم وصداقة مخلصه مع نصف الانسانية الأشد بؤساً وفاقة .

وإذا قلنا ذلك فلا يعني اننا ضد امريكا، وانما نحن ضد السياسة الرأبنة لحكومة

اثانية طبقتهم ، كما ان كثيراً منهم قائلوا فعلاً الى جانب الجمهوريين الاسيان عام ١٩٣٦ .
وتحت حكم فيشي كان الديموقراطي الحق هو من يجازف بنفسه من اجل انقاذ يهودي ملاحق . أما اليوم فهو يستعد لقبول التضحيات الضرورية ليقدم المعونة المحمدي لبلدان العالم الثالث ، على ان هذا لايعني تأييد جميع ماقام به الشيوعيون في اسبانيا من أعمال ، ولا الالتزام بدعم الصهيونية وسياسة اسرائيل ، ولا قبول الحكم الفردي المطلق لدى هذا البلد اوذاك من البلدان المتخلفة .

ويعرف الديموقراطي ان اخلاقية كل جماعة هي على الدوام دون اخلاقية الأفراد الذين يكونونها . وفي الواقع فان اعضاء الجماعة يجدون وسيلة التعبير من خلالها عن العواطف والمشاعر التي قد يجنون من الافصاح عنها بشكل فردي . ان اياً كان لايجرؤ على القول « انا الأجل وأنا الأذكي » ، ولكننا جميعاً نقول ان « فرانساي اكثر ثقافة » وان « الطبقة العاملة عادلة وسمححة على الدوام » .

ومن خلال الجماعة نصل بسهولة الى جهل نتائج العمل او السكوت عنه . وهكذا فان الألمان لم يعرفوا معسكرات الاعتقال النازية ، ومعظم الفرنسيين ظاولوا يجنون التعذيب المرتكب في الجزائر ، واليوم يظل الشعب الامريكي غير شاعر بما يرتكب باسمه من جرائم في الفيتنام .

واستسلام امام القوى المحافظة . وان من استبدل التمييز بين ماهو عادل وما هو ظالم بالتمييز بين ماهو في اتجاه التاريخ وما هو ضد هذا الاتجاه مضطر لأن يخضع امام الواقع كما هو او كما يبدو أنه سيكون .
ولقد اثبتت الاحداث انه لكي ندافع عن الحرية لايمكن ان نعتمد الا على اولئك الذين يؤمنون بالحرية بغض النظر عن ان ايمانهم هذا يستند الى اصول كاتنية أو مسيحية او وجودية ، فلمهم هو ان الانسان الواثق من انه يستطيع ان يلقى مصيره بنفسه لا يخضع ابداً لما يصادفه . وكذلك الأمر بالنسبة للاشتراكية الديموقراطية التي هي أسلوب حياة يارسه كل انسان في حياته اليومية قبل ان تكون قوة سياسية . وهذا الاسلوب هو الذي يؤدي الى اتخاذ المواقف السياسية . ولا يحتاج الاشتراكي الحقيقي الى تأملات عميقة كما يعارض ميونيخ اوفيشي او يساند نضال الشعب الجزائري والشعب الفيتنامي ؛ فهذا الموقف يعتبر من المسلمات التي لا يجادل فيها احد .

٣ - ان الديموقراطي الاشتراكي يشعر ، في قرارة نفسه ، وفي كل فترة من فترات التاريخ وازاء كل مشكلة ، أنه مشدود الى الأفراد الذين هم ، عزلاً او جماعات ، ضحايا أفسى ظم ، والذين علينا من اجل ذلك ان ندافع عنهم . فالاشتراكيون الأوائل في القرن التاسع عشر ومعظمهم من ابناء البورجوازيين تضامنوا مع العمال الديوين . وقد ثاروا على

٣ - لا يوجد ما يظلم عليه عادة الأمم الكتل البشرية، ذلك لأن هذه الكتل انما هي أداة في ايدي أولئك الذين يؤثرون فيها. والكتلة محصلة كل فرد متوسط عندما يتجرد من شخصيته، فلا يعود يؤلف جزءاً من مجتمع يستوحى فكرة مشتركة، وليس للكتلة حركة خاصة بها فهي مؤلفة من كائنات متقلبة تخضع الى ضغط القوى الخارجية. ويعتبر جزءاً من الكتلة البشرية كل انسان يكون موقفه سلبياً. وتعمل عندئذ الدعاية فعلها. وتملىء الفراغ، وتستعيز عن الاختيار العقلي للمواقف بضغط تفرض من الخارج على شكل اثاره انفعالية. فليس لانسان الشارع اندفاع خلاق. وسواء اكان مطيعاً او ثائراً فهو ينتظر منفذاً من الخارج ودون ان يبذل أي جهد في التعاون المشترك وفي التنظيم، وهو يجي بانتظار خلاص يأتيه من أعلى تقوده اليه شخصية ملهمة او جماعة مشتركة. والديموقراطية الاشتراكية البعيد عن اللجوء الى هذه الاساليب من التثوم المغناطيسي الجماعي يسعى الى ان يفجر الجماهير بأن يتوجه مباشرة الى عقل الافراد والى شعور الافراد الذين يكونوننا...

٤ - لا توجد ثورة ممكنة في بلاد مصنّعة بالمعنى الرومانسي للانتفاضة الشعبية، بحيث تؤدي لا الى تغيير الحكومة وحسب وانما الى تغيير البنية الاجتماعية بكاملها. وفي الواقع لم تنتج إبداء اية ثورة في العالم الصناعي. ولقد كانت الثورة الروسية عمل مثقفين حصلوا على مساعدة الفلاحين بوعدهم توزيع الاراضي

عليهم. ولم تكن الطبقة العاملة عندئذ تمثل اكثر من ٨٪ من السكان المنتجين. اما استيلاء ماوتسي تونغ على السلطة في الصين فلقد كان بفعل جيش من الفلاحين هدم مالاقوه من فساد وظلم تحت نظام حكم شان كاي شيك. والثورات الوحيدة الممكنة بل والضرورية في عصرنا هي الانتفاضات القومية التي تستهدف تديم اقطاعية الارض التي تعيق كل نمو اقتصادي كما جرى عام ١٧٨٩.

الاشتراكية والديموقراطية:

لئن تحدثنا وما عن الديموقراطية الاشتراكية فذلك لان الديموقراطية والاشتراكية لا يمكن ان تنفصلا. الديموقراطية جهد مستمر نشدها خلال جميع اطوار التاريخ للحصول على الحرية وتحقيق العدالة الاجتماعية. اما الاشتراكية فهي التعبير عن هذه القيم الديموقراطية في مجتمع صناعي تقدمي نسعى أن نوجد فيه مجتمعاً مسؤولاً يتسم ادارته على جميع المستويات. رجال مسؤولون.

١ - اما أن الاشتراكية تسعى الى خلق مجتمع مسؤول فهذا يستلزم اول ما يستلزم تخطيطاً لمجموع الاقتصاد بشكل اجمالي وبشكل جزأً الى قطاعات كبرى. وفي البدء يترك التخطيط التوازن بين العرض والطلب حراً للسوق. ولكن الجماعة تتدخل على المدى الطويل من اجل الانتقاء بين الاستثار والاستهلاك، بين التجارة الداخلية والتجارة الخارجية، بين ارضاء حاجات الفرد وارضاء حاجات المجتمع.

وبمعنى اوضح ، تعارض الاشتراكية مجتمع الاستهلاك الحثالي حيث تؤسس المشاريع الخاصة صناعتها لتحقيق الربح وتفرض على الجمهور بواسطة الدعاية ، ما تريد ملتجئة الى اثاره الغرائز الدنيا لدى الانسان . ويوجد في تناظر في هذا الموضوع بين النظامين الروسي والأمريكي ، ففي الحالتين ترى جهازاً خارجياً هو الحزب في الاتحاد السوفياتي ، ودار النشر في الولايات المتحدة الأمريكية ، يتحكم في الانتاج ويفرض ما يريد على المستهلكين . اما هذا الاختيار بالنسبة للاشتراكي فيجب ان يقرره المواطنون بشكل ديموقراطي ما دام الانتاج منظماً كما يلي حاجاتهم . فالدعاية والبيع تقسيطاً ينبغي ان تراقبها الدولة وان يستخدموا لتحقيق سياستها .

وينبغي ان نعترف بان الاشتراكية تستهدف وقف ارتفاع الدخول الفردية كما تخلق الادخارات وهي الاستثمارات التي تسمح بتلبية حاجات الجماعة ، اما الرأسمالية الجديدة فتستطيع بسهولة اكثر رفع الدخول التي توجيها الدعاية لشراء ما تنتجه المصانع الخاصة من سلع مرفهة ، الأمر الذي يزيد في مراجها . ويتطلب التخطيط في بعض الحالات تأميم بعض المشروعات عندما يكون لها اهمية خاصة (كالصناعات الأساسية مثلاً) وعندما تؤلف المحصاراً فعلياً أو تمارس سلطة متزايدة تجعل الحريات المدنية عرضة للخطر . ولكن لا ينبغي ان يكون التملك الجماعي لوسائل

الانتاج كاملاً حتى ولا في معظمه ، وما يجب ان تطبق الاشتراكية عليه انما هو السلطة قبل الملكية او الملكية عندما تقود الى سلطة خاصة مضادة للديموقراطية . اما الخدمات الوطنية فيجب ان تسد ان تدار على شكل مؤسسات مستغلة ، لها موازاتها الخاصة وسلطة اتخاذ القرارات ، على ان تظل خاضعة للقواعد العامة للخطة وفق الأشكال نفسها ووفق الدرجة نفسها التي تخضع لها المشروعات الخاصة .

(٢) وينبغي ان يشرف على هذا المجتمع المسؤول وفي جميع المستويات رجال اخصوا مسؤولين حيث يعيشون وحيث يعملون .

اما ان عليهم ان يكونوا مسؤولين حيث يعيشون فهذا يستلزم احترام الحريات المحلية او اقامتها بمعنى اصح . وهذا يفترض تنظيم المناطق تنظيمًا يكفل لها ادارة قضاياها الخاصة والمشاركة في وضع الخطة القومية وفي مراقبة تطبيقها . ونستطيع حول ذلك ، ان نؤيد الأصول الحالية للامركزية (نقل سلطة اتخاذ القرارات من الوزير الى المحافظ) كما توجد في جديدة ، ولكن ينبغي ان تراقب هذه التي سريعاً بشكل ديموقراطي على ان يتولى الرقابة مجلس منتخب يدخله اعضاء جدد لا اعضاء المجلس العامة التقليديون الذين لا يتلاءمون مع الظروف الجديدة . ولكن ينبغي أن يكون الانسان مسؤولاً ايضاً حيث يعمل ، وينبغي ان يجد في نشاطه المهني المبادأة والمسؤولية اللتين حرمة منها التطور الصناعي للقرن

التاسع عشر، ومن هنا وجب علينا الاعتراف
بالشعبة النقابية المصنع وتعمم الاتفاقات
الجماعية المتعلقة بالاجور والشروط الحقيقية
للعمل مع الاصول الداخلية للاعتراض
والمصالحة حول جميع المسائل المتعلقة
بالاستخدام والفصل من العمل والانضباط
والاعداد المهني . وينبغي بشكل عام ان
تكون ثمة استشارة دائمة حول جميع مسائل
التنظيم الداخلي للمصنع كما ينبغي على النقابات
ان تشترك في اعداد الخطة ومناقشتها ومراقبة
تطبيقها .

ان ذلك يستلزم على صعيد السياسة الوطنية
سلطة تنفيذية ثابتة (ويفضل ان يكون رئيساً
للجمهورية او رئيس وزراء منتخب بالاقتراع
العام) وجمعية سياسية مكلفة عن طريق
الاسئلة بمراقبة عمل الادارة بشكل علني يوماً
بعد يوم . ويوضع مركز الحكومة في خطر
عن طريق الاستجوابات او عن طريق حجب
الثقة مما يؤدي الى حل الجمعية والرجوع الى
الناخبين .

ان سير الحياة السياسية ينبغي ان يخضع
الى قواعد قانونية أعلى من ارادة جميع
اشكال السلطة ، وينبغي ان تنظم التربية
والاعلام والقضاء في مصالح عامة اجتماعية
مستقلة يشرف عليها مجلس أعلى مستقل أو
وزراء مختصون ليسوا اعضاء في الحكومة
وانما هم مسؤولون مباشرة امام الجمعية . ومثل
هذه المصالح في الحقيقة المؤسسات الرئيسية
للحياة في المجتمع ؛ وينبغي ان يؤمن سير

عملها بمشاركة الجميع بغض النظر عن التحولات
العرضية وتغيير السلطة السياسية .

ولهذا ، وانطلاقاً من القيم المعنوية التي
يسعى الديموقراطيون لتحقيقها في جميع البنى
التاريخية المتعاقبة نعرف الاشتراكية بأنها :
« عمل الشغيلة في البلدان المصنعة اية
كانت فمتهم أو جنسيتهم بغية اقامة
ادارة جماعية للحياة الاقتصادية بواسطة
التنظيمات المستقلة من نقابات وتعاونيات
وحركات تربية ومجموعات مناطق احيى
تسرع في تحقيق التقدم التقني وتؤمن
التوازن في القطاعات وتوزع الانتاج
توزيعاً عادلاً وتشرك جميع العاملين في
القرارات الأساسية حيثما يعيشون وحيثما
يعملون مع احترام قواعد الحق الأساسي
التي هي أعلى من السلطة السياسية » .

نحو حزب اشتراكي جديد :

هل نحن بحاجة الى حزب اشتراكي جديد؟
وكيف ينبغي ان تكون بنية هذا الحزب ؟
لقد نظمت السيدة سيمون ويل قبيل
وفاتها بضعة اشهر ، عندما كانت تعمل في
مفوضية الداخلية في لندن ، تقريراً عن مشكلة
الاحزاب السياسية خلصت فيه الى انه يجب
إلغاء الاحزاب . والحزب في نظرها «منظمة
انشئت كياتمارس ضغطاً جماعياً على فكر
جميع الافراد الذين يؤلفونه ، والايامان الوحيد
لحزب سياسي انا هو قوه الخاص دون حدود» .
وكل حزب هو اذن مؤسسة يطغى فيها

عصبة الشيوعيين المكلفة أساسياً بعمل تربوي وبتكوين الاطر. والتدابير التحريرية الجارية حالياً تؤيد اضعاف نفوذه ايضاً. فالامر لايتعلق كما قال جيلاس وبعده ميكائيلون بالانتقال الى نظام تعدد الاحزاب وانما بالاحرى الانتقال الى نظام لا يوجد فيه حزب على الاطلاق.

فالعمال يديرون معاملهم ادارة ذاتية، وكذلك الامر بالنسبة للمواطنين في البلديات وفي الاتحادات، اما المنتخبون فيجب ان يتم انتقاؤهم بالنظر الى شخصيتهم اكثر من انتاءهم.

ان هذه الانتقادات عن خطر الحزب هي في الاجمال صحيحة، ولكن الحزب رغم ذلك يفرض نفسه. فلاتوجد في الحقيقة مصلحة عامة يمكن ان نعرفها تعريفاً عملياً وان تكون موضوعاً يجوز على اتفاق اجماعي لجميع العقول. والخيار الاساسي لا يمكن ان ينفذ بشكل كفي لا عن طريق افراد انيطت بهم وظيفة عليا، ولا عن طريق مواجهة مصالح مختلف الجماعات، مهنية كانت هذه المصالح او تتعلق بالمنطقة ذات العلاقة.

والامر يتعلق بخيار تم تنفيذه بالاستناد الى قيم. ولذلك ينبغي ان يكون هنالك مجموعة من الناس تعبر عن هذه القيم وتنفذها في الرأي العام بعمل تربوي مستمر وان تطلع الشعب في الانتخابات الحرة على اختياراته الأساسية. ولقد قيل: «لا يمكن ان تكون امة حياة سياسية دون حزب مثلاً

المجموع على الفرده طغياناً شديداً، وقد اقترح بعضهم ان نستعيز عن الحزب باجتماعات ومجموعات للمناقشة هي ما نسميها اليوم نوادي تجذب الافراد وتحول دون سيطرة الاهواء الجماعية. ونتيجة لذلك فان الشعب صوت على انتخاب مرشحيه بجرية استناداً الى برنامجهم الشخصي.

وقد توصل الكاتب الايطالي سيلوني الى نتائج مشابهة عندما قال انه «لا يمكن التوفيق بين الكاتب وبين الرجل النيامي، فالسياسي يريد السلطة بينما يريد الأديب الحقيقة». وانا متشائم بالنسبة لما يصدر عن المؤسسات دينية كانت او سياسية، وكما ان العقيدة اللاتينية تؤدي الى كنيسة فان المثل الاعلى للسياسي يتجسد في حزب ما يلبث ان يعتوره الشوّه». وكان سيلوني قاسياً في انتقاده للاحزاب العقائدية عندما قال: «ان حزباً يستند الى نظرية علمية لابد ان يثار التساؤل عن جدواه بعد بضع عشرة سنة عندما يتجاوز الزمن صيغته؛ والاحزاب ليست منظمات للبحث العلمي وعليها ان تحترس كيلا تصبح حراساً للمقابر. والخدمة الوحيدة التي تستطيع ان تؤديها الاحزاب الى العلم هي تأمين امكان اجراء بحوث مجردة عن الفوضى، فالقيم الحقيقية ابقى على الدهر من النظريات العملية». ويجب ان نلاحظ اخيراً ان التطور الحالي ليوغوسلافيا يتضمن الاضعاف المستمر للحزب الشيوعي الوحيد. فبعد ان وطد في البداية السلطة السياسية تحول الى

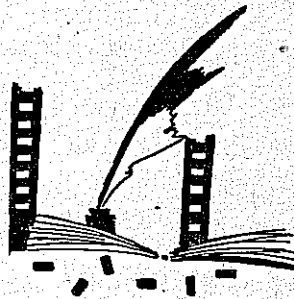
لا يمكن ان تكون هنالك فكرة دون لغة ، ولكن من ذراعي الأسف ان ثمة لغات كثيرة دون فكرة واحزاب كثيرة دون سياسة . ولكن وجود اداة وسيطة بين الشعب وبين الحكومة ضروري جداً للعمل الديموقراطي .

اما بالنسبة لبنية الحزب فهناك مفهومان: **الاول** هو ان ينتقي مرشحيه الى الجمعية الوطنية وتؤلف في البرلمان هيئة برلمانية تكون نواة الحزب وتفرض على اعضائه انضباطاً قاسياً .

والثاني هو ان يعتبر الحزب كجمعية مستقلة للتربية الشعبية الدائمة وللارتباط مع قوى البلد الحية ولرأية عمل الهيئة البرلمانية والسلطة التنفيذية عندما ينتخب مرشحيه رئيساً . فينتسب عندئذ الى الحزب الأشخاص مباشرة بشكل فردي او جماعي ونواتقانات الخ . . . ويعين المؤتمر القومي المرشح لرئاسة

الجمهورية والمرشحين للجمعية التشريعية ، وبذلك يحتفظ الحزب بوجود خاص وبجمعة المناقشة والدراسة دون ان يفرض على اي كان ، حتى على الهيئة البرلمانية انضباطاً زامياً . وفي الفرضيتين تكون سكرتارية الحزب جهازاً ادارياً مؤلفاً من موظفين محترفين يخضعون للجنة الادارية او لكتب الهيئة البرلمانية دون ان يشغل احد منهم وظيفة انتخابية او حكومية .

ان هذا الحزب سيتجه الى جميع اولئك الذين يبحثون عن ايجاد مجتمع مسؤول يقوده رجال مسؤولون ، وقد أثار فهم الحرارة ايمانهم بالانسان وشعورهم بالقيم الانسانية وفلسفتهم في الحرية . وسيكون عمل الحزب الاول ان يبعث الحياة في المؤسسات النقابية والتعاونية والتربوية ، على الصعيد المحلي وعلى صعيد المنطقة وعلى الصعيد الوطني وعلى الصعيد الأوربي .



المخاض

مسرحية شعرية لممدوح عدوان
دراسة وتحليل: نسيمة الرزاز

بهذه الكلمات أنهى الشاعر ممدوح عدوان مسرحيته «المخاض» وكانت الكلمات على لسان أحد أبناء القرية «الكبير» وهي تمثل المأساة الكاملة التي أراد أن ينقلها لنا الشاعر من خلال مسرحيته، مأساة الإقطاع في بداية الحكم الوطني في سورية، مجتمع الإقطاع الذي يتسلط فيه المالك أو الأثام على الفلاحين. وهو الأمر النهائي في القرية، وأما قوته فمستمدة من سلطة

مسكين أنت
مسكين مثلي
مسكين مثل جميع الناس
قدم من فوقك قد ضغطت
كي يسحق رأسك
ما كان بوسعك أن تفعل شيئاً
إلا أن تسحق أروسنا قدمك
كي لاتكسر
وقفزنا يوماً من ألم... فرميناك
لكن الثقل ازداد وأصبح اكبر

أعلى منه ، كما هي مستعمدة من جهل
الفلاحين الذين أعمى بصيرتهم الفقر فعاثوا
كالقطعان في بؤس شقي ، لا شعور
بالحرمان أو اليأس ولا شعور بالأمل .

نولد في كل مكان

نولد في أي زمان

ومثما يولد عجل أو حمل

تخرج أنت تجمع الأحطاب

تلقي بوليد بين أحراج الجبل

ثم تعود بالوليد والحطب

تألمت نفوسنا .. فقد نمت بلا حنان

ولم تعد تحس بالحرمان

أو باليأس والأمل

نحن نعيش دون أسماء

در كياً يقبض مرتباً شهرياً كان عليه أن
يرد الجليل للآغا ويأتمر بأمره ، ويلاحق
الفلاحين من أهله وإخوته وأبناء عمومته ،
فيتمرد بعضهم على قانونه الجائر الذي
يلاحق فيه أبناء القرية ، وقد يقتل المتمرد
الدركي ، والفلاحون هم الفحول التي
تحسن النطاح :

ونحن قطعان من الفحول تحسن النطاح

ولكن هذا النطاح لا يكسب الفلاح

إلا المزيد من الحوف فالهروب والفرار

المستمر ، هذا النطاح ليس الا تمرداً فردياً

لا يدرك صاحبه سببه ، كما لا يفكر في

نتيجته ولا فيما يبغى منه ، ولكنه يظل

على تمرده حتى يقبض عليه ويُعدم .

الناس تضح بشاهين

لكن كانت تسري بين الضجة أحزان

في كل رصاصة

قد يم أطفالاً لأذنب لهم

هل نهى شكوانا إذ نقتل كل الدوك

بؤساء أكثر منا

ماذا كانت خاتمته ؟

بائسون ، جائعون ، خوفهم الأكبر

من الجوع الذي لا يرحم ، يقتلون كالفتران ،

يقتلهم إخوانهم من الدرك والشرطة الذين

يعانون ما يعانيه الفلاحون أنفسهم من

جور الآغا الذي يبتز المال منهم ،

ولكنه يعمل بالمقابل ليدخل أحدهم

« سلك الدرك » . ومتى صار الفلاح

مسكوه ، وبعد قليل يعدم
والنحس هو التحس

فشاهين في المسرحية هو المتمرد البارز
في نفسه غضة كما في نفس كل فلاح يعبر
عنها بقتل الدرك ، والدرك أناس
مساكين مغلوبون على أمرهم ، مضطرون
لارضاء الأغا الذي كانت له اليد الطولى
في تعيينهم ، ولو كان هذا الإرضاء على
حساب اخوانه من أبناء القرية الذين
يشتك معهم في البؤس والشقاء .

يبدو لنا من هذا العرض أن الشاعر
قد صور في مسرحيته ناحيتين هامتين في
المجتمع الاقطاعي لتلك الفترة من أوائل
الحكم الوطني .

الناحية الأولى : هي تلك الغضة
الهوجاء التي ينقصها الوعي ، غضة تجت
عن شعور بالجور ، شعور بأنهم مستعدون
ليسوا أحراراً ، ولكنه شعور غامض
غير واضح دفع بعضهم الى التمرد ، ودفع
الآخرين الى الاستسلام الكامل .

الناحية الثانية : هي الفردية في التمرد

والثورة ، هذه الفردية التي لا تثمر خيراً
ولا تكون إلا وبالاً على صاحبها . إلا
أن هذا التمرد الفردي ، كان بصيصاً من
نور يمكن أن يزداد يوماً فيوماً فينير
طريقاً طويلاً مغروساً بالأشواك صعباً
وساقاً لكنه ينتهي إلى ثورة جماعية واعية
منتجة .

والأمر البارز في هذه المسرحية أن
البطل فيها هو مجتمع القرية بأسره من
رجال ونساء وشيوخ وأطفال ، فقد
خرج الكاتب عن القاعدة التقليدية في أن
يكون للمسرحية بطل فرد هو المحور
الذي تدور من حوله الحوادث ولكنه
مع ذلك قد جعل لبعض الأشخاص في
المسرحية مكانة أبرز من مكانات سائر
أبناء القرية . كالسكير الذي جعله
الكاتب يعبر من خلال أحاديثه عن
عن بؤس القرية والحرمان الذي يعاينه
أهلها حتى نمت نفوسهم بلا خنان
« ولم تعد تحس بالحرمان أو باليأس
والأمل » .

ويصور السكير ذلك التفكير
الساذج القروي الذي يرى أن الشقاء كله
غلطة بحق الأولياء .

شقاؤنا لسوء حظنا .. لسوء فعلنا
لأنّ واحداً من المشايخ النجّاب
دعا ربه علينا فاستجاب

حياتهم معوجة ولكنهم لا يدرون
كيف يقوّمونها ، فيحاولون تحطيمها
برعونة وطيش ودماء وقتل . فلا تقوّم
بل تبقى دينام معوجة . هذا النوع من
التفكير السطحي يمثله السكير بقوله :

وتبقى مثما كانت

حياة الفقر والحرمات

أتدري كيف نفعل كي نقوّمها ؟

نحطمها ونرتاح

وفلاح يسير الى الحقول لعله يسقي

فيقتله ليسقي الأرض فلاح

ولكن اراد الشاعر أن يجعل من

السكير شخصاً اعتمق احساساً بالمشكلة من

سائر أبناء القرية ، ولكنه لا يعلم كيف

الحل ، فيهرب الى الإغراق في الشرب .

فهم يعيشون في حلقة مفرغة يشكون
الظلم والجور الذي يقاسونه من الآغا
للشرطي ، والشرطي لا يستطيع الا
أن يرضي الآغا مادام هو الذي يعينه وهو
الذي يسرخه ان شاء ، ويستطيع
السكير أن يدرك هذه الحلقة المفرغة كما
يدرك أن الاقتصار من الشرطي لن
يشمر خيراً بل سيزيد من ثقل الذنب .

وقفزنا من ألم فرميناك

لكن الثقل ازداد ... وأصبح أكبر

أما الشخصية الثانية التي كان لها دورها

المميز في مجتمع القرية فهي شخصية

شاهين ، الذي مثل التمرد الفردي الرعين ،

فانتهى به هذا الى الاعدام اذ كان قد

جعل من الدرك الذين يتبعونه وهو فارس

غاية له يقتلهم واحداً بعد الآخر .

وكانت بداية تمرده ان رفض الإقرار

بأمر البليك ، فلم يدفع حصته من موسم

لوقاف القرية ، فسجنه الدرك واهانوه ،

ففرّ من السجن واهان الوقاف الذي

استدعى عليه الدرك ، فأزعجه هؤلاء

التمرد قد فتح أعين هؤلاء البسطاء من
الناس على أمر جديد . اذن هم يستطيعون
أن يتحدوا السلطة وان يقفوا منها موقفاً
لم يقفوه مرة من قبل . وصارت سيرة
شاهين اسطورة تدور على الشفاه ، نظمت
فيه الازجال ودار الحديث عنه على كل
الالسن . فهو في نظر ابناء القرية البطل
الذي لا يهاب . والانسان الحارق القوة ،
يقال انه قد زُوِّدَ بتميمة تمنع عنه الشر .
لا يمكن ان يصدق فرد في القرية انه
عادي ككل ابناء القرية . ولكنه في
حقيقته انسان مسكين عادي كسائر
الناس . له ضعفه كما له قوته . له شعوره
بالوحشة والعزلة ، كما له رغبته بالحياة
الوادعة مع الجماعة ، له رغبته في الهروب ،
كما له شؤونه للهدوء والاستقرار .

وقد وصفه الشاعر على لسان أحد
رجال القرية وكان قد آواه ليلة عنده في
أثناء هروبه ، ولعل هذا الوصف كان من
أجمل المقاطع الشعرية في المسرحية
وأرقها وأحسنها اختياراً للألفاظ

بدورهم اذ مجثوا عنه في داره وقلبوا
الدار رأساً على عقب . فخرج هارباً وجعل
الدرك منذ ذلك اليوم هدفاً له . يخف من
ماوى الى آخر ، يخشى ويختفي ، ولكنه
يهدد الدرك باستمرار ويتركمهم في دعر
دائم ورعب وحذر .

وقف أبناء القرية أول الامر من
شاهين موقف اللائم فهم لا يرون في هذا
التمرد الا النتائج الوخيمة على اهل القرية .
ولا يحسون الا الخوف ، الخوف من
السلطة ، الخوف من انتقامها ، الخوف
من الجوع . فالخوف هو كل ما في حياتهم ،
والجبل والسذاجة هما اللذان كانا يعمقان
جذور هذا الرعب الذي توارثوه جيلاً
عن جيل فصار فيهم طبعاً مولوداً فيهم
بولادتهم .

رجل : ولسوف ترون

ما يلحقنا من هذا المجنون

من يدري

يا رب استرنا

ولكن مقاومة شاهين واصراره على

الشعرية التصويرية ذات الجرس الموسيقي
المتوافق مع المعاني .

حدثني عن غرته وفراره
عن حقد يطويه لاقداره ،

عن ليل الريح وليل الرعب وليل
التعب

عن ليل العزلة والتطواف كذئب
مجروح

عن اشواق يحملها لابنه
ولأشجار الارض

أحسست كأني اعرفه

وددت لو اني أنصفه

قد كان كمن بلع السكين

انسان يجيا وحده

يخشى كل الناس

ويحب جميع الناس

لكني أحسست كأن به جوعاً للسحر

جوعاً للنوم بقرب الموقد

لليقظة لآخوف ولاموعد

لنداء الجيران له ومعاتبة الاخوان

ولشيء غير الهرب الدائم

* * *

أحسست كأني أرقبه يحرق أدمعه
لم يبك ولكن ابكاني معه

هذا هو شاهين على حقيقته ، ولكن
ابن القرية الذي ملأت قصة شاهين حياته
لا يمكن ان يرى فيه الا انه :

الغضب المحمول مع الرعد
قتال الدرك

يتصددهم في كل الطرقات

ويطارددهم كالشيطان

وهكذا يزداد عدد المتمردين في القرية .

ونرى من يتشبه بشاهين كالشباب حيدر .

وتنطلق الثورة من النفوس بعد أن كانت

كامنة ، تنطلق شيئاً فشيئاً ، يطلقها

شاهين ، الذي تميزت شخصيته في المسرحية

عن سائر الشخصيات ، ولكنها لا يمكن ان

تعتبر شخصية البطل للمسرحية كلها .

فأبناء القرية كلهم كجموعة ، هم ابطال لهذه

المسرحية ، التي أراد بها الكاتب ان يصور

سقاء مجتمع بأئس جاهل ، مغلوب على

أمره ، لا يرى لنفسه طريقاً واضحة

يسلكها لينقذ أفراده من هذا البؤس العميق .

والمسرحية كما يبدو مستقاة من واقع حي عاناه الناس فعلا في فترة من الزمن ، فقد ذكر الكاتب ان أحداث شاهين قد دارت في منطقة مصيف في جبال اللاذقية في بداية الحكم الوطني في سورية .

فالمسرحية اذن واقعية ، الا ان الشاعر جعل من المشهد الاول مزيجاً من مناظر مأخوذة عن الواقع وأصوات وكلمات تبعد بهذه المناظر عنه . فالمشهد على المسرح ملامح من بيوت القرية ، بعضها مضاء ، أصوات تخرج ؛ كل صوت من بيت او من جهة . فتسمع سبعة أصوات لنساء مختلفات من جهات متباينة ، كل منهن تحدث نفسها حديثاً شعرياً . هذه الاصوات بجموعها كأنها كورس كلاسيكي تقليدي الا ان مجموع هذه الاصوات يصور لنا المأساة بكاملها . فهذا أحدها يقول :

ما الذي مد على قرينتنا ظلامون أي حزن من ضوء القمر

ضوءه صار بكاء دون صوت
وعيون الناس تحبو

لم تعد ترغب طول السهر
نحن من خمسين عاماً
ربما اكثر منها

لوعة .. خوف .. هروب

حديث حلو معبر عن حقيقة مرة عانها حقاً أبناء القرية ، ولكنه ليس حديث امرأة قروية ساذجة . فلو جعل الكاتب الحديث كلاماً بسيطاً ساذجاً تتبادله نساء القرية فيما بينهن لكان ذلك أقرب الى الواقع الذي أراد الشاعر تصويره ؛ واقع البؤس والشقاء . واقع الجهل والغفلة ، واقع الغيظ والألم يغتلي في نفوس الناس فلا يجدون سبيلاً للتخفيف منه الا حديث الشكوى ونغمات زجلية يسكبون فيها كل أحاسيس الحزن واليأس كما يسكبون كل مشاعر الإعجاب بالتمردين الثائرين . هذا الإعجاب الذي ينتهي الى ياس حين ينقاد التمردون أخيراً الى السجن ، وقد سارت المسرحية بعد ذلك بمجواتها

وحركتها سيراً طبيعياً منسجماً مع واقع الحياة في القرية ، بما فيها من يأس وأمل ، من حزن وفرح ، من تمرد واستسلام . كل هذه الحاصل الانسانية نجدها معروضة في المسرحية . إما عن طريق الحركات او عن طريق الحوار .

وكان هذا الحوار كلاماً موزوناً مقفى أحياناً وشعراً أحياناً اخرى . فالمسرحية كلها موزونة الحوار ، ولكن لا يمكن أن نسمي كل موزون شعراً . فهذا قول البيك :

لأنّهم لم يردّ واحد منها انتظار رقيقه
فشقّ له رأسه بججر

وجاؤوا إليّ لفض النزاع
وما كان في الأمر داع للزعج بالأمر
مخفركم

فضضنا النزاع هنا

كلام موزون لا يمكن ان نسميه شعراً ، اذ ليس الشعر هو الكلام الموزون المقفى فقط ، بل هو نغمة تنسجم فيها الالفاظ مع المعاني والاوزان والقوافي . الكلمة

الشعرية هي ذات الجرس الموسيقي . ليس من الضروري أن تكون موسيقى الكلمات الشعرية هادئة رقيقة . فقد تكون كذلك صاحبة ذات ضجيج ان كانت الموقف والمعنى يقتضيان ذلك ، اللفظة الشعرية هي تلك التي تحمل في طياتها خيالاً مبحجاً ، هي تلك التي تبعث في النفس لونا ما من العواطف والأحاسيس والمشاعر . وقد لا تحمل اللفظة الواحدة هذا كله ولكنها بانسجامها مع اللفظات الاخرى المجاورة لها ، وبانسجامها مع المعنى والوزن ، قد تؤديه . وقد نجد في هذه المسرحية مقاطع قد اجاد الشاعر فيها فكانت متناسقة الالفاظ والوزن والمعنى ، ومقاطع اخرى لا يمكن ان نجد فيها من آثار الشعر الا الوزن . فهي الى النثر أقرب ، فهذا مقطع موزون :

كلهم أردال لا تسمع كلامه

كلهم عن حلّ امرٍ تافه قد يعجزون
فاذا العاقل منهم كان لا يققه من دنياه
شيئاً

ما الذي سوف تلاقيه مع السكير من
عقل وحكمة

وهذا مقطع شعري في المسرحية
ذاتها ، شعري بألفاظه وأوزانه وقوافيه
ومعانيه :

حدثني عن غربته وفراره
عن حقد يطويه لأقداره

عن ليل الريح وليل الرعب... وليل
التعب

عن ليل العزلة والتطواف كذئب
مجروح

عن أشواق يحملها لابنه
ولأشجار الأرض

* * *

لكني أحسست كأن به جوعاً للسمر
جوعاً للنوم بقرب الموقد

لليقظة .. لا خوف .. ولا موعد

لنداء الجيران له ... ومعاتبه الاخوان
ولشيء غير الهرب الدائم.

فالشعر في المسرحية كان يرتفع في
مستواه ويهبط . وقد تكون للكاتب
في ذلك حجة اذ يريد ان يكون بتعاييره

وألفاظه ناقلاً دقيفاً لتعايير ابناء القرية
وطريقة احاديثهم .

إلا أن أبناء القرية لم يكن حديثهم
في يوم موزوناً . ولو جعل الكاتب
مسرحيته نثراً لكان أفق الحديث عنده

أرحب ، ولكان أقرب من الواقع .
وقد لاحظنا أن الشاعر تعمد استعمال

الألفاظ والمفردات العامية التي كانت
تدور حقاً على ألسنتهم ، كقوله :

خطوات طرشت رعباً على كل الدروب
وقوله ؛ فعز الظهر فرّ رجالنا ...

وتبعزقوا في الليل كالشرر .

وقوله : لكنه معتبر أكثر مني وفقير

وقوله : كتبوا في الأرض مؤوته

وقوله : سددي حلقك هذا شغل

رجال

كما تعمد الشاعر أن يأتي بكثير من

الأمثال التي درجت على ألسنة الناس

فاستطاع بذلك أن ينقل لنا صورة عن

نمط التفكير البسيط لديهم والحياة

السادجة . إلا أن هذه الأمثال كانت

أحياناً تسيء إلى الحوار الشعري، كشعر.
ولو كان الكلام نثراً لكان التناسق بين
الامثال وسائر الحديث أكمل .

كقوله : يا سيدي ! من يأكل العصي
ليس مثل من يعدها

وقوله : هذي عادته

اني أعرفه

والله - ومالك عندي أي يمين -

مولانا يصرف ثروته في درب الناس

وقوله : بسم الله علينا

فال الله ولا فالك

وقوله : البنت ان عاشت على شرف

تمر في طابور عسكو بلا وجل

وقد نقل الينا الشاعر مجموعة من الاغاني

الشعبية التي كانت تغنى في تلك البيئة التي

دارت فيها احداث شاهين . وقد أحسن

في ذلك إذ أننا نرى دائماً أن المجتمعات

المظلومة - وبخاصة منها البسيطة والساذجة

والمغلوبة على أمرها التي لا تستطيع أن
ترد على نفسها جوراً أو عدواناً -
تسكب شكواها وأملها وتحديها
وثورتها المكبوتة كلها في غناء وأهازيج
وأزجال . وهكذا نرى الزجل في المسرحية
يصور لنا مدى اعجاب أبناء القرية بشاهين
الذي استطاع بمفرده أن يزعم مجموعات
من الشرطة والدرك ، والذي كان يقاوم
الدرك في وضح النهار، لايهاب ولا يخاف .
حتى لو بدا هذا الغناء غزلاً لاهياً ، لا بد
أن يتحول في النهاية الى تحدٍ للسلطة عن
طريق ابداء الاعجاب بشاهين ، حتى
تضطر السلطة الى تفريق الجموع المغنية
الهازجة كي لا يتحول هذا التحدي في
الزجل ، الى تحدٍ عملي فعلي .

وهكذا نرى أن المسرحية استطاعت

حقاً أن تتقل لنا واقعاً شقيماً بانساً لمبعثه

أبناء مصياف فقط في تلك الحقبة ، وانما

عاشه كل فلاحي قطرنا العربي السوري

كما يعيشه فلاحو كل مجتمع اقطاعي، واذا
كنت قد أخذت على الشاعر أساويه
شعره ، أو أن تكون المسرحية نثراً
الخواري الشعري ، فلأني عرفت في
شعره في المسرحية في مستوى سائر
حتى تكون فقط أصدق تعبيراً عن
ممدوح عدوان شاعراً فتوقعت أن يكون
الواقع .

صدر حديثاً

ديوانان لشاعرين معاصرين شهيرين

فواكر رجبية

للشاعر المهجري الياس فرحات
قصائد غزل يرجع فيها الى شبابه

أغان صيفية

للشاعر د . احمد سليمان الأحمد
أغان في الحب أنشدتها

منشورات : وزارة الثقافة - دمشق

اطلبوهما من جميع المكتبات

لفاء اخير مع الأديبة الراحلة

سميرة عزام

الفتاة الادلبي

تموت ... ونحن احوج مانكون الى
قلمها الشهم ، الذي ماخط الا الحرف
المشرق والكلمة المثاف ، قلمها الحر
الذي ما عرف الزلفى ولا المداجاة ، منذ
خط على الورق حتى ابدع الجملة الانيقة
المترفة ظل مترفعاً ، أيباً ، أمياً على
رسالة الادب ملتزماً هدفها الاسمى ، فما
انتهك شرف كلمة ، ولا حرمة حرف .
وكما اغتيلت ارضا العربية غدرأ ،

هكذا ، والرزايا تنشب محالبها فيناء
حتى لكان كل خلية من خلايانا جرح
ينزف الدم ، عين تنضح الدمع ، كبد
تشوى ، صدر يحترق الحقد والتصميم على
النار .

هكذا في غمرة المحن المتلاحقة تموت
سميرة عزام !! .. بنت فلسطين البارة ،
واكبر كاتباتها ، ورائدة من رائدات
القصة القصيرة في أدبنا النسوي .

اغتالت^(١) المنون سميرة غدرآ ، وهي في طريقها الى الاردن . راحت هناك لتأسو جرحآ ، لتواسي نازحآ ، لتهدد مجنونآ أفقدت عنف الصدمة صوابه ، لتوقد الحماسة في صدر صبية مونتورة كاد يتسرب اليها فتور اليأس ، راحت لتتنسم أخبار الارض المستباحة ، عسى متسللا من عكا ، وطنها الأم ، يحمل اليها خبرآ تصوغه قصة بطولة ترويهما الاجيال . وتتبرأ مكانتها الى جانب قصة (خبز الفداء) و (برك سليمان) و (لأنه يحبهم) الى آخر ما أبدع قلبها من قصص رائعة في أدب النكبة .

أن أنسى . لا أنسى آخر لقاء لنا على شاطئ المتوسط ، واحدة من لقاءات كان يسرق فيها منا الزمن ولما نحك ما عندنا بعد . . . تقف سميرة وترسل طرفها الى المدى البعيد ، ثم ترده الي وفي عينيها السوداوين الذكيين أثنى من ندى دمعته ، وتحديق في وجهي ثم تقول جادة :

— ذات يوم ستفاجئين بنعبي . . .
ذهلت . . . راحت انظر اليها مشدوهة ،
وهي ماثلة أمامي صبية تقف في العافية .
وتتابع قولها :

انها الحقيقة ، ان قلبي أضعف من ان
يحتملني . . . فانا لا أتفق به ، أحمله دائما
اكثر من مستطاعه . . . ستأسفين علي بألفة
لا كصديق فحسب ، بل كرفيقة حرف
لم يتح لها قصر العمر ان تعطي جل
ما أرادت .

قلت : فأل الله ولا فالك . . . ما هذا
المزاح ؟؟ ألم تجدي لي عندك في هذه
الأمسية الحلوة وقبل ان نفترق خيرا من
هذا الحديث ؟

وتشيع على محياها ابتسامة ساخرة
مشوبة بالأم ثم تقول :

أعرف انني ثقيلة وقاسية احيانا ،
ولكن لمن اقولها إن لم اقلها لك ؟ . . .
ثقي انني - لولا أُمي - ما خشيت الموت

(١) يوم الاربعاء ٩ آب - اغسطس ، توفيت الاديبة سميرة عزام بالسكتة القلبية وهي في السيارة في طريقها الى الاردن .

ابداً . تعب كلها الحياة . . وما اشتبهه
هو أنت يهمني العمر حتى انشر روايتي
(سيناء بلا حدود) لقد بذلت فيها جهداً
كبيراً حتى رضيت عنها . ألا ترين انني
قد وفقت بالعنوان ؟؟ لقد تاه اليهود في
سيناء ، ولسيناء حدودها . اما نحن ابنا
فلسطين فقد شردنا في انحاء العالم حيث
لا حدود ! . . . ونفترق ، وفي قلبي هلع
عليها . . . كافي أوجست انه آخر لقاء
لنا . . . وهكذا كان !! . .

طوبى لأديب يموت وهو في قمة مجده
ولكل قته ، والقلم تتفاوت علواً
وصعوبة مرتقى . فهناك الذرى الشاحجة ،
وهناك التلال المتواضعة . كل حسب
ما اودع فيه الخلائق من طاقة .

ويا حسرة على من ينحدر من قمته
ليموت على السفح .

واللوعة كل اللوعة على من يموت وهو
يصعد المرتقى الصعب الى الذروة الشاحجة ،
يصعد والخطى ثابتة ، والنفس مليئة بالثقة
وبالطموح الى الاجمل والاكمل .

هكذا ماتت سميرة ! . . . هكذا
انطفأت الشعلة في عز الصبا ، وموسم
العطاء . فيا للوعتنا عليها !! . . .

كم يقهرني ان فقيدتنا الغالية لم تجمع
مقالاتها وكثيراً من قصصها المبعثرة في
الصحف ، واحاديثها وخواتمها الاذاعية
في كتب لروجدت لكنت لبنات مشرقا
في صرح ادب المرأة عندنا . وكان لديها
منها مئات العشرات ذهبت هباءً على
الأثير ، وهي من الأدب الرفيع البناء .

كنت أنتظر مواعيدها على الاذاعات
لأستمع بجرس صوتها العميق الدافئ
وكلماتها الحلوة ومعانيها العميقة .

لم نجن من ثمارها سوى القليل بمالديها .
رواية طويلة لم تنشر بعد هي (سيناء
بلا حدود) وبعض الروايات والقصص
والكتب الادبية المترجمة عن الانكليزية
بلغة عربية متينة رصينة ، واربع مجموعات
قصصية هي (أشياء صغيرة) و (الظل
الكبير) و (قصص أخرى) و (الساعة
والإنسان) . ومنذ باكورة نتاجها

اغتصب وطهبها أبشع اغتصاب عرفه
التاريخ ، فذاقت مرارة الشرد ، ولوعة
الاعتراب . وكان لهذا كله تأثير بالغ في
نفسها انعكس صوراً حية في قصصها .
يا أغر صديقة ! . لكم أتمنى الا انتمهي
من الحديث عنك ، ولكم تمنيت والله
ان تقفي مني موقفي منك اليوم . . فانت
أقدر مني على وفاء كل ذي حق حقه ،
وهذا ما عجزت عنه أنا ! . .

ان مصابنا بك فادح ! . ومن يملأ
فراغك الكبير ؟ ؟

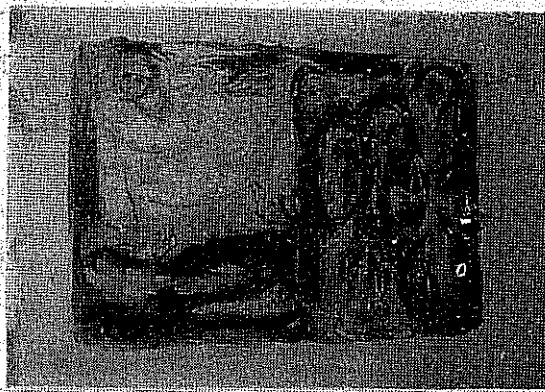
حين اكتمل نضجك ، وبدأ فيض
عطائك التراجع الموت فاستلك منا في
غدر لثم قبل ان تحصد مواسمك الخيرة .
لئن غبت ياسميرة عن الاحداق
فستظل ذكراك ماثلة في اذهاننا ، محفورة
في قلوبنا نحن اصدقائك ، وقراءك ،
وانه لبعض من وفاء اصيل عرفناه بك .

استطاعت ان تكون لأدبها طابعاً خاصاً
يميزه عن غيره ، فهي ذات ذات مستقلة
منذ كانت برعماً في دنيا الادب . وهذا
لا يتأتى الا لذوي المواهب الاصيله ،
وقصصها كلها ذات طابع انساني واقعي ،
مغلف بغلالة شاعرية نفتقدها في اكثر
الادب الواقعي . وشاعريتها هذه تبتق
عن الموقف ، لا عن الكلمة المزوقة .
ولذا جاء اسلوبها بعيداً عن التكلف ينساب
بسهولة ويسر ، ويستهوئ القارئ ، منذ
المبادرة الاولى حتى آخر كلمة . وهي
بارعة في خلق الاجواء منها تعددت
ألوانها ، كان في استطاعتها ان تنقل قارئها
في سطور قليلة الى حيث تشاء . والحبكة
في قصتها متينة متراسة حلوها من الحشو
والنوافل كما يقضي بذلك فن القصة القصيرة
ولأن اتسمت خواتيم بعض قصصها
بالعنف ، وأحياناً بالقسوة فما ذاك الا
لانها بنت ثورة فلسطين . في مطلع صباحها

لوحان جديرية ومعرض مجول

حول المعركة..

غنازي الخالدي



الشهيدة

النياس زيات

القومية تعبيراً صادقاً وحراراً يمثل رأيه وموقفه من هذه الهزة .

وفي زيارة لمراسم بعض الفنانين التقيت باعمال في طريقها الى المعرض .

بدون ان تتم اية دعوة علنية لاقامة معرض حول موضوع العدوان كانت الدعوة قائمة بالفعل في نفس كل فنان على حدة ليعبر من خلال احساسه الخاص بالهزة

الذي سينطلق من دمشق الى عواصم العالم^(١). تدور كلها حول الموضوع الوحيد الذي فرض نفسه على جميع فئاني الوطن العربي في هذه المرحلة .

● نذير نبعة . يرسم اليوم ثلاث لوحات ، منها لوحة (الوطن الام) . وهي لوحة تعبيرية رمزية بأسلوبه الاخير الذي يعتمد على تحطيم الشكل وبنائه على اساس جديدة من خلال رؤية خاصة به .

وقد لجأ الى الرمز في الشكل والموضوع والحركة والتعبير ، فالام هي الوطن ، والاولاد هم الدول العربية التي كانت هدف العدوان المباشر .

لم يحاول نذير ان يلون ، فاللون هو احد وسائل التعبير وليس كلها ، لذلك ركز بلون واحد فقط على هذه المأساة البشرية التي لم تأخذ طابع التخاذل .. او الرضوخ وانما تحمل معنى الاضرار والتمرد والعودة .

وحركات الاطفال من الناحية التشكيلية تؤلف مع حركة الام مربعاً

متكاملاً له ابعاد متساوية تقريباً ، كما ان عدم التشابه في وضع الايدي جعل التنوع ظاهرة مريحة للعين عندما ترى اللوحة لأول وهلة .

ومن ناحية اخرى . . ان هذه المجموعة من الاطفال مع امهم . . رسمهم عراة ، بمعنى أن الرمز هنا دخل الى المعنى الميتافيزيقي بالنسبة للشكل المرتبة في الطبيعة . فالهدف في اللوحة على هذا الاساس ليس بالانسان الفرد المطروحة صورته في اللوحة . . وانما الانسان العربي . . بمعناه المطلق . . الانسان المرتبط بالوطن الام . . دون أي تزييف او تغطية .

أما التعبيرات المرسمة على الوجوه فهي تحمل مزيجاً من الالم والثورة والاستنكار . . وبالتالي الاصرار على الانتقام . . وبالنسبة للوحاته الأخرى فهي تتشابه بالحركة مع اللوحة الاولى من ناحية بسط الايدي والاذرع الى ابعاد مدى تشكيلي في اللوحة ، وهذه الحركة

(١) افتتح هذا المعرض في دمشق في ٣٠ آب (أغسطس) الماضي .

متأثرة بالمرح الكلاسيكي بالذات وخاصة
عطيل .

وانا ارى ان الفنان اذا لجأ الى
استعارة صور ذهنية ادبية او صور واقعية
حقيقية من المعركة ، يقع في ازدواجية
مرعبة بين شعارات الادب ولغة الفن
التشكيلي ، او بين مفهوم الواقعية وبين
الفكر التركيبي . فالواقع المرئي شيء
وطريقة التعبير عن هذا الواقع شيء آخر .
فالفنان هو العنصر الذي يكمل او يعيد
بناء الطبيعة والواقع ، او يغيره تغييراً
جذرياً من خلال المعطيات المعروفة في
الفن التشكيلي .

وهذا هو الفرق بين الاعلان واللوحة .
فالاعمال التي قدمت في المعرض المكشوف
الذي اقيم في دمشق ابان المعركة كانت
اعلامية ذات طابع توضيحي وتحمل
شعارات ادبية مستوحاة من الواقع مباشرة ،
اما الاعمال التي تعد اليوم في بيوت الفنانين
ومراسمهم فهي تختلف عن تلك اللوحات

اختلافاً كلياً خاصة وان اللوحات
التصويرية تحمل معنى المأساة غير المرتبطة
بزمان او مكان معين لذلك لا تحمل
صفة الاعلان المرتبط بمحادثة معينة . فاللوحة
التصويرية تحمل معنى بدياً وتستمر
قيمتها الحضارية مع الايام دون ان تفقد
قيمتها الجمالية .

● وممدوح قشلان رسم لوحة عن
النكسة لجأ فيها الى فكرة اللاجئين
المشردين ، عالج الموضوع بأسلوب تعبيرى
سبق ان قدمه في احدى لوحاته في معرضه
الاخير . ويعتمد هذا الاسلوب على التشويه
المقصود في النسب التشريحية وفي البناء
المعاري للأشكال .

والشيء الذي وقع به ممدوح هو
الناحية المسرحية المبالغ بها للدرجة ان
مجموعة الوحدات جمعت ووضعت
كأنها على خشبة مسرح بالفعل ،
كما ان طابع المبالغة في الحركة ايضاً
اعطى اللوحة صفة ادبية خطابية اكثر
من كونها لوحة تشكيلية ، اي ان

الجلول التشكيلية المطروحة في اللوحة لم تكن على مستوى الفهم العلمي للتكوين في العمل الفني .

● وناجي عبيد رسم لوحة مستوحاة من المعركة بأسلوب زخرفي مبسط متأثر إلى حد ما بأسلوب الفنانين (بول كلي) و(نعيم اسماعيل). الا انه رغم ذلك يتفرد بشخصية خاصة بالنسبة للالوان وبالنسبة لطريقته المعروفة باستعمال الكتابة العربية ... والذي يؤخذ على لوحته هو هذا الحشد الزائد بالوحدات الزخرفية التي كان من الممكن تبسيطها والاستغناء عن بعض اجزائها . والكتابة جاءت هذه المرة منفصلة عن التكوين . الا ان روح المناسبة .. والالم .. واضح من خلال الوجوه الثلاثة الموزعة في منتصف اللوحة . وشيء آخر حاول ان يركز عليه هو فكرة امتداد وتلاقي الخطوط بين اجزاء التكوين المختلفة ، وهذا أيضاً جاء بشكل مفتعل بعض الشيء . فالخط لا يجبر على المسير نحو شكل معين ، ولكن الشكل

هو الذي يفرض الخط ويوجهه بشكل عفوي .

● واما عز الدين شموط فقد لجأ إلى التركيب الهندسي ورسم لوحة بأسلوب زخرفي مبسط ، حاول ان يستخدم وحدات شبرية وآلية وطيور وشعارات وكتابة ، جمعها كلها في تكوين مستطيل اسماه (النازيون الجدد) .

اللوحة تعتمد بالدرجة الاولى على التعشيق بين المساحة والشكل وبين الوحدة الزخرفية والخطوط المتلاقية من جراء رسم او كتابة ، مع تخفيف لدرجات اللون بحيث تتعكس المساحات . ان هذا الاسلوب زخرفي بحت ، والغنصر الانساني فيه متفقد بأسلوب هندسي آلي يفقد معه المضمون الانساني ، كما ان حشد الوحدات الزخرفية من خلال الشعار النازي اعطى اللوحة ثقلاً وأفقدتها التوازن . الا ان الفكرة من حيث الاصل فكرة جيدة كانت تحتاج الى توزيع آخر للوحدات التي فيه ؛ فبعض الوحدات فيها

مرتبطة ارتباطاً متيناً ، وبعضها متفكك
بشكل واضح .

● والياس زيات الفنان الذي عرفناه
بتجريدية في المرحلة الاخيرة يرسم اليوم
مجموعة لوحات من وحي المعركة منها
لوحه (الشهيدة) . أعطى في الصورة
احساساً شاعرياً ، وبأسلوب تعبيرى متين ،
وقسم التكوين الى قسمين اساسيين : قسم
واقعي ، وقسم رومنتي . أما القسم
الاول فيمثل مجموعة نأثحات في اوضاع
مختلفة يجمعهن الحزن العميق ، وأما القسم
الثاني فتبدو الشهيدة فيه وهي تتحرك الى
الامام في طريق الخلود كأنما تمهد الطريق
للجيل المنتصر الذي سيأتي بعدها . والتكوين
في اللوحة على هذا الاساس يعتمد على
عنصرين تشكيلين أساسيين ربطتهما
الفكرة واللون . وهذه العودة من الياس
زيات الى الاشكال الواقعية ليست ردة
في اعماله ولكنها استمراراً لتجاربه
وخبراته لان الياس فنان اصيل وخبراته
متصلة .

● واسماء فيومي ايضاً الفنانة
التجريدية تساهم ايضاً في معركة المصير ،
وترسم بأسلوبها المعروف الذي يعتمد على
البقعة اللونية والمساحة المتصلة ، مجموعة
وجوه بشرية ملتحمة تعبر عن ضدمة
النكسة واثرها الشديد على المواطن
العربي . وبالطبع ان اللون هنا هو العنصر
التشكيلي الهام فاللون يتحرك بين جميع
اجزاء الصورة دون ان تحده خطوط
معينة فهو الذي يحمل التوتر النفسي
والانفعال الشخصي ، وهكذا تحاول
اسماء فيومي ان تطوع التجريد وتستخدمه
في مجالات قومية .

● وكذلك في مركز الفنون التشكيلية
تجد امين الدوخي وقد رسم مجموعة
خرائب كرمز لوحشية العدوان . قال في
لوحته : « اننا ستعيد البناء » . واللوحة منفذة
باسلوب انطباعي ومن خلال نظرة
واقعية للطبيعة . الشيء الذي يؤخذ عليه
هو الاحساس الترييني في وضع الخرائب ،
ولكن ذلك لم يؤثر كثيراً على بناء اللوحة .

كل هذه اللوحات وغيرها تعد الآن في مراسم الفنانين في حمص وحماه وبقية المحافظات لتعرض في معرض متجول عام يحمل للمواطن العربي والعالم صرخة الفنانين واحتجاجهم ، باعتبارهم من دعاة الحضارة الانسانية . والفن على هذا الاساس لم يعد تسجيلاً للوقائع بل اصبح صرخة ، وكلمة ، واحتجاجاً .

• وغازي النبالدي رسم ايضاً لوحين الاولى اسمها (القدس) وهي عبارة عن مجموعة بيوت موضوعة على شكل صليب تتوسطها قبلة الصخرة ، واللوحة الثانية واسمها (نابالم) وهي رمز لتناقض الذي يتبجح به قوى العدوان بين الحضارة وبين استعمال قنابل النابالم .



استغاثة اللاجئين

مدوح قشلاق

في متحف دستوفيسكي

بقلم: ج. كوغان

ترجمة: سامي دهر

عن مجلة « الثقافة والحياة » السوفيتية

بوجدوتكا (شارع دوستوفسكي،
اليوم) .

هناك، وفي ركن من اركان
موسكو ، بالقرب من « بيوت
المتواضعين » ومقبرة الفقراء ، وفي بيت
متواضع لأحد الاطباء ، امضى كاتب
المستقبل سنوات طفولته .

وفي شهر ايار سنة ١٨٣٧ ، غادر
دوستوفسكي هذه الاماكن وذهب الى
مدينة بطرسبرغ ، حيث دخل المدرسة

قبل نيف ومائة وخمسين عاماً اي في
سنة ١٨٢١ ، ذوت في احد السجلات
الكنسية لمدينة موسكو واقعة الولادة
التالية: وضعت زوجة الطبيب العسكري
ميخائيل دوستوفسكي ، في شهر تشرين
الاول ، (اكتوبر) في المنزل المجاور
لمستشفى الفقراء ، طفلاً عمده تحت اسم
« فيدور » ..

يقع ذلك المستشفى الذي كان يعرف
آنذاك بمستشفى مريم ، في شارع نوبايا

المركزية للهندسة . ومالبث ان احيل
بعد ذلك على التقاعد . فانتقل منزل
اسرة دوستوفسكي الى طيب آخر ،
وظل مستخدماً المستشفى يتعاقبون
سكناه سنوات طوالا .

كتب اخوه الاصغر اندريه
دوستوفسكي : « كان والدنا
يسكن منزلاً يمكننا القول انه يتألف من
غرفتين باستثناء مدخل النصفية والمطبخ .
فما كنا نجناز الدهليز حتى نلج نصفية تطل
نافذتها على الباحة الامامية . وقد اقيم
في تلك النصفية حاجز من الدفوف لا يكاد
يلغ السقف ، ويعزل خلفه غرفة الاطفال .
ثم تأتي الغرفة العامة المشتركة ، وهي
غرفة كافية السعة ، وفيها نافذتان تطلان
على الشارع ، وثلاث اخريات تطل على
الباحة الامامية . ويلى تلك الغرفة البهو؛
وفيه نافذتان تطلان على الشارع ، وقد
اقيم في اقصاه حاجز آخر من الدفوف
يعزل غرفة نوم ابويناسه المظلمة .
هذا هو المنزل . » وقد ألحقت به

فما بعد غرفة اضافية ، فقد كان الطبيب
دوستوفسكي ثمانية اولاد .
وفي الحادي عشر من شهر تشرين
الثاني سنة ١٩٢٨ جعل متحف
دوستوفسكي في ذلك المنزل .

وقد احتفظ حتى بالحاجز الذي كان
يفصل النصفية عن غرفة اكبر الأولاد
ميخائيل وفيدور ، حيث كان يبيت احدهما
الآخر احلامه عن « الجمال والسمو » .
وقد كتب فيدور دوستوفسكي في يومية
كاتب : « كان اخي ينظم الشعر ، فكان
يكتب كل يوم قصيدتين او ثلاثاً . أما
أنا ، فكنت انسج في ذهني حيوط قصة
تروي حياة مدينة البندقية . »

وفي تلك الغرفة شبه المظلمة ، ذات
النافذة الواحدة التي تطل على حجرة
الاشياء المهملة ، كانا يقرآن بشغف شيلار
ومعاصرهما بوشكين : « كنا نعرف
جميع قصائده تقريباً عن ظهر قلب . »
وحفظ في البهو حيث كانت تشترك
الاسرة في المطالعة الاثاث القديم (الذي

نقل من قرية « داروفينه » من أعمال
زارا ئيسكي حيث اقام والد الاديب
بعد احواله على التقاعد . وقد وصف
دوستوفسكي هذه المطالعة في قصة
محتفرون ومهانون . وعندما كان
يستذكر الكتب التي كانت أليفه في
صباه كان دوستوفسكي يلاحظ : « ان
انطباعات الجميل ضرورية في فترة الطفولة ،
وقد حملت معي في الحياة من هذه
المطالعات كثيراً من الانطباعات الجميلة
والسامية ... »

وتحتوي المكتبة على طبقات لقصص
روسية شعبية مزدانة بصور ملونة :
« كنا نملك دائماً مثل هذه الكتب . كما
تجوي اول كتاب تعلم الأطفال فيه
القراءة (أربع ومئة مقدسة مقبسة من
العهدين القديم والجديد .) وكذلك
كتاب « تاريخ الدولة الروسية »
لكارامازين ، وقصص آنت راتشليف
ووالتر سكوت « الذي قرأت جميع
مؤلفاته وأنا في الثانية عشرة من عمري » ،

ومؤلفات ديرجافين وجو كوفسكي ،
وما سي شكبير والمجلة الشعبية لتلك
الفترة « مكتبة المطالعة » التي كانت
تنشر قصص جورج صاندو وبلازكوديكنز .
وكان دوستوفسكي يتذكر أيضاً
الحفلات الموسيقية العائلية : « كانت أمي
تحسن العزف على القيثارة » . وقد ضمن
« الاخوة كارامازوف » احدى الأغاني
التي سمعها في طفولته . وعندما كان
يقراً سنة ١٨٦١ كتاب « زواج
بلازامينوف » لالكسندر اوستروفسكي
مع اخيه ، تذكر دوستوفسكي بهو
منزلهم ومن كن يترددن عليه : حالاته
وجداته اللواتي كن يتبعين لأوساط
التجار . « كنا نمسك خواصرنا من الضحك
من ركن موسكو الذي زرناه بعد ان
أصبح نموذجياً . وقد شاهدت آلاف
المرات من (تلك النسوة زوجات التجار)
عندما كنت أعيش في موسكو وأنا في
العاشرة من عمري تقريباً » .

ويمكن مشاهدة لوحات في المتحف

ودراسات عن مؤلفاته ظهرت في بلدان مختلفة . وتُحفظ في المتحف اولى اعماله الأدبية (ترجمة لقصة بلزاك « اوجيني غرانده » التي نشرت سنة ١٨٤٤ في مجلة « سجل العباقره » ، وقصة « المساكين » التي ظهرت في « منتخبات بطرسبرغ » وقام بنشرها نيكراسوف سنة ١٨٤٦) واعداد من « حويليات الوطن » و « الرسول الرومي » المتضمنة قصصه ؛ ومجلات « أزمنة وعصور » التي أصدرها بالاشتراك مع أخيه ، و « يوميات كاتب » التي كان يصدرها في السبعينات ، وكتب عديدة تحمل اسطراً مكتوبة بأيدي فيدور دوستوفسكي وأصدقائه .

ويحرص كل زائر على مشاهدة مخطوطات الاديب ودفاتره الصغيرة . (كان دوستوفسكي يطلق اسم « اختراع التضاميم » على أولى مراحل عمله في كل من قصصه التالية : « الجريمة والعقاب » و « الابله » و « الممسوسون » و « المراهق » و « الإخوة كلرامازوف » . فهي تشهد

تمثل اقارب الكاتب . وقد صور دوستوفسكي أحب حالاته الى قلبه (التي قال عنها : « انها ساهمت مساهمة كبيرة في تربيتنا منذ الطفولة حتى بلوغنا سن السادسة عشر) تحت ملامح امرأة عجوز في روايته « المقامر » ، هي التي كانت تصطحب ابناء الطيب دوستوفسكي في عربتها من بوجيدوسكا الى الساحة الحمراء . وقد كتب دوستوفسكي : « كانت زيارة الكرملين وكاتدرائيات موسكو محاطة بالنسبة لي بما يشبه الهالة » .

ولا يحتوي منزل الطيب القديم على أشياء طفولة دوستوفسكي وحسب ، بل جمع فيه كل ماله علاقة بذكرى هذا الكاتب الكبير ، بما في ذلك آثاره التي أهدتها أرملته السيدة دستوفسكايا ، الى مدينة موسكو سنة ١٩٠٦ .

وتسمح هذه القطع المعروضة بتتبع حياة دوستوفسكي رجلاً واديباً خطوة خطوة . فالكتب عديدة جداً : طبعات سوفيتية واجنبية لقصصه ،

على التأمّلات العميقة والتناقضات المتساوية عند ذلك الرجل الذي أحب الحقيقة بكل جوانحه ، وذلك الفيلسوف الذي قال عنه توماس مان : « انه أعظم عالم نفسي عرفه الادب العالمي » .

والى جانب المخطوطات ، الصحف التي كان يطالعها الكاتب الذي كان فريسة الشوق الى الاخبار ، وكان يهتم بأبرز مشاكل زمانه .

وتحبي ورائق أخرى أعوام دراسته في المدرسة المركزية للهندسة ، والفيرة التي أمضاها في خدمة مدرسة بطرسبرغ للهندسة ؛ وتوجد بينها مذكرات القاء القبض على دوستوفسكي لاشتراكه في جمعية بترافسكي ، ومحاضر التحقيق في تلك القضية ، والحكم عليه بالإعدام ، واعتقاله النهائي الذي حكم بوجهه بالسجن مع الاشغال الشاقة ، وبالخدمة في معسكر تأديبي ، وكذلك تقارير عن حياة دوستوفسكي في المنفى وفي سجن قلعة « اومسك » ، والامر القاضي بتجنيدته في

الكتيبة السيبرية السابعة ، المعسكرة في سيمبلا تسك ، كجندي بسيط ، والامر بترقية الجندي دوستوفسكي الى رتبة حامل العلم .

كتب الى الجنرال تولين الذي كان قد تعرف اليه في مدرسة الهندسة بوجه المساعدة على إحالته على التقاعد والعودة أخيراً الى مدينة بطرسبرغ بعد عشر سنوات أمضاها في المنفى :

« إن المهنة العسكرية ليست ميدان عملي . . فقد اعتبرت دائماً مهنة الكاتب أنبل المهن وانفعها . وأنا واثق تماماً بأنني لن أكون نافعاً حقاً إلا عن هذه الطريق . »
ثم تأتي ورائق أخرى تشهد على المراقبة الشديدة التي احيط بها الكاتب في هذه المدينة ، وعلى عمليات تفتيش منزله اثر عودته من أسفاره الى الخارج ، وورائيق أخرى تشهد على الشهرة العالمية التي كان دوستوفسكي يتمتع بها في السبعينات : فقد انتخبه المؤتمر الادبي الذي انعقد في لندن ، رغم تغيبه عنه ،

عضواً في لجنة الشرف للاتحاد الأدبي
الدولي . ودعاه فيكتور هوغو شخصياً
لحضور المؤتمر .

وتكشف صور دوستوفسكي
النقاب عن جوانب متعددة من حياته ،
« نهر مصائبه الناري » وعن تأملاته .
فها هو مثلاً رسم للدوستوفسكي الشاب ،
وهو أول ما وصلنا من رسومه ، أنجزه
بقلم الرصاص سنة ١٨٤٧ تروتسكي ،
أحد رفاقه في مدرسة الهندسة . واللوحة
التي رسمها بوميرانتشيف أحد معاصري
الكاتب التي تمثل « عيد الميلاد في بيت
الموتى » ، هي أول رسوم قصة « ذكريات
بيت الموتى » . ويظهر فيها دوستوفسكي
بين المحكومين بالاشغال الشاقة في سجن
« اومسك » . ثم تأتي صور فوتوغرافية
لدوستوفسكي في الستين والسبعين من
عمره ، ورسم بقلم ي . كرامسكوي
نفذت سنة ١٨٨٠ نقلاً عن آخر صورة
فوتوغرافية للكاتب بمناسبة الاحتفالات
المكرسة لتدشين نصب بوشكين .

ويطوى الزوار أمام مكتب الكاتب .
وتلاحظ عليه أدواته الشخصية : النظارات
وريشة خشبية بسيطة وبعض بروفات
قصة « الإخوة كارامازوف » ورسائل
كان قد تلقاها من قرائه . وفي المكتبة
كتب قدمها للدوستوفسكي بعض
أصدقائه ، وكتب أخرى ، مجموعة كلها
وفق اللائحة التي وضعتها السيدة
ا . دوستوفسكايا ، لأن مكتبة
الكاتب لم تحفظ بكاملها . ويلاحظ فيها :
« دون كيشوت » لسرفانتس (قرأ
دوستوفسكي عدة مرات هذه « اعظم
كلمة للفكر البشري » عندما كان يعالج
شخصيته « الرجل الایجابي » في قصة
« الأبلة ») ، ومؤلفات بوشكين وغوغول
وديرجافين ونيكرا سوف وتولستوي
وشكسبير وشيلر ، ودراسات فلسفية
ولا هوتية ، ومؤلفات عن تاريخ روسيا
وفرنسا وألمانيا . وإلى جانب هذه الكتب
توجد بعض صور فوتوغرافية من مجموعته
نسخ عن لوحاته المفضلة للرسامين رامبراندت

وتيسيان ولورين ورافائيل، وصور أخرى
كان قد اشتراها من معرض درسدن ،
وصور للمدن السويسرية والإيطالية
والألمانية التي عاش فيها في السبعين من عمره .
وفي حديقة المتحف ، بين أشجار
الزيفون ، يرتفع نصب تذكاري شيدته
النحات السوفيتي ميركوروف للكاتب
الروسي العبقري .

الاشتراك بمجلة

المعرفة

يعني وصولها الى القارئ بانتظام وبسعر مخفض

بدل الاشتراك السنوي في سورية ١٠ ليرات سورية يرسل حوالة بريدية
باسم محاسب مجلة المعرفة (دمشق - وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي)
أو يسلم اليه شخصياً .
يرسل الاشتراك من خارج سورية بموجب شيك على احد المصارف التي لها
فروع بدمشق باسم محاسب المجلة .

المعرفة : مجلة الطلائع العربية

حب

قصة للكاتب البلغاري
اييلين بيلين

بمناسبة مرور ٩٠ سنة على ميلاده



اييلين بيلين

في الثلاثين من تموز (يوليو) الماضي
انقضت تسعون سنة على ميلاد الكاتب الواقعي
البقاري الكبير «إيلين بلين» Elime Pel ne .
وليس هذا الكاتب اليوم من الاحياء ، فقد
فارق شعبه الذي احبه حباً عميقاً . بيد ان
صنيعه الادبي ما زال نضراً فتيماً ، فريداً
ومفعماً بالحياة ، قوي الاثر في النفوس ،
فالزمن عاجز حيال سحر اقا صيصور ورواياته
القصيرة الذي صور فيها ، بديعة فنية فائقة ،
جمال الارض البلغارية ، ونبل وبقاوة ابناء
الشعب الذين يصنعون الحيرات المادية ،
خلاقا للمستثمرين والغاصيين .

ان ايلين بلين هو من ابرز ممثلي الواقعية
الانتقادية في الأدب البلغاري . وليس في سيرة
حياته وقائع جديرة بالتنويه . فقد نشأ في
قرية صغيرة فقيرة قرب صوفيا ، وذاق منذ
حدائه من نكد الحياة البائسة التي عانها
أولوف الكادحين في زمن الرأسالية . وبدأ
أيلين بلين يكتب مؤلفاته خلال العقد الاخير
من القرن الماضي عندما كانت بلغاريا تمر في
فترة بداية تراكم رؤوس الاموال . وخلال
هذه المرحلة اخذت المظالم الاجتماعية تجز
بشدة ، وانهار الكثير من الآمال . فقد كانت
الرأسالية قوة غاشمة تسحق كل ما هو نقي
ووضاء ورفيع ، وقد منيت الاماني الجميلة
والمطامح الشريفة باختيار فظييع وحل الدمار
ونبتت بفظاظة ، كسقط المتاع ، المثل الوطنية
النبيلة القديمة التي امتاز بها عهد النضال
التحرري في بلغاريا . واخذ كثير من الكتاب

ينددون تنديداً شديداً بالاخايل الدينية التي
يلجأ اليها الرأسماليون في بلغاريا وغيرها .
ومن الحقول والاكواخ المتداعية ، من
رؤس الفلاحين المعذبين واوجاعهم ، جاء الى
المدنسة الكبيرة كاتب اخذ يتكلم
بلسان الشعب . وكنت كتاباته في ظاهرها
خشنة خالية من التنميق والمؤثرات العصرية ،
ومن التألق اللفظي والتراكيب الرمزية
المعقدة ، ولكن ما أشد قوتها القطرية ؛
وما أعمق صدقها وحيويتها وبعدها عن التكلف
والاصطناع اهل بوسع القارئ الا يصدق
كاتباً كهذا ، والا يعجب بالقوة والجمال في
عبادته التي تحوي حكمة الكلام الشعبي
وذكائه ونضارته ، وتتألق كاللؤلؤة ، وتتردد
فيها اصداه الرقصات الشعبية في ميادين القرى !
هذا الكاتب الجديد هو ايلين بلين . وبكلماته
يتحدث الشعب . وقد انطوت نفسه على كنز
من المشاهدات والانطباعات المستمدة من حياة
الكادحين المألوفة . والشعب لدى هذا الكاتب
هو الفلاحون الذين يملأون ، في رأيه ، امتن
مقومات الروح القومية . ان كل أنة يطلقها
الفلاح يتجاوب صداها في نفسه ، وكل توق
في نفوس الشعب هو باعث على ترقب جديد
وآمال جديدة . ويكشف ايلين بلين في الكثير
من اقا صيصه مثل « في العالم الاخر » ،
« اندريشكو » ، « الحاصدون » ، وفي
قصصه الطويلة مثل « عائلة غيراك » ،
و « الارض » ، عن الصورة المثلى للانسان في

« جميل » ، « جريئة » ، « الحقل المتخلف »
وغيرها .

ويصور ايلين بلين كيف يكبح الجهل
والايمان بالخرزعات ، قوى الشعب وبقيدتها
ويجرها الى القنوط والانهيار . وكيف تسير
مظام السلطة جنباً الى جنب مع الدجل
الديني . ولكن حتى اشع صور الواقع
لاتدفع الكاتب الى التشاؤم ، ولا تفل ايمانه
المطلق بقوى الشعب العاملة السليمة .

في قصته الطويلة « الارض » ، يصور
الكاتب بقوة فنية كبيرة ، تحلل الرأسمالي
الزيفي الجديد وجشعه الدنيء في شخص اينيو
الذي استحوذت عليه شهوة تكديس الثروة
متمثلة في الارض وحدها ، بحيث بات يريد
ان يتلك حقولا لايلم بها البصر ، وان تكون
له اجل الاراضي واجودها ، وتعتش اينيو
هذا هو قوة مدمرة تضخم بلا انقطاع
وتبلغ ابعادا مربعة حتى تفضي آخر الامر
الى جريئة فاجعة : اذ يقوم بطل القصة
بمحاولة قتل اخيه ويجرحه جرحا بليغا
ويجوله الى اسنان عاجز لايقوى على الحراك .
وتدل تصرفات اينيو على ان به مرضا ،
ولكن اساسها الاجتماعي واضح ، فهي
تصرفات ثوذية تماما بالنسبة للوسط
الذي يصوره .

ولأيلين بلين نتائج كثيرة من لون
آخر : نتائج بهيجة مرحة ، يشيع فيها
شعور التعلق بالحياة والفكاهة الحية . وتكمن
على الدوام في اساس الاوضاع المضحكة

نظرة : ان يكون شريفاً ، شجاعاً ، محباً
للعمل . وهو يرى في الفلاحين تجسيدا تاماً
لروعة العمل المتضامن الذي يبدو له سعادة
هادئة لاتشوبها الشوائب ، ذات علاقات
انسانية بسيطة نقية ، ومناقب اخلاقية .
ويلاحظ الكاتب بألم كيف ان الاستثار
الرأسمالي الدنيء والقوانين الامبريالية الذئبية
تقوض كل يوم ماهو جميل ووضاء .

ويبحث ايلين بلين عن اشكال جمالية
متنوعة ليعبر عن سخطه واحتجاجه على
تناقضات الواقع . وقد عبر في نتاجه المؤثر
ذي المحتوى العميق كقصتي « على الأتلام »
و « أنشاء الحصاد » عن آلام الشعب ايام
الرأسمالية بصورة فنية فريدة ، خالية من
المبالغات العاطفية او الشكوى السلبية .
ولا يكتم الكاتب حبه العميق للكادحين
المعذنين . بل يرسم شخوصهم بعطف ظاهر ،
ولكنه لايجعل منهم اشخاصا مثالين ولايبالغ
في استخدام الألوان المعتمة ، بل يتعاقب لديه
الحزن والمرح ، وتلتاقى عنده اطراف
الصراعات التراجيدية . وايلين بلين صلب
كالصخرة الصماء في دفاعه عن الفلاحين
الفقراء ، من مهاجم فهو عدوه . واذا لم يكن
في الامكان قهر الثر ، فلا اقل من الانتقام
منه . والكاتب يمجّد الابطال الشعبيين الذين
الذين لايمنون رؤوسهم امام الرأسماليين
الجشعين والمرايين وارباب السلطة ، ويناضلون
ضد الجرائم وان يكن ذلك نضالا عفويا ،
جزئيا ، غير منظم . ومن ادلة ذلك اقايصيه

كتب تاجات ملهمة عن عمل الشغيلة الذين
تحرروا من الاستغلال .

إن كل ما كتبه إيلين بلين هو آثر عظيم
للشعب البلغاري . وهذه الكتابات بما فيها
من اتجاه إنساني وتفاؤل وعدم تعاون مع
الاستعمار والرأسمالية والامبريالية هي مساهمة
قيمة في حضارة كل البشرية التقدمية التي
تقارع قوى الظلام والرجعية .

التي يصورها قضايا أساسية هامة من الحياة .
وحتى عندما يقصد الكاتب إلى التسلية فإنه
لا ينسى أبداً شقاء الفلاحين والاستثمار .
وفكاهة إيلين بلين فكاهة شعبية حقيقية ،
فهي فكاهة هادفة ، حكمة ذات مضمون .
لقد آمن هذا الكاتب إننا عميقا بمستقبل
الشعب . وشاء حفظه إن يعيش ليرى
الحرية الشعبية ويحصد قواه لبناء الحرية
الجديدة . وفي آخر سنوات حياته

خلال النهار كله في الحقل كانت تحس
نظراته ، الفاحصة الصارمة الباردة ،
تلاحقها .
وقالت لنفسها :

— لقد حدث الامر . يا الهي ، لماذا
لم تحفظ ؟ . . .

واحست بدوار النشوة وهي تستعيد
الذكريات الغالية الحلوة التي ما برحت
غضة ، ذكرت الأغاني والمزاح ،
والكلمات التي لم تنبس بها الشقاء ،
والنظرات الحفية التي كانت تتبادلها مع
« دوبريان » أجيرهم .

إنها تحبه . آه لكم تحبه !

اعفى القس لوقا ، هذا المساء ،
فلاحيه من العمل باكراً ، ولم يسمح لهم
كما في الأمسيات الأخرى ، برفق
الحرور والمرح .

وشيعت ابنته الحسنة « ايفكا »
صديقتها إلى الباب الخارجي . وكانت
تمزح معهن وتضحك في عتمة المساء .
ولكنها رجعت كالحائفة ، وشرعت
تساعد أمها في تنظيف البيت ، وهي
مرتبكة كمن افتقر ذنباً .

لقد أثارت فعلة أيها هذه خاطرا
سيناً في نفسها . وارتعدت حين عن لها
إنه يعرف كل شيء .

لقد ظلت النهار كله تحلم بهذه الأمسية
تحلم بأن يلعبا معا في ظلمة المساء القريرة
وبغيا ويضحكا .. وان تنطلق الى رقصة
الحور مع دوربان ، وان يهمس لبعضها
في السر ، دون أن يراهما او يسمعها
احد .

ولكن

ان اباه رجل غني ، معروف ، له
مكاته . انه قاس و صارم ، وهي تعلم
ذلك . وما كان ليصرف الفلاحين في هذا
الوقت المبكر لولا ان في الأمر شيئا .
اما دوربان فلم يلتزم الصمت ، بل قال
لها وهو ينصرف على عجل :

— ايפקا .. هل ادر كت لماذا فعل
ابوك ذلك ؟

لقد أحس بنحطنا وسيحطمها ...
سيفرق بيننا !

— كلا يا دوربان .. انه ليس على ما

يرام ...

هكذا اجابته محاولة ان تطرد عنها
هذه الفكرة .

فابتسم بحتق قائلا : أنا ادري ..

واتجه نحو مخزن الخلال .

واذ وجد نفسه وحيدا تنهد بحتق ..

فقد شق عليه الأمر كما شق عليها . وقال .

وقد استبد به السخط :

— آه ، ايها القس ، ايها القس ، لو

كنت تعرف كل شيء ! واستلقى على

ظهره بقوة فوق كومة من العشب

الأخضر ، وتاه بصره في السماء المسائية .

العظيمة المترامية الاطراف ، التي يشد

اطرافها حزام المجرة الوضاء المرصع

بالنجوم . وبالتدريج تطهرت نفس

دوربان من الموجدة والسخط وصفت

وامتلأت بالسلام والحبة . فتحت هذه

النجوم الالهية المرتعشة اقسمت له .

« ايפקا » على الحب الأبدي .

— وماذا عن ايها ؟ .. فليتميز من

الغيظ ما شاء !

وجلس دوربان على العشب وراح ينفخ

في شبابه بالهام ، وارتعشت انغام عجيبة

في الهدأة العميقة لتلك الليلة الصيفية .

الساكنة . ارتفعت الانغام بادية الامر
هادئة ، مرحة ، ثم توقفت لحظة ، واعقبها
أغنية حزينة مفعمة بلوعة لا حدود لها ،
اغنية تعبر عن المسرات الروحية الهادئة
في القرى وسط الكدح المضي الذي يفوق
الطاقة . وارتعشت الانغام المتداخلة ،
وراحت تغلو وتهبط ، مترامية في سكينه
الليل كالبكاء المرير . وكانت تنساب
أحياناً هادئة ، ثم تغلو وتتصب كوابل
من الدموع . وفي النهاية تحولت الانغام
الى أنين ، وكأنها تسأل المغفرة عن ذنوب
لم تقترف ، وتضرع الى السماء بقنوط
طالبة الغوث .

كان القس لوقا قد ظل بعد العشاء في
الحديقة الباردة . ولبث ينصت الى الشبابة
دون تأثر ، ويفكر في دوريان مغناظا .
لقد تعرض شرفه لاهانة بالغة ... كيف
تجب ابنته الوحيدة المدللة « ايفكا » اجيرا
ينام في الاسطبل مع جياده ؟! ...

وعندما فتح باب المنزل قليلا ، ورأى
في ضوء النار المتوهجة قامة « ايفكا »

الرشيقة وهي تتقدم متوجسة خائفة ، هب
من مكانه وقد لسعته نار الغضب ، واتجه
نحوها بحذر ، وقد صر على اسنانه .
وقال لنفسه :

— سأضربها ضرباً مبرحاً ، ليعود
عقلها الى رأسها !

بيد ان ايفكا اغلقت الباب وتوارت .
اتجه القس لوقا الى الاسطبل . وكانت
قامته المديدة ، تبدو في ضوء القمر سوداء
كالشبح ، وهي تنسل بحفة وحذر . وعلى
السور الابيض كان ظله المعتم الهائل
يتبعه متلصقا .

شعر دوريان بقدومه فكف عن
العزف . وعندما اقترب القس لوقا اخفى
الشبابة ووقف احتراماً .

وقال القس بصوت خفيض صارم ،
وهو يتوقف :

— دوريان ، لقد كنت مطيعا في
عملك ، ولكن ...

لم يدر الكاهن ماذا يقول . كان
يرتعد من الغضب . ولكنه تقالط نفسه
وراح يبحث عن كلمات لينة ، لانسج

الى شعور دوربان الذي لم يكن يعرف
ماذا سيقول له القس، فلبث ينتظر بصمت .
واستطرد القس يقول وقد لانت
عريكته :
- اني بمتن لعملك . ولكنني ارى
امورا ...

فهم دوربان فغض طرفه . وانحس
بنار الحجل تلهب جبينه .

- ان ماتفعله هو عار . . . وخير لك
ان تصرف ولا تعود الى هنا بعد اليوم . .
ولا تتوهم ان من الممكن ان يحدث شيء . .
هل فهمت ؟

اعتصم دوربان بالصمت .

- هذا كل ما في الأمر . . .

قال القس ذلك واتجه بخطوات مترنة
نحو البيت .

سار دوربان مترخاً مذهولاً في باحة
المنزل ، وفتح البوابة وغاب في الشارع
المقمر ونفسه مفعمة بالموجدة والاهانة .
ودخل القس لوقا المنزل مقطباً ،
شأنه طيلة ذلك المساء . كانت ايفكا
وامها تعملان قرب النار . ففترست الام
في عينيه متسائلة . وقالت بركة :

- اين ابطأت ايها القس ؟ لقد تأخر
الوقت .

فعد القس لوقا على كرسي قرب النار
التي كان اللهب يتراقص فوقها ، ولم يبتس
بجرف .

وعادت زوجه تقول بجمان :

- هيا نم ، لقد لوحك الشمس طوال
النهار .

فأجاب القس :

- لا يواتيني النوم .

ثم أضاف بعد قليل :

- لقد طردت دوربان . .

كانت ايفكا عاكفة على وعاء الماء
تؤدي عملاً ماء ، فانتصبت مصعوفة وتطلعت
الى ابيها . واستمرت الام تنفوس في
زوجها ، وقد استولت عليها الدهشة .
وخيم الصمت على المنزل . وظلت السنة
النيران تراقص في الموقد بهيجاً ،
وضوؤها المرح يرتعش على الجدران
البيض والصحون والاشياء في المنزل .
وكانت القطة تنام في الزاوية بكسل .

وحتى القس لوقا رأسه متفكراً ومضى
ينقر بعصية حبات مسبحة الواردة من
القدس . كان وجهه جامداً لايفصح عن
شيء ، وضوء النار يتراقص فوقه وينيره
على نحو غريب . وبعد صمت طويل
مرهق قال ، دون ان يتحرك ، وكأنه
يحادث نفسه :

— كان لابد ان اطرده .

وزفر باستياء .

وتساءلت الام : أي ، ولماذا فعلت
ذلك ؟

فقال القس منزعجاً ، دون ان يتطلع
الى ابنته : لتقل لك ايفكا !

قالت الام راغبة في تسوية المسألة :
يارجل ، لاتقل ذلك !

فكرر القس : ستقول لك ايفكا .
وضعت ايفكا صحناً كان في يدها

واستدارت ، ورفعت يديها الى عينيها
واخرطت في بكاء خافت . وضاعف ذلك
غضب ابها فصرخ بها :

— تبكين ، ها ؟ ادري لماذا تبكين ..
اخرجي من البيت !

فقالت الام : مهلاً ، لاتعنف الطفلة ،
يارجل !

— لتغرب عن وجهي ، لا اريد ان
اراه . سأضربها حتى الموت !

— يا ، ماهذا ؟ هل جنت ايهالقس ؟

— اسكتي ! انت ايضا عوجاء !

غادرت ايفكا المنزل . وراحت
الأم تقزع القس ، فزجرها ثم خرج عبر
الباب الصغير الى الحديقة ، وبعد ان
اشعل لنفسه بعصية لفاقة تبغ ، اخذ
يتمشى جيئةً وذهاباً ، يلاحقه ظله المعتم
الكبير .

كانت القرية قد هجعت منذ وقت
طويل في احضان تلك الليلة الباردة
الرائحة من ليالي تموز . وكان القمر
المكتمل ، البهيج يعوم في السماء . ولم
تكن تسمع نائمة من أية مكان ، سوى
الطاحونة المائية التي كان هديرها الحافت
يتناهى من بعيد . وكانت الاكواخ ،
القروية الواطئة المنزوية باستكانة بين
بساتين الفاكهة ، غارقة في اغفاء عذبة ،

وهي تضم بين جوانحها فلاحين مجاهدين
حاق بهم البؤس . وغالياً فوق المشهد
القروي المعتم كان ضياء القمر يغمر
حليب الكنيسة ، هذه التعويذة التي تمد
الفلاحين بالأمل وتأسو قلوبهم المعذبة .
وعلى مقربة من الكنيسة كان صف من
اشجار الخور السامقة يتصب وكأنة
حف من رهبان سود عمالقة .

راح القس لوقا يذرع الحديقة بعصية
وهو يفكر .

وبغثة شفت هداة الليل صرخة
نسائية مريعة ، لعلت بقنوط وبشاعة
وانقضت رهية مشؤومة و كأنها هوت
من قبة السماء ، واعقبها صرخة ثانية
وثالثة . وأخذت الكلاب التي ايقظها
الصراخ ترسل هريها الموحش ، واقشعر
الليل .

تسمر القس في مكانه مصعوقا . وعلى
حين غرة هرعت اليه زوجه مذعورة ،
فاقدة الرشد ، شبيهة بالجنونة ، وتشبنت
بمسوحه . ثم ارتمت على الارض بقنوط
وصرخت من جديد .

ومرة اخرى ترامى فوق القرية صدى
صرختها بشعا ، مشؤوماً ، فاقد الصواب .
ارتعد القس وانفضها مرتاعا وهو
يقول : انضي يا امرأة ، ماذا هناك ؟
وظلت هي تشد مسوحه بفرع وقد
انعقد لسانها .

وسأل القس لوقا طائش اللب ، وقد
حدس الامر البشع الرهيب : ايفكا ؟
اين ايفكا ؟

جذبه امرأته من مسوحه نحو البيت
وهي لاتقوى على الكلام ، وقد انخت
الى الارض وهي تعول وتولول .
وفي الظل تحت السلم كانت ايفكا
ترقد دامية وقد فارقها الحياة .. وارتمت
الام فوق جثتها ..

راح الناس يتراكضون في جميع
طرق القرية مذعورين والكرى لم
يفارق جفونهم بعد ، وملأوا فناء منزل
كانت ايفكا ترقد ميتة . فقد انعدت
سكينا مرهقة في قلبها ، وبدها المامدة
ما تزال تقبض على السكين . وكان القمر

الناس ، وكان اطولهم قامة ، فقد لبس
هناك يحدق بذهول ويلوح بيديه عاجزاً
ذاهب الصواب .

كان الناس يتقاطرون مشدوهين وهم
يتساءلون : ما الذي حدا بهذه الفتاة اليافعة
الطيبة ان تغمد سكينها في قلبها . ورسم
رجل مسن على صدره علامة الصليب
وقال : اننا متقدمون في السن ...
لا نستطيع ان نفهم القلوب الشابة .

يسبغ نوره الناعم على وجهها الحلو
الشاحب واهدائها الكثيفة السوداء
القس . وتعالى صدى الصراخ والنحيب .
المطقة ، وعلى القميص الابيض الذي
يجب صدرها الناهد انتشرت بقع حمر
كالقرنفل . واحاطت صاحبات ايها
الشابات بصديقتهم الميتة واخذن يتحنن
بلوعة ، واغمي على الأم .
اما القس لوقا الذي تجمع حوله

من الخائف

الى التطور الاشتراكي في لقطاع الزراعي

تأليف الدكتور صلاح دزان

دراسة عميقة وجديدة لمعضلات التخلف
الزراعي وتقديم الحلول لها

نشر - وزارة الثقافة - دمشق

يطلب من جميع المكتبات في البلاد العربية

نداء من المثقفين العرب

يدعو إلى إقامة وحدة اتحادية عربية

في مثل هذه الظروف التي احسب فيها الشعب العربي بنكبة فادحة ،
يشعر جميع المحلصين من أبناء هذه الأمة بضرورة التفتيش عن طريق يتوفر فيه
أمل الخروج من الوضع الحاضر، ومتابعة السير في طريق تحقيق الأهداف القومية
والاجتماعية . لقد أظهرت هذه النكبة من جديد العداء التاريخي بين معسكر
الاستعمار بقيادة الولايات المتحدة ، وبين آمال الشعب العربي في التحرر والوحدة
والاستقلال، كما أظهرت مواضع الضعف في المجتمع العربي وأظهرت بالتالي ضرورة
المساة لمعالجة ذلك بصورة جذرية .

صحيح ان اوضاع البلاد العربية كانت تدل منذ الغزو الصهيوني الاستعماري
لفلسطين في ١٩٤٨ على ضرورة اعادة النظر بالوضع العربي ، الا ان النكبة الحالية
قد وفرت ادلة مادية ملموسة على ذلك لم يعد من الممكن اطلاقا تجاهلها ، واوصلت
الأمة الى وضع الخطر الحقيقي الأكيد .

وقد اوصلت هذه النكبة بلادنا وشعبنا الى وضع الدفاع عن الكيان
وسلامة الوطن ؛ الأمر الذي يجعل بصورة طبيعية مسألة الدفاع عن الامة في
المكان الأول من كل شيء آخر . لذلك فالخنة الحاضرة سحنة قومية تمس كل
المواطنين وتواجه مجموع الشعب والوطن العربي .

وبناء على هذا الوضع الجديد الخطير نرى ان الأمل الوحيد المتوفر امام
بلادنا لمواجهة هو السير العملي في طريق الوحدة العربية . لقد استطاعت الحركة
الثورية العربية ان تصل لمواقع الساطة في بعض الاقطار العربية ؛ الأمر الذي
يجعل مسألة الوحدة بين هذه الاقطار أمرا ممكنا ؛ خاصة بعد ان أصبحت هذه
الاقطار بالذات تواجه خطر الصهيونية والاستعمار وجها لوجه وبصورة ملموسة .
ان جميع الظروف الحاضرة تقم الخروج من وضع التجزئة لوضع الوحدة كطريق
أساسي لتكوين القوة المادية والمعنوية لمواجهة الخطر والدفاع عن وجود
الامة العربية .

اننا الموقعين على هذا البيان ، شعورا منا بمسامة الخطر المحدق ببلادنا
ووجودها ، ولفداحة الاهانة التي لحقت بامتنا وحضارتها وشرفها ، وللخطر الحقيقي
الذي يواجه جميع خطوات التقدم الاجتماعي والاقتصادي التي قامت بها بلادنا ،
نرى ان نقطة البداية في مواجهة النكبة هي في تحقيق خطوة جديدة الى الامام في
سبيل الوحدة . ونؤكد بأن تلك الخطوة الوحيدة لا يمكن ان تتجج الا اذا
بنيت على اساس متحرر من نفوذ الاستعمار المباشر او غير المباشر ولا يمكن ان
تخدم اهداف الشعب الا اذا التزمت بثبات بسياسة مقاومة ذلك النفوذ في المنطقة
وفي العالم .

كما أن هذه الخطوة لا يمكن اعتبارها بديلا عن النصر وانما بداية الطريق

الى النصر الذي لا يمكن ان يتم الا باستمرار المعركة التي ستسهم بدورها في ترسيخ هذه الخطوة عمقا وشمولا . لذلك :

— ندعو جميع القوى التقدمية وجميع المؤمنين بالوحدة من ابناء شعبنا الى ضرورة التعاون ووحدة العمل وابتعاد الحلول لجميع العقبات التي تقف في وجه ذلك ، وازالة الآثار السلبية التي خلقتها الظروف الماضية .

— وندعو الحكومات العربية المعنية الى انشاء وحدة اتحادية بين الاقطار العربية المهيأة لذلك كالعراق وسورية والجمهورية العربية المتحدة والجزائر واليمن لتكون دولة تقدمية عصرية تصلح لان تكون نواة لوحدة العرب الشاملة ، وقادرة على التصدي لخطر الصهيونية والاستعمار وعلى تحقيق آمال جماهير الشعب في التقدم الاجتماعي .

— كما ندعو المثقفين وقادة الرأي العام وطلّاع الشعب في كافة المجالات الى العمل لتعبئة الرأي العام من أجل تحقيقها بكافة الوسائل الممكنة ، كما ندعو المواطنين العرب الى تأييد هذه الدعوة واطلاق ذلك على الرأي العام .

التواقيع

الدكتور محمد خير فارس

« عبد الكريم رافق

« مفيد رائف العابد

« عبد الرحمن حميدة

« احمد بدر

« عبد الكريم الاشر

« اسعد عربي درقاوي

« احمد طريين

كلية الحقوق :

الدكتور كمال غالي

« محمد عزيز شكري

« جاك حكيم

كلية الآداب :

الدكتور بديع الكسم

« غسان رفاعي

كلية العلوم :

الدكتور عبدالله واثق شهيد - وزير

التعليم العالي

« هاني بطيخ

« حسن قصر اوي

« ابراهيم حداد

« عيسى مسوح

« صلاح احمد

« محمد ابو حرب

« مصطفى جمو ليلي

« مصطفى حداد

« انيس كنجو

كلية التربية :

الدكتور جودت الزكابي (العميد)

كلية الفنون الجميلة :

الدكتور عبد الرؤوف الكسم

فاتح المدرس

لؤي كيالي

المعهد العالي للتخطيط :

الدكتور عدنان شومان (العميد)

« سعدون حمادي

كلية الهندسة :

الدكتور عبدالرزاق قدورة (العميد)

« نور الدين الرفاعي

المهندس وليد خرطيل

« سعد الله مسوح

« محمد كرامة بدورة

« اسعد تقلا (وزير النفط)

كلية التجارة :

الدكتور حمدي السقا (العميد)

« عدنان نجار

« هيثم هاشم

« ناظم حيدر

« محمد العبادي

« سعيد النابلسي

« محمد الاطرش

« حيدر غية

فخري اللحام

الدكتور حسان مريود

كلية الزراعة :

الدكتور محمد ابريق

خالد فارس (امين سر

جامعة دمشق)

الفنانون :

فيصل الياسري (مخرج)
علي عقلة عرسان (مخرج مسرحي)
الدكتور عفيف بهنسي (رسام ومدير
الفنون الجميلة بوزارة الثقافة)
غازي الحالدي (رئيس مركز الفنون
التطبيقية بوزارة الثقافة ورسام)
فايز نهري (نحات)
خزيمة علواني (رسام)
خالد معاذ (فنان)
وديعة رحمة (نحات)
جورج رحمة (مهندس ديكور)
دمسي ارزومنيان (مهندس ديكور)
عبد السلام قطرمين (نحات)
عدنان إنجيحة (نحات)
نذير نبعة (رسام)
جورج جبلي (كلية الفنون الجميلة)
جورج بوغوص (« « «)
اسعد فضة (مخرج وممثل)
كامل المقدسي (مدير المسارح
بوزارة الثقافة)
الدكتور رفیق الصبان (مخرج)
هاني الروماني (مخرج وممثل)
فوزي الرواس
خضر الشعار (ممثل)

الدكتور عبدالله قسام
« احمد رجائي
« رياض الابرش
« هشام متولي
« عبد الشافي العلمي
« طارق الاتاسي
« هشام الخطيب
« كرم توما
اللواء المتقاعد غسان حداد
الدكتور نعيم الشكار
« عبد الوهاب العقاد
« مفيد حامي
« طه بلي
« محمد جر كين مرعندي
« هشام الاخرس

الفنانون :

سعيد مخلوف (نحات)
سليم كلاس (ممثل)
غسان جبيري (مخرج)
علاء الدين كوكش (مخرج)
دريد لحام (ممثل ومخرج)

الكتاب والرواية :

- جان الكسان
علي كنعان
احمد شكري
محمد سعيد منصور
ضياء عبد الرزاق حسن
حسين راجي جر كس
معين بيسو
محمد علي الاشقر
محمود كامل
فيصل حوراني
ممدوح عدوان
وليد مارديني (كاتب اذاعي)
منذر قولي (امين العاصمة - دمشق)
الدكتور عبد الوهاب خياطة (امين
عام وزارة التخطيط)
احمد مدنية (امين عام وزارة الاعلام)
مصطفى النابلسي (امين عام وزارة
الداخلية)
احمد الزعبي (مدير عام مؤسسة
الاصلاح الزراعي)
سهيل الغزي (مدير عام الخطوط
الحديدية)
اديب الجمي (رئيس تحرير مجلة المعرفة)
محمد غزوة دروزة (كاتب)
نجاه قصاب حسن (كاتب)
علي الجندي (شاعر)
محيي الدين صبحي (كاتب)
زكريا تامر (كاتب)
الياس فاضل (كاتب)
هاني الراهب (كاتب)
عبد الله الحوراني (كاتب)
خالد ابو خالد (شاعر)
حيدر حيدر (كاتب)
يوسف ناصر (كاتب)
موريس قندلفت (كاتب)
جهاد دروزة (كاتب)
سعد الله ونوس (كاتب)

الصحفيون :

- الدكتور ناجي الدراوشة (رئيس
تحرير جريدة البعث)
نصر حسن شمالي (رئيس تحرير
مجلة الطليعة)

وزارة الثقافة والسياحة والارشاد

القومي :

محمد زهير العقاد (وزير الثقافة)
الدكتور يوسف شقرا (الامين العام)
عبد الهادي هائم
الدكتور خالد الصوفي
علي محسن زيفا
هشام حداد
ذكية الصوفي
عدنان دهني
نادر شنيكر
حنا ابو جمره
حمزة البواقي
ناظم كروما

وزارة الاقتصاد والتجارة الخارجية :

الدكتور احمد مراد (وزير الاقتصاد)
محمد سامح سباعي
عبد الكريم السمان
هشام عمر باشا
يحيى عزودي

الدكتور هشام العاص (وزارة الصناعة)

المهندس محمود تجار (امين عام مساعد

وزارة الاشغال)

المهندس هاني التابلي (المؤسسة

العامه لتنفيذ المشاريع)

وزارة التربية :

سليمان الحش (وزير التربية - كاتب)

محمود الايوبي (امين عام)

احمد الخطيب (نقيب المعلمين)

عاصم البيطار

خيرى النشواني (امين عام مساعد)

عدنان بغجاتي - مدير التربية بدمشق

احمد القادري - مدير البحوث

حسان سالم

عادل حماصنة

فالح فلوح

ياسر المالح

موفق الشرح

اسماعيل عكلة

المصرف المركزي :

الدكتور عدنان الفراء (الحاكم)
ابراهيم بيطار
هنري شامي
احمد عدنان شاولش
رفعت العقاد
عبد الله ابيض
ابراهيم ابراهيم
بشير بوقدار
فهد عزيز
اميل جهشان
هنري سادريان

عماد الحراكي
فؤاد الزين
جميل سعادة
حسن فاعوري

ماجد الصفدي

عبد المنعم زنايبي
كمال خالدي (مؤسسة سد الفرات)

وزارة الزراعة والاصلاح الزراعي

الدكتور هشام فرعون

الدكتور عبد الحنان حاوة

فانز الفراء

محمد عدنان صبري

محمد معصم

محمد هلال سعودي

حسن العطار

الياس نصر

هاني الكيلاني (منظمة الأغذية)

القاضي بشير الاحمر

القاضي احمد عبد الكريم عمران

مهاجرين همزة الرشد

تأليف: محمدا كامل صالح

بصيرة المجتمع العربي منذ زمن بعيد بأسلوب فني

منشورات وزارة الثقافة - دمشق

طبع وتوزيع - مكتبة أطلس

يطلب من كافة المكتبات في البلاد العربية

في المكتبة العربية

- الحركة النقابية في العالم
- من التخلف الى التطور الاشتراكي في القطاع الزراعي
- يقظة القوميات الأوربية . . القومية والوطنية
- أوراق مسافر
- الشرق الأحمر
- عصر المنصور الاندلسي
- حكايات حبة الرمل
- فواكه رجعية
- أغان صيفية
- أغنية المهد
- محاضرات الموسم الثقافي ١٩٦٥ — ١٩٦٦

تقديم : ظافر عبد الواحد

الحركة النقابية في العالم

- تأليف : جورج لوفران

- ترجمة : مهة فرح الخوري

- مراجعة : أنطون حمي

- نشر : وزارة الثقافة - دمشق ١٩٦٧

إن تدفق الجماهير الى الحياة العامة الذي يسود التاريخ الحديث ، لا يحصل دائماً بالطرق ذاتها . ففي القرن التاسع عشر تأسست الديمقراطيه السياسية بواسطة الاقتراع العام . وكان آنئذ النظام البرلماني تعبيراً طبيعياً عن هذه الديمقراطيه . وفي القرن العشرين اتخذت الحركة النقابية العمالية لنفسها صفة الأداة الضرورية للديموقراطية الاجتماعية .

ويحاول هذا الكتاب رسم صورة سريعة وكاملة للحركة النقابية في العالم منذ نشوئها بشكلها الحديث في أوائل

القرن الثامن عشر الى أيامنا ، وفي أهم أقطار العالم . وهو يركز على أمرين : الأول ، تطور الحركة العمالية تحت تأثير الأفكار الاشتراكية ، فبعد أن كانت محافظة أصبحت ثورية ومن ثم قوة سياسية تسهم مباشرة في الحكم . والثاني ، هو التفاعل بين الحركة النقابية (التي أصبحت قوة دائمة بذاتها) وبين الأنظمة السياسية والأحداث العالمية الكبرى (الحروب ، الثورات ، الخ ..)

والواقع أن قيمة الكتاب بالدرجة الأولى وثائقية . فهو سجل كامل لأهم الأحداث والتنظيمات والاتحادات والقوانين والتشريعات التي أعطت الحركة النقابية شكلها الحديث ، مع ذكر بعض الإحصاءات الأساسية والتواريخ الهامة . وهو موضوعي الى الحد الذي يمكن للعالم معه أن يكون موضوعياً في مثل هذا المجال .

من التخلف الى التطور الاشتراكي

في القطر الزراعي

- تأليف : د. صلاح وزان

- نشر: وزارة الثقافة - دمشق ١٩٦٧

يدرس المؤلف معضلات التخلف الزراعي ويقترح الحلول اللازمة لها ، ويعتقد أن من الممكن تحرير الزراعة وتفجيرها في مجالي النمو والكفاية .

فهو يرى أن التنظيم الاقتصادي لوحدات الإنتاج الزراعي يبقى مشوهاً ما لم يقترن بتغيير ثوري عميق على الصعيد الفني والثقافي والايديولوجي . فيأخذى المشاكل الأساسية التي تعرقل التطور وتعرضه للتوقف والحلل ، المشكلة الناجمة عن انعدام التوازن والتنسيق بين تطور البنى الاقتصادية وتطور البنى الفكرية . ولا بد من التصدي للفلاح المنتج في قلب الوحدات الانتاجية الزراعية ومن مساعدته على اعادة تكوين نفسه ، إذ أن ذلك هو الذي ينجح تلك

المؤسسات الانتاجية والاجتماعية مضمونها الفعال وقدرتها الذاتية على الحياة والتطور .

وتحقيقاً لذلك ، يقترح المؤلف وضع خطة شاملة ودائمة للتثقيف والتعليم والتوعية . ويؤكد أن انقاذ أبناء الريف من آفة الأمية ، هو التمهد الضروري لأية ثورة اقتصادية وثقافية .

تاريخ الحركات القومية

الجزء الأول

يقظة القوميات الأوربية

القومية والوطنية

- تأليف وتعريب: د. نور الدين حاطوم

- نشر: دار الفكر الحديث - لبنان ١٩٦٧

في الوقت الذي يطرح فيه موضوع الوحدة العربية كحماية للجنس العربي ، ينصرف د. نور الدين حاطوم رئيس قسم التاريخ في جامعة دمشق الى انجاز مؤلف عن تاريخ الحركات القومية ،

صدر منه الجزء الأول وهو عن الوطنية في القوميات الأوروبية منذ مطلع القرن التاسع عشر. وسيليه جزء عن الحرية في القوميات الأوروبية ، أما الجزء الثالث فهو عن تحقيق الوحدات القومية في أوروبا ، والرابع عن حركات التحرير في آسيا ، والخامس عن حركات التحرير في أفريقيا ، والسادس عن حركات التحرير في أمريكا ، والسابع عن الحركة القومية العربية .

يبدأ الجزء الأول بشرح الأصول العقائدية لمبدأ القوميات ، فيميز بين المدرسة الفرنسية (جان جاك روسو) والمدرسة الألمانية (هردر) . يرى روسو أن ارتباط المواطنين هو أساس المجتمع وأن هذه الإرادة العامة التي تحمل محل الإرادة الفردية في الحالة الاجتماعية إنما هي تعبير لكائن اجتماعي وجماعة قومية ، ويرى أن الكائن الاجتماعي موجود فعلاً ويجب احترام حقه في الحياة والتعبير ، وربط الدولة بهذه الروح القومية المؤلفة من ارتباط المواطنين . بينما يرى هردر أن

الأمة عضوية حية لها وجودها الخاص والبدائي ، جذتها الطبيعة غريزة حياتية وعقربية ، وهذه الأمة تتضح عفويًا بلغتها واستعمالاتها البدائية ومجموع سلوكها الأخلاقي ، وعلى هذا فالقومية شيء طبيعي وغير ارادي ، وله حياة تاريخية .

ثم يبحث المؤلف عن الاصول التاريخية للقوميات الأوروبية ، ويدرس علاقة الثورة الفرنسية بالقوميات الأوروبية ، وانحراف الثورة على يد نابليون ، وردود فعل القوميات الأوروبية ، وقيام اول دولة قومية في اليونان .

ومن المعروف ان شعبنا كان السباق الى مفهوم انساني للقومية . ففي آثارنا القديمة قبل المسيح وجدت العبارة التالية : « لماذا تعجب أيها الغريب لأنك لست من سورية ؟ اننا نعيش في بلد واحد هو العالم » . وبعدها حمل العرب راية الدين الذي لا يفرق بين أمة وأخرى .

أوراوميسافر

- تأليف : أمين نخلة

- نشر: دار مكتبة الحياة- بيروت ١٩٦٧

تعالوا نقلب يوميات الاديب العربي الكبير أمين نخلة التي كتبها اثناء رحلته قام بها في الخليج العربي . انه لا يصور المشاهد السياحية بقدر ما يدرس طباع القوم الذين لقيم هناك فيسجل انطباعاته بأسلوبه الشعري . فتراه حائراً بين القوم الذين نزل بينهم والطبيعة التي خلفها في لبنان .

ليس أدب اليوميات أو الرحلات جديداً ، ولكننا نجد الكاتب اللبناني المبدع يتمتع بفرصة زيارته للخليج ليستمر معنا في حديثه وآرائه من خلال مشاهداته .

فهو عندما يشاهد بدوية عند بيوت بيض وسط هساتين خضر ، يسألها : لمن هذه البيوت أياخية ؟

فتجيب : هي لأهلها ولنا !

وتوضح : لإنهم في السكن والاقامة ، وهي لنا في النظر إليها ، والتلذذ برؤيتها . وهل الملك غير ذلك ؟

فيعجب من بدوية لم تعني نفسها بمطالعة مطولات الفيلسوف نيتشه على مفاهيم السعادة في العيش ...

ويحس في آخر الرحلة بأن بلده للسكن والتوطن والتوسد الهنيء في الرقدة الأخيرة ، وان بلدان الناس إنما هي للتجوال فيها وتلذيد العين بأشياءها ليس غير !

كل ذلك يقدمه أديب العروبة أمين نخلة بأسلوب فريد ، فهو يعالج شؤون العصر بأسلوب يذكركنا بالجاحظ وابن المقفع دون أن يكون تقليداً لأسلوبها بل تطويراً له .

الثورة الأحمر

— تأليف : سلامة عبيد

— مطبعة الانشاء — دمشق ١٩٦٧

جمع الكاتب السوري سلامة عبيد في هذا الكتاب انطباعاته عن الصين الشعبية خلال زيارته لها عام ١٩٦٦ .

وقال تحت عنوان (بدء الثورة الثقافية) :

« في هذا الحديث أؤكد ما أشرت اليه في مقال سابق بشأن زيارة الصين ، وأبداً أخرى بعضها ، في رحلة متحركة ، لا تسمع باكتشاف الأعماق ، ولكنها مع ذلك تستطيع أن ترسم الطواهر والأجواء التي تعيشها البلاد والشعارات المطروحة في هذه المرحلة الدقيقة .

إن الصين تبدو مصبوغة باللون الأحمر

فالعلم أحمر

وشارة الطلائع حمراء

والحرس أحمر

ومسرحيات الفانوس الأحمر
والحرس الأحمر فوق بحيرة
هونغ هو

وفصيلة النساء الحمراء

والشرق أحمر

ومن ثم يتردد على كل الشفاه تعبير:
الراية الحمراء لأفكار الرئيس ماو
تؤكد أنه :

ينبغي جعل الفن والأدب جزءاً
يدخل في تركيب الآلة الثورية الكاملة
(الجهاز الثوري الكامل) ، ينبغي
جعلها سلاحاً قوياً :

لتوحيد الشعب وتربيته

لمهاجمة العدو وتخطيه . »

ويبين الكتاب كيف دعي المؤلف
لزيارة الصين ، ويلخص ماجرى في مؤتمر
الكتاب الافريقيين والآسيويين ، ويقدم
لمحة جغرافية عن الصين . ثم يصف الشعب
المستقر وحياته اليومية في الريف والبيت
والمدرسة والمعمل والمسرح وأوقات
الراحة . ويشرح دور المرأة والعادات

والتقاليد وكيف يعتبر العمل شرفاً
وواجباً . وبعد أن يتحدث عن الضيافة
الصينية يروي بعض الطرائف وكيف
تدور زهرة عباد الشمس Tournesol مع
الشمس . الى ان يصل المؤلف الى موضوع
بدء الثورة الثقافية والتنظيم الشعبي ووضع
الصين العالمي ، ويحمل الينا بعض الدروس
من الصين .

عصير المنصور الأندلسي

— تأليف : د. خالد الصوفي

— نشر: دار الكاتب العربي - بيروت ١٩٦٧

هذا الكتاب حلقة من بحوث في
(تاريخ العرب في إسبانيا) يقوم بها
د. خالد الصوفي ، صدر أولها في كتابي
(جمهورية بني جهور) و (نهاية الخلافة
الأموية في الأندلس) . أما كتاب
عصر المنصور الأندلسي فانه يضعنا أمام
اسباب نهاية هذه الخلافة ، وهو حب

الوصول الى السلطة الذي يلي عن بناء
الدولة الى اصطناع التكتلات وتصفية
الخصوم .

فالمنصور الأندلسي محمد بن أبي عامر
الذي ولد سنة ٥٣٢٨ هـ (١١٤٠ م) ، لا
تذكر التواريخ عن طفولته شيئاً يذكر
رغم الشهرة التي اكتسبها فيما بعد ،
ولكن المؤرخين يذكرون أن الآمال
الكبار كانت تساوره منذ حداثة . فقد طلب
من أصدقائه مرة أن يتمنوا ما يريدون إذا
حكم الأندلس ، فهنأوا به ثم مضوا معه
في المسامرة وتمنى كل منهم ولاية إلا
أحدهم إذ قال : « إذا أفضى اليك الأمر
فأمر أن يطاف بي في قرطبة كلها على حمار
ووجهي الى الذئب وأنا مطلي بالعلس
ليجتمع علي الذباب والنحل » . وقد نفذ
لكل أمنيته عندما حكم الأندلس .

وقد بدأ بوظيفة في محكمة قرطبة ،
ثم رشح لوكالة أملاك الأمير عبد الرحمن
ابن الحكم ، ثم عهدت اليه أم الأمير
بإدارة السكة أي سك النقود . وبدأ

مكتبة الرشد

- تأليف : محمد كامل صالح
— منشورات : وزارة الثقافة —
دمشق ١٩٦٧
— طبع وتوزيع : مكتبة اطلس - دمشق
عمد المؤلف الى تاريخنا العربي فاختر
منه بعض الحوادث ، كسأها ثوب
الاسطورة دون ان يتعد بها عن الواقع ،
وانطق بها حبة رمل في الصحراء ، لتروىها
بأسلوب جديد في الرواية ، بعد أن
اتبع المؤلف الاسلوب الجديد في الدراسة
والتاريخ ، فقرب هذا الكتاب من
الملحمة ، وان لم يخرج فيه عن صحة
الوقائع ، بثياب قشبية ، توضح جوانب
الماضي بكثير من الضوء أحياناً ، والظل
أحياناً اخرى ، وتثير الى حد ما صورة
الاجتمع العربي منذ زمن بعيد . ولئن لم
يخرج هذا الكتاب عن طابع السرد ،
الا أن المؤلف عالج فيه الموضوع بأسلوب
شيق ، معالجة فنية دقيقة ، فاستخدم

يكسب الأنصار بأموال السكة . ثم
أوكلت اليه وظيفة قاضي قضاة المغرب
وأوصي قبل كل شيء بمراقبة أعمال القائد
العام للجيوش الأموية وخاصة من الناحية
المالية . ثم أصدر الخليفة أوامره إلى
القواد والمدنيين ليستشيروا ابن ابي عامر
في كل صغيرة أو كبيرة .

ثم بدأ ابن ابي عامر في التكتلات
تمهيداً للتصفيات . فقد رضي أن يقتل
الغيبية أخا الخليفة المتوفى ، ارضاء
للحاجب المصحفي ، وهكذا أصبح وزيراً .
ورأى محمد بن أبي عامر أن هنالك عدة
فئات يجب عليه أن يتغلب عليها دون
أن يجارب في جبهتين ، فتحالف مع
المصحفي للقضاء على نفوذ الصقالبة ، ثم
تحالف مع قائد الثغر الأعلى للقضاء على
نفوذ المصحفي ، وأخيراً تحالف مع
البرابرة ضد قائد الثغر الاعلى وتسمى
باسم المنصور وأمر أن يدعى له على المنابر
عقب الدعاء للخليفة . وفي قمة مجده قام
ابنه ضده .

الياس فرحات في ريعان شبابه قصائده
القومية التي بكر في انضاجها . وترك
تجارب الشباب العاطفية تنمو على مهل ،
حتى أينعت وحن قطفها ، فكانت
هذه (الفواكه الرجعية) من دنياه الخاصة ،
دنياه الجمال والحب ، دنياه الشباب والمرح .

وسيان عندنا أن يكون هذا الشعر
من وحي الخيال ، أم من تجارب الواقع ،
فالقارئ بعد مطالعة الديوان ان يقدر
الصدق عند شاعر يقول :

لاتظني بي الظنون اذا كنت

اسمي ليلى ولبنى ودعدا

أنا من يعرض الزجاج ويخفي

الماس ، ان اللصوص كالرمل عدا

أنت قصدي دون الأنام ولكني

أسمي سواك في الشعر عمدا

أنت قصدي وكل أسماء حواء

ثياب لاسم حبيب مفدى

العجينة خلقت تمثال طريف وبديع ،
واستخدم الالوان ليقدم للقارئ صوراً
يجد فيها كثيراً من المتعة والتشويق .

يقول المؤلف :

« ان صحراءنا ، منذ ان بدأ سكانها
يترجون نحو المجد . . . ومنذ ان اشرقت
السما صافية بنجومها وكواكبها على
تلك الدنيا . . . وهي تثرثر للأجيال بأقاصيص
ابطال عمروها . . . ابطال كانوا التعبير
الصحيح . . . الصادق . . . لامنهم التي جعلت
من الرمال القاحلة الجرداء ينبوعاً لاسمي
الحضارات . . »

فواكه رجعية

— شعر : الياس حبيب فرحات

— نشر : وزارة الثقافة - دمشق ١٩٦٧

في ريفنا السوري يقال للفاكهة
(بكيرة) اذا بكرت في النضج و(رجعية)
اذا تأخرت . وقد أعطانا الشاعر المهجري

أغان صيفيه

وهو يقول في قصيدة (أغان صيفيه)
التي تحمل المجموعة اسمها :

اذكر .. من عام بدأت هذه القصيدة
كتبت أحرفاً جديدة
محت أشياء. ومزقت القصاصة الوحيدة
غرستها مع الجذور عليها تورق كالشجر
سقيتها بأدمع القمر
واليوم جئت أقطف الثمر

- شعر : د. أحمد سليمان الأحمد
- نشر : وزارة الثقافة - دمشق ١٩٦٧
٦٥ قصيدة من الشعر الملتزم للعروض
ومن الشعر الحديث ، للشاعر التقدمي
د. أحمد سليمان الأحمد ، الذي عرفناه
شاعراً سهلت عليه بحور الخليل حتى
ملها الى الشعر الحديث .

أغنية المهدي

- تأليف : غريغوريو مارتينيز سيرا
- ترجمة : محمد جلال الخطيب
- نشر : وزارة الثقافة - دمشق ١٩٦٧
لن يكون هدي في تلخيص هذه
المسرحية ، لأن هذا سيكون على حساب
فنية التأليف وجمال الترجمة . فهي حديث
صادق يدور بين مجموعة من النساء
اختلفت نشأتهن وتباينت طباعهن وتفاوتت
اعمارهن ، يجمعهن دير الراهبات

وفي هذا الكتاب أغان في الحب
انشدها في فترة تصل ما بين عام ١٩٤٤
وعام ١٩٦٤ ، وهي صيف عمره .

ولئن ذهب الخطيبياني في هذه القصائد
صاعداً او متعرجا ، فتظل فيها لازمة
تردان باللفظة العربية المشرقة المختارة
والاسلوب الرائع كإله النبع ، الى جانب
خيال مجنح وصورة جديدة وافكار
انسانية وارتفاع بالحب الى أفقه وجنته ،
وتعبير لعله الطموح بل لعله التجسيد
لاقتران الشكل والمحتوى في اوجز هوتها .

الدومينيكان . فالرئيسة مثل للانسان الذي يحب الجميع ويميل الى تفهم الآخرين والاعتذار عن اخطائهم مالم تصل الى الكبار . والمعاونة مثل للانسان المتزمت القاسي خشن الطباع الذي لا يابه بكل العواطف النبيلة ولا يقم وزناً للنوازع البشرية الطبيعية لدى بني الانسان . والأخت جونا مثل للمرأة التي خلقت لتكون أمّاً ، والتي شاء لها القدر - رغم انظمة الدير القاسية وأسواره العالية - أن تغدق عواطف الامومة المكبوتة بين ضلوعها وتسكب خان المرأة الخالص على طفلة لقيطة أغلقت في وجهها ابواب الدير فدخلته من كوة التموين .

والصبية تيريزا لقيطة الأمل مثل للانسان الذي يعشق الحياة في غير زلل ، ويتفتح للنور والهواء بدون شطط ، ويملأ الجو بهجة وجوراً دون ان يؤذي الآخرين او يزعج المحيطين به .

و (أغنية المهد) - بكلمة بسيطة - ملحمة عواطف ومشاعر غنية بالحركة

والاثارة ، ونسيج ناعم شفاف ، لمته الطبيعية البشرية وسداه الايمان والتبتل . والمؤلف (غريغور يومارتنيزسيورا) كاتب روائي ومسرحي يحفل مكانة بارزة بين كتاب الادب الإسباني الحديث . ولقد ذاعت شهرته في الأوساط الادبية الغريبة ككاتب مسرحي ذي طابع خاص . فمسيراته يميزها ذلك التصور الدقيق لأعمق مشاعر الأنثى طفلة غريبة أم امرأة ناضجة ، أما تضج في حناياها عواطف الامومة ، أم راهبة تقاوم أعنف نوازع الطبيعة . ولعل (أغنية المهد) التي كتبها سيرعام ١٩١١ أصدق مثل على ذلك اللون . ولعل هذا اللون هو الذي شجع على ترجمة مسرحياته الى مختلف اللغات الحية وبالتالي الى تقديمها على أشهر المسارح في العالم .

محاضرات الموسم الثقافي

١٩٦٥-١٩٦٦

- نشر : وزارة الثقافة - دمشق ١٩٦٧

يضم هذا الكتاب نصوص ١٥ محاضرة هي نخبة ما لقي في ذلك الموسم ، وهي :

الاستعمار واغتصاب لواء الاسكندرون
للدكتور يوسف شقرا

كيف نواجه الدعاية الصهيونية في
العالم - لحسام الخطيب

المواطن العربي في طريق التحرر
للدكتور أسعد درقاوي

العرب يغيرون مجرى العالم في تاريخ
الانسانية - للدكتور المرحوم يوسف العشي

حاضر البلاد النامية ومستقبلها -
للدكتور كمال غالي

كبرى المشكلات الدولية - للدكتور
حسن صعب .

الإدارة الديمقراطية والتسيير الذاتي
للدكتور عدنان شومان

اشتراكية الفن - للدكتور عفيف
بهنسي

الثقافة القومية - للدكتور كمال

يوسف الحاج

التعاون العربي في مجالات التربية

والثقافة - لعبد الحميد دركل

الجامعة واسهامها في التطور - للدكتور
محمد بشير مكي .

حق التربية والتعليم في العالم الراهن
للدكتور الياس فرح

الحياة الادبية والفكرية المعاصرة
في المغرب العربي - للدكتور نقولا زيادة .

لغات العالم بمختلف وجم تأتلف -
القاسم أحمد

حديث ورحلة - لعمر يحيى

تحدث . الدكتور يوسف شقرا عن
الموقع الجغرافي للواء اسكندرون وسكانه

ومميزاته ، واهميته الاستراتيجية ، وكيف
نشأت قضيته ، والمساومة على القضية

أثناء إعداد معاهدة ١٩٣٦ ، وأثر اقرار
النظام الاساسي للواء اسكندرون في

الشعب العربي ، والانتخابات السورية
التي تمت بعد انسحاب اللجنة الدولية .

- ١٧٢ -

مأمن من التكذيب والاعتراض ، لأن
العرب لم يعدوا العدة حتى الآن
لإمداد العالم بالحقائق .

— ان الحقيقة في الغرب يملكها
ويصنعها أصحاب الصحف وشبكات الاذاعة
والتلفزيون ، ومعظم هؤلاء واقعون تحت
النفوذ الصهيوني المالي او السياسي ، وهم
يغدون الجماهير غداء متفقاً دائماً مع وجهة
النظر الصهيونية .

— بناء الدعاية اليهودية على الخبرة
والمعرفة والتخطيط ، بحيث تخاطب كل
بلد بما يناسب تركيب سكانه العقلي
والنفسى .

وتحدث الكاتب الفلسطيني حسام
الخطيب عن أسباب نجاح الدعاية الصهيونية
فقال :

« اما الاسباب المباشرة فأهمها في رأينا:
خلو الساحة من أية منافسة مضادة ،
فالصوت العربي الذي يتهم ويحجج خافت
حتى لا يكاد يسمع في اكثر الأحيان ،
وهكذا يكون الصهيونيون في أوروبا
وامريكا في مركز ممتاز ، إذ يقولون
ما يشاؤون ويظهرون الحقائق التي
تناسبهم ويخفون الوقائع التي تدينهم
ويفسرون الاحداث ويزيفون الوقائع
ويلصقون التهم حسب ما يشتهون ، انهم في

أغنية المد

مصرية عواطف ومشاعر غنية بالمركة

تأليف عزيمور يومار لين زيبيرا

ترجمة محمد جلال الخطيب

منشورات وزارة الثقافة - دمشق

طبع طويلاً في مكتبة طوس

يطلب من جميع المكتبات في البلاد العربية

- العرب والتكنولوجيا
- نظرات حول النكسة

تقديم وتلخيص : هشام الدجاني

عند الحديث عن المستوى العلمي والتكنولوجي في المجتمع العربي ومقارنته بغيره من المستويات والمجتمعات لا نقصد مجرد توفر الخبراء والآلات والمعدات الحربية وغير الحربية ، وتوفر بعض الصناعات الخفيفة والمتوسطة . فكل هذه الأشياء موجودة في الوطن العربي ، أو يمكن شرائها أو استيرادها . غير أن مجرد وجودها لا يعني بالضرورة ان المجتمع العربي قد تحسن مستواه العلمي والتكنولوجي . إن مجرد الحصول على ٢٠٠ طائرة ميغ مثلاً أمر ضروري حين نكتشف ان العدو حصل على ٢٠٠

كثير الحديث في الآونة الأخيرة عن التكنولوجيا والتفوق التكنولوجي للعدو . وأسببت الصحف والمجلات في الحديث عن دور التكنولوجيا في الحرب الأخيرة وأثرها في كسب المعركة . وقد قدمت مجلة دراسات عربية^(١) دراسة شاملة للدكتور صادق جلال العظم حول هذا الموضوع بعنوان : « العلم الحديث والنكسة الخطيرة .. ونقدم هنا تلخيصاً وافياً لهذه الدراسة المهمة .

(١) مجلة دراسات عربية - عدد (١٠) آب - ١٩٦٧ - بيروت

طائرة مبراج . ولكن هذا العمل في حد ذاته لا يشكل الرد الكافي والحاسم على الطاقات المتوفرة في يد العدو . والواقع ان الرد المطلوب يشمل بالإضافة الى المعدات والآلات والطائرات والخبراء نوعية معينة من العقلية ، ومن ردود الفعل الجسدية التي غرستها الثورة الصناعية في الانسان الحديث ، وثبتها الانقلاب العلمي فيه بحيث أصبحت جزءاً من طبيعته وعقوبته .

وتوضيح هذه الناحية نقول إن الآلة المعقدة تفرض على جسم الانسان ايقاعها الخاص ، وتتطلب منه تدريب جسده وردود فعله حتى تصبح منسجمة مع حركة سيرها . وإن لم يفعل الانسان ذلك تعرض للضرر لأن أي تلكؤ في حركته ، مها يكن طفيفاً ، قد يؤدي به الى فقدان عضو من أعضائه ، وأي خطأ أو انحراف عن خط سير الآلة قد يعرض حياته أو مصالحه للخطر . وهذا التكيف مع الآلة ليس بالأمر السهل ، فهو يتطلب مواهب معينة وتدريباً طويلاً قد يستغرق سنوات . وكلما كانت الآلة أكثر تعقيداً زادت الحاجة الى التدريب الطويل والدراسة المعقدة .

مثال ذلك أن الخبراء يقدرون بأن الفاصل الزمني بين ادراك سائق السيارة العادية للخطر المائل أمامه وبين رد فعله الفوري لتفادي الخطر يتراوح بين جزء من ٥ من الثانية الى جزء من ١٠ منها . وهذه المقدرة على الرد السريع مهارة مكتسبة في عملها نتيجة للمراس

والتمرين . أما الطيار الذي يفقد طائرة نفاته حربية فعليه في كثير من الأحيان أن يقلص هذا الفاصل الزمني بين ادراكه للخطر ورد فعله المناسب الى حدود جزء من ١٠٠ من الثانية مثلاً . وهذا مستوى من المهارة العقلية والجسمية لا يتسنى تحقيقه الا لنخبة متميزة من الأفراد ، متميزة في مواهبها الفطرية وتدريبها العملي والتقني . وهنا باستطاعتنا أن نتصور الصعوبات التي سيلاقيها الفرد المعني بتحقيق هذا النوع من المهارات الرفيعة اذا كان قد نشأ في مجتمع ريفي مثلاً لا تتوفر فيه سوى الأدوات البدائية ، ولم تنح له فرصة التفاعل مع الآلات المعقدة الا في فترة متأخرة نسبياً من حياته .

والآن ماهو موقف العرب بالنسبة

للآلة ، وعلى أي درجة من درجات

سلم العصر الآلي يقفون ؟

مضى على اتصال الأمة العربية بمقومات الحضارة الحديثة من علم وتكنيك فترة طويلة يرجعها بعضهم الى حملة نابليون على مصر . ومنذ ذلك الوقت تقريباً لم تنقطع الدول العربية عن ارسال البعثات العلمية الى البلاد الاوربية للاستفادة من مقومات الحضارة الحديثة وإدخالها في المجتمع العربي . بيد ان التفاعل بين هذه القومات وبين المجتمع قد اقتصر في معظم الاحوال على الانتفاع بالتطبيقات العملية الناجمة عن الابحاث العلمية والتقنية ، دون الوصول الى الجذور او حتى

التكيف الأصل مع ما يفرضه العلم من افكار وقم جديدة على المجتمع والفرد . ان ما حدث في الوطن العربي ، على حد وصف الكاتب ، هو اننا افسحنا مجالاً في حياتنا للثلاجة والتلفزيون والميغ والرادار .. الخ. وبقيت العقلية التي تستخدم هذه المنجزات المستوردة هي العقلية التقليدية التي تنتمي الى اطوار البداوة والزراعة . اي الى اطوار سابقة على مرحلة الثورة الصناعية والانتقال العلمي .

يقول الدكتور العظم في مقاله : « وهذه ظاهرة غريبة وجديرة بالاهتمام لأن ائماً متخلفة اخرى غير الامة العربية سلكت طريقاً اخرى في فترة قصيرة فلم تكف بالاتصال بمقومات الحضارة الحديثة ، وتعادت بسرعة كبيرة مرحلة الانتفاع بثمار العلم واستيراد تطبيقاته العملية واستخدامها بصورة ضحلة ، لتدخل بذلك نهضة صناعية وعلمية وتكنولوجية غيرت نسيج مجتمعها التقليدي تغييراً جذرياً .. » (١)

بيد ان الكاتب لم يوضح لنا الطريق الذي يجب ان تسلكه الامة العربية كي تنهض عملياً وتقنياً . ولم يشرح لنا ابدأ كيف تعادت تلك الامة المتخلفة « بسرعة كبيرة » مرحلة الانتفاع بثمار العلم لتدخل بذلك نهضة صناعية وعلمية غيرت نسيج مجتمعها الخ .. من المعروف ان طريق كل نهضة هو طريق

الفكر وليس طريق العلم . فبدون قاعدة فكرية ، وبعبارة اوضح بدون عقيدة فكرية شاملة ، لا يمكن لأمة من الامة ان تنهض . فالثورة التقنية تحتاج الى ثورة اجتماعية تسبقها وتؤدي طبيعياً اليها . لقد نهض العرب في تاريخهم وبلغوا درجة عالية من التقدم عن طريق الاسلام . ذلك ان الاسلام جاء بعقيدة جديدة ومفاهيم جديدة . جاء ثورة اجتماعية شاملة ادت بالتالي الى نهضة كاملة . وفي عصور النهضة استطاعت العقيدة الرأسمالية ان تنهض بشعوب الغرب بعد ان حلت محل الكنيسة في الحياة . وكان الفكر الغربي الشامل حول الكون والانسان والحياة هو طريق النهضة الصناعية والتقنية . وفي العصر الحديث جاءت نهضة الاتحاد السوفيتي الجبارة . ونهضة الصين لتؤكد من جديد دور الثورة الاجتماعية اساساً للنهضة العلمية والتقنية . لم ينهض الاتحاد السوفيتي او الصين عن طريق استخدام العلم واساليب التكنيك . بل نهضاً عن طريق مبدأ فكري كامل هو المبدأ الاشتراكي ، وعن طريق نظرة شاملة - فلسفة - حول الكون والانسان والحياة وهي النظرة الماركسية .

اذن فطريق النهضة ليس طريق العلم وحده . اذ لابد للعلم والصناعة من قاعدة فكرية اساسية يقومون على اساسها . نعود الآن الى متابعة المقال ، والى دور

بهذه الحقيقة من حيث النتيجة ، فلماذا سمح العرب بهذا الهجوم المفاجيء ؟ ألم يكن القادة العرب يعلنون دوماً أن جهودهم موجهة الى الهدف الأكبر وهو معركة التحرير؟ كيف يجوز لنا أن نفاجأ بالنسبة لمعركة نحن كنا نريدها ، ونستعد لها ، ونعلم علم اليقين أن أميركا ستدعم العدو بكل طاقاتها حتى ولو اقتضى ذلك تدخلها العسكري المباشر ؟ لقد أكد لنا قادة العرب أنهم أخذوا كل هذه الاعتبارات في حسابهم . بل إن الثقة بلغت بأحد القواد العسكريين أن يؤكد للجاهل بأن القضاء على اسرائيل لن يتحمل أكثر من من أربعة أيام على أعظم حد . أضف الى ذلك أن اجزتنا الاعلامية غرست الفكرة في رؤوس المواطنين ، وزعمت أن حرب تحرير فلسطين ليست الا « مشواراً » بسيطاً الى تل أبيب يقوم العرب بعده بدفن العدو في البحر هذا كل ماتعنيه الحرب .

أجل لم نقدر المعركة حق قدرها ، ولم نصورها على حقيقتها . لم نقدر دور التكنولوجيا في الحرب الحديثة . إن عدالة قضيتنا ، وإيماننا بهذه العدالة - إن صح - لا يكفيان وحدهما لإكسابنا الحرب . إن كسب حرب حديثة بكل وسائلها وطرق تنفيذها يحتاج الى نبضة علمية وتكنولوجية او الى مرحلة معينة من النهضة على الأقل .

فلننظر مثلاً ماذا أعد العدو في السنوات الفائتة في حقل العلم والأبحاث العلمية

التكنولوجية في الحرب الاخيرة لنقوم هذا الدور ونوضح اثره في كسب المعركة .

يرى كاتب المقال أن المعركة الاخيرة اظهرت ان العقلية العربية ما زالت تتأثر بمفهوم للحرب يعود الى أيام الفروسية والمبارزة والمواجهة المباشرة . وما زالت متأثرة بمفاهيم الكر والفر والمفاهيم القبلية لعنى الشجاعة والحمية والغدر والدناءة .. الخ . لقد كانت معركة قوامها انقضاض الطائرات بسرعة ومهارة خارتين . وكان قوامها مدرعات ضخمة تسير وفق خطط مرسومة في غرفة العمليات الحربية . وفي هذا النوع من الحروب لا تلعب الشجاعة والنبالة بمعانيها التقليدية الا دوراً محدوداً وصغيراً . انها معركة الغلبة فيها تتوقف الى حد كبير على مقدرة الانسان القابع خلف الآلة المدرعة ، وعلى سرعته ومرونته ليتمكن من تسديد الضربة القاضية الى المدرعة المشابهة لمدرعته قبل ان تلحق به الدمار .

لقد بالغ الكاتب حقاً في ابراز الدور العلمي والتكنيكي للحرب ، واهمل الى حد كبير دور معنويات المحارب . فما زالت للشجاعة والصبر والايان بالقضية دورها الكبير جداً في الحروب الحديثة .

ويتابع الكاتب فيقول ، ان هناك من يرون بأن « الهجوم المفاجيء » كان له الدور الأكبر في كسب العدو للمعركة . فاذا سلطنا

المختلفة وماذا أعددتا نحن . أول ما أسس اليهود في فلسطين كان الجامعة العبرية . وبعد أن قامت دولة إسرائيل ازدهر معهد وايزمان للأبحاث العلمية الذي يضم نخبة ممتازة من العلماء في حقول الفيزياء النووية والذرة والكيمياء والرياضيات . الخ . وماذا نجد في عالمنا العربي ؟ نجد انعدام المؤسسات العلمية المنتجة ، والمعاهد الفنية التقنية المزدهرة ، وضعف جامعاتنا الوطنية من حيث المشاركة الفعلية في البحث العلمي وتطبيقاته في جميع المجالات الاستراتيجية . نجد دولة عربية واحدة فقط هي الجمهورية العربية المتحدة قد التزمت بخطة منتظمة في الانفاق على البحث العلمي . الوطن العربي بكل ثرواته لا يحوي معهداً واحداً يمنح شهادة علمية عالمية في علم الإلكترونيات رغم أن معظم الأجهزة الحربية الحديثة تعتمد على علم الإلكترونيات . واتقان استخدام هذه الاجهزة لا يتم عن طريق الدورات التدريبية وحده إذ لابد من ثقافة علمية أساسية وتدريب تقني أولي يفترض بالمعاهد الفنية والجامعات أن تقدمه لطلابها .

ولا شك أن قادة الامة العربية

مدعون اليوم قبل الغد ، وخصوصاً بعد أن أطلعتنا النكسة على واقعنا ونهبتنا من غفوتنا ، الى انشاء معاهد للدراسات والأبحاث العلمية الاستراتيجية والعلمية ، والى إعادة النظر بصورة شاملة سريعة في برامج العلوم الطبيعية والرياضيات . ويفترض في هذه المعاهد أن تجمع شمل هذا العدد الكبير من العلماء العرب العاملين اليوم في مختلف الجامعات والمعاهد العلمية في أوروبا والولايات المتحدة . والامة العربية ليست عاجزة عن تمويل وانشاء عدد من المعاهد العلمية ذات مستوى رفيع تجمع فيها شتات علمائنا الذين نزحوا الى خارج الوطن العربي ، أو لم يعودوا اليه بعد انتهائهم من الدراسة بسبب الأوضاع السيئة السائدة في جامعاتنا من الناحية العلمية والادارية .

ان المشكلة الأساسية التي تواجه الامة العربية اليوم من أجل مواجهة كافة التحديات هي التغلب على التخلف بجميع وجوهه ومظاهره . وقد جاءت النكسة الاخيرة لتذكركنا بعنف وقسوة

بهذا التخلف . والسبيل الوحيد لتجاوز
هذا التخلف والتخلص منه هو تلمس
الطريق الصحيح لنهضة هذه الامة .

* * *

نظرات حول النكسة :

دراسة صادقة قوية نشرت في مطلع هذا
الشهر في مجلة الكاتب (١) المصرية بعنوان
« أهداف ثابتة ووسائل متغيرة » كتبها
الدكتور جمال حمدان . وهي من الدراسات
الجيدة التي قدمت حول النكسة وآثارها ،
وحول الوسائل الواجب اتباعها لمقاومة العدو
والتفوق عليه رغم ما تضمنته من صيغ
عاطفية وأحياناً حماسية .

أول ما يركز عليه الدكتور حمدان في
مقالته هو فكرة تواطؤ أمريكا وبريطانيا
مع إسرائيل . بل إن هذا التركيز هو محور
البحث عنده ، ويراه جلياً في كل فقرة من
فقرات البحث . فهو في مقدمة مقاله يقول :
« وأول حقيقة موضوعية في الموقف الراهن
هو أننا اصبننا بهزيمة عسكرية جاءت نكسة
حزينة بعد آمال شاهقة عريضة عشناها سنين
طويلة ... ونحن وإن هزمنا لصالح إسرائيل ،
بظننا لم نهزم على أيدينا ، وإنما بيد التآمر
الامبريالي الأمريكي - البريطاني » .

وفي فقرة أخرى يقول : « ومن الناحية

الاستراتيجية كان المفروض اننا نتقدم الى
معركة مع اسلحة امريكية في ايد اسرائيلية ،
ولكن الذي حدث اننا واجهنا اسلحة
امريكية في ايد امريكية واسرائيلية معاً » (٢) .
ولعل الجانب العسكري هو أهم ما ركز عليه
الكاتب في دراسته . فلنلخص ما كتب حول
هذا الجانب الهام من جوانب المعركة ، بعد أن
الجانب العلمي - التقني منها .

يمكن أن نلخص خطة العدو
في المعركة الأخيرة في خطوتين :
غارة جوية تعتمد أساساً على
الشمول المطلق والمباغثة الكاملة ،
على غرار غارة « بيرل هاربر » التي افتتحت
بها اليابان نشاطها في الحرب العالمية الثانية ،
غايتها تجريدنا من سلاحنا الجوي في
ضربة واحدة لتخرجه من المعركة
قبل أن تبدأ . وعندها تبدأ الخطوة
الثانية وهي الانقضاض على قواتنا
البرية المتقدمة في سيناء بعد أن
أصبحت مكشوفة بلا غطاء جوي ،
ومن ثم يتم تدميرها خلال أيام مركزة
معدودة في مصيدة مغلقة حبيسة .

والملاحظ في كل من الخطوتين تقليدهما
الواضح لنموذج واستراتيجية القوى الفاشية

(١) مجلة الكاتب - العدد ٧٧ آب - ١٩٦٧ - القاهرة .

(٢) المرجع السابق ص ٨ و ٩

المحورية سواء اليابان او المانيا اثناء الحرب العالمية الثانية، كذلك فان مجموع العمليتين يؤلف استراتيجية الحرب الخاطفة التي ابتدعتها واتبعتها النازية الهتلرية اساساً .

وسواء نجح هذا الغدر لقصور في الخيلة والتوقع التخطيطي ، او لتقصير في الاستعداد واليقظة ، فان نجاحهم مع الاسف حسم المعركة قبل ان تبدأ حقيقة . ويتفق معظم المعلقين على ان رد فعل قواتنا ازاء تطور الموقف في سيناء كان جديراً بأن يحدث لاي جيش آخر .

هذا هو الوضع العسكري في سيناء التي كانت مسرحاً لأكبر العمليات والتي حسمت نتائجها المعارك على سائر الجبهات الاخرى .

فما هي الدروس التي استقاها الغرب من هذه التجربة المريرة ؟ وما هو الحل السليم لكل ما ترتب على هذه النكسة

من آثار ؟ من أهم الدروس التي استقاها العرب انهم أدركوا ان المعركة معهم وحدهم ، وان الاعتماد على النفس اساس المعركة بدهاء . وهذا لايعني

بالطبع عدم التعاون مع الدول الصديقة التي روفقت الى جانبنا وابدت استعدادها للمساعدة .

وما استفدنا أيضاً من هذه التجربة المريرة اننا عرفنا العدو من الصديق وكشفنا حقيقة التواطؤ والانحياز من قبل قوى الغرب نحو اسرائيل .

ومن الدروس التي استقيناها من هذه التجربة أيضاً ان اكتشفنا بعنف وقسوة تفوق العدو التقني العالمي وتخلفنا في هذا المضار . تفوقه في التكنيك والتدريب وحسن استخدام السلاح وتقصيرنا نحن في هذا المجال .

اننا دروس دفعنا عنها غالباً . دفعنا عنها خسائر معنوية ومادية . ولعل الخسائر المادية تهنون في سبيل الشرف والغذاء ، ولكن الخسائر المعنوية .. في الروح وفي الهيبة ، وفي سمعتنا الدولية . هذه خسائر لايعوضها الا نصر عسكري مضاد اعظم وزناً من نصر اسرائيل .

والآن ماهو الحل السليم لمواجهة تحدي اسرائيل ومسح آثار النكبة العسكرية والسياسية ؟

هل يمكن أن تكون الاسلحة الاقتصادية بديلاً عن الاسلحة الدبلوماسية بعد ان فشلت هذه الأخيرة ؟ الجواب : لا ذلك ان العقوبات الاقتصادية قد تضايق الغرب ، وقد تخرجه ، ولكنها لايجريه على الركوع او على محاولة الضغط على اسرائيل . خصوصاً وان العقوبات الاقتصادية لم تطبق كاملة . فن الناحية الفعلية تقطع البترول عن الدول المتأثرة ووقفت القناة . اما المقاطعة التجارية فجزئية وغير فعالة ، واما سحب الارصدة فما زال مطلباً أو مجرد حديث .

الضغط الاقتصادي مفيد وهو
يصيب اقتصاديات دول العدوان
بالاضطراب لكنه لا يحسم المعركة مع
اسرائيل نهائياً لصالحنا .

نصل من هذا جميعاً الى ان المعركة السياسية
بشكليها الديبلوماسية والاقتصادي ليس من
المحتمل ان تعيد لنا ارضنا المفقودة ، ولا هي
قادرة تماماً على ازالة آثار العدوان .

ويكون الاختيار أمام العرب :
اما جولة ثانية واما الرضوخ لشروط
العدو . ولا يمكن لأي عربي ان يسمح بمجرد
التفكير في الاستسلام وقبول شروط العدو .
ومع هذا يجب ان نعرف جميعاً ان الاعتراف
باسرائيل لا يعني نهاية الكارثة وانما يعني بدايتها .
إن حصول اسرائيل على الصلح لا يعني
بداية التغلغل الاقتصادي في المنطقة
في المنطقة فحسب ، بل هو نقطة
انطلاق نحو التوسع الاقليمي بالاسلوب
العسكري المباشر . سيكون بداية
الطريق الى اسرائيل الكبرى من النيل
الى القرات . وستتابع موجات الهجرة
العربية الى الصحراء بمثل ما تتقاطر موجات
الهجرة اليهودية من وراء البحار الى داخل
الوطن العربي . الاعتراف باسرائيل

انتحار بطيء للعرب وحكم بالاعدام .
عليهم . فلن تأتي سنة ٢٠٠٠ إلا وخس .
العرب تقريباً من اللاجئين في صحراء
العرب وليبيا .

الحل الوحيد إذن هو معركة
جديدة . فنحن بحاجة الى نصر عسكري
لأكثر من سبب . فلا يجوز عار الهزيمة
العسكرية إلا نصر عسكري . ولن
تدمر الاسطورة المفتعلة حول اسرائيل
ولن نستعيد روحنا المعنوية وكرامتنا
القومية إلا بنصر في ميدان القتال .

ليست هناك حرب تقرر مصيرها ونحسمها
معركة واحدة . وكمن حرب بدأت بهزيمة
وانتهت بنصر . والحربان العالميتان الماضيتان
هما أقرب مثال . وجولات صلاح الدين مع
الصليبيين بدأت بهزيمة لناسم انتهت بنصر
حاسم .

وعدونا ليس بغافل ، فهو بدوره
يستعد لمواجهة جديدة ، وهو يستعيد
تسليحه منذ وقف اطلاق النار . فقد
سافر اريل شارون قائد القوات
الاسرائيلية في سيناء في اواخر حزيران
الى كل من اوستراليا والهند للتعاقد
معها على شراء قطع غيار وقذائف

تطائرات أوراجان وميستر ، وقطع
غير لذيذات AMX-13 الفرنسية
الصنع من فرنسا لحساب إسرائيل بعد
أن منعت فرنسا شحن الأسلحة إلى
إسرائيل إثر العدوان . كذلك سعت
إسرائيل كي تزودها الولايات المتحدة
بالسلاح وهذا ما أعلنت عنه وكالات
الأنباء .

فنحن في الواقع - شئنا أو لم نشأ - في
عدنة مسلحة أو في سباق تسلح، نعيش الهدوء
الذي يسبق العاصفة . ولم يعد السؤال جولة
ثانية أم لا ، ولكن كيف نستعمل هذه الجولة
ونكسبها . وهنا تقفز دروس النكسة إلى
الصدارة ، وتأتي تجربة الجولة الأولى كمسودة
للمستقبل . وما يجب أن نتعلمه من هذه
الدروس :

أولاً : الاستعداد العسكري إلى درجة
ما فوق التسلح كما وكيفا . فقد تلقينا صدمة
رهيبية مفاجئة حين اكتشفنا في العدو
ترسانة مسلحة تتعدى كل آفاق تقديرنا
الرسمية . لهذا فنحن بحاجة إلى صيغة تسلح
تتوزع حول الحد الأقصى من السلاح كما وكيفا . أما
من ناحية الكم فيجب أن نعاذل قوة العدو مع قوة
التدخل الخارجي ، وفي الكيف ينبغي أن

نتم كثيراً بالتكنولوجيا العسكرية في أرقى
وأحدث صورها .

ثانياً : الحذر المطلق من غارة غادرة
مفاجئة . لقد خسرتنا المعركة بسبب غارة . وإذا
بدا من المستبعد أن يكرر العدو تكتيك بيرل
هاربر مرتين . فإن مجرد هذا التوقع قد
يشجعه على العكس . ونحن ما كنا لنخسر
الحرب لولا تلك الغارة . لقد كان المفهوم أن
طيارينا لا ييارحون طائراتهم لحظة واحدة
في الأربع والعشرين ساعة . ولكنها كانت
غلطة عمر استغلتها الخيارات لتكفنا معركة
الحياة . ومن الكفر أن يدلع المؤمن من
جحر مرتين .

ثالثاً : السرية الكاملة ، ففي الجولة الأولى
أعلنا عن نوابنا ، وجلسنا نتنظر غيرنا حتى
يبدأ العدوان . وإذا كان لذلك بعض مبرراته
في السياق القديم فقد اختلف الوضع جذرياً
الآن . فلا بد أن نترك عدونا في الظلام
المطلق .

رابعاً : زمام الهجوم يجب أن يكون
في أيدينا . لقد أجمع المراقبون على أننا لو
كنا سبقنا بالهجوم لتغير وجه المعركة ...
وإذا كنا قد امتنعنا عن الضربة الأولى في
الجولة الماضية لاعتبارات سياسية ، فلم يعد لأحد
- صدقاً أو عدواً - حق أدبي بعد الذي
حدث ، وأصبح من حقنا سياسياً وأخلاقياً
أن نبدأ بالهجوم .

خامساً : المباغتة . والمباغتة الجوية هي
الشرط والشكل الإيجيد للهجوم . فقد جاءت

النصر الذي كسبه ، وعرفنا طبيعته ، أدركنا
أن عدونا لا يخشى شيئاً قدر المواجهة السافرة
معنا . ولا يقل جيش العصابات الا جيش
انتحاري . وفي وجه حرب الغدر لارد
الا الحرب الفدائية .

وبعد ، ليس امامنا الا الكفاح القاسي
والصراع الرهيب . امامنا كثير من التضحيات ،
فالعدو الذي نواجهه اخطبوط تغذيه قوى
عالمية ضارية . وعلى الأمة العربية ، وهي على
مفترق الطرق ، ان تصب جماع قوتها في
وعاء واحد ، وان تتوقع دائماً المصاب
والآلام ، ولكنها لا ينبغي لحظة ان تفقد الثقة
بالنفس والأمل بالنصر الاخير .

المعركة الماضية كلها خاطفة صاعقة . إن ما
ندعو إليه هو أن نعكس على العدو نفس
الخطة التي طبقها علينا ؛ فان ما بقينا ندعو
إليه سنين طويلاً طبقه العدو علينا . إن
معركتنا مع اسرائيل ستظل أبداً حرباً جوية
بالدرجة الأولى تليها الحرب البرية . حرب
تدمر كل سلاحه الجوي ، وحرب جوية
تضرب مراكز القوة في الارض المحتلة والسليبية ،
وحرب برية بعد ذلك . وهنا تبدأ استراتيجية
النفس الطويل .

سادساً : الصمود المطلق حتى النصر أو
الموت . سيبدأ العدو الجولة القادمة من موضع
المتنصر . وهو سيستغل هذا الوضع من أجل
الحرب النفسية . بيد أننا إذا عرفنا حقيقة

صدر عن وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي - دمشق

أسس النقد الأدبي

٣ أجزاء

تبويب : شورر - مايلز - ماكنزي

ترجمة : هيفاء هاشم ----- راجعة : د. نجاة عطار

مرجع هام وحديث لأصول النقد الأدبي ، ومعناه ، وغاياته

لاغنى عنه للجامعيين ولكل مثقف يتابع حركة الأدب

يطلب من جميع الكتابات في البلاد الغربية

العربي) في ساحة يوسف العظمة بدمشق.
وضع على مشرحة النقد.

تلخص الانتقادات الموجهة إليه في
الأمر التالية :

- ١ - يجب تصحيح القاعدة
- ٢ - يجب تعديل بعض الأمور في
النحت البارز لقاعدة التمثال .
- ٣ - يجب تقصير الثوب الذي يرتديه
الثوري .
- ٤ - رأس الثوري صغير وغير
متناسب مع الجسم .

● بمناسبة افتتاح معرض دمشق

الدولي الرابع عشر، رصديع حفلات
بعض الفرق العالمية على مسرح المعرض
للمجهود الحربي ، كما نظمت وزارة الثقافة
مهرجاناً سينمائياً رصديع للمجهود
الحربي ، وأقام الفنانون التشكيليون
مقهى في مدينة المعرض سيقوم الفنانون
المسرحيون بتقديم المشروبات فيه ويرصد
ربيعه للمجهود الحربي أيضاً .

● النموذج الجصي لتمثال (الثوري

٥ - هناك بطء في حركة اليد التي تمسك المشعل ، مع أنها يجب أن تكون أعنف من حركة اليد الأخرى التي نجد فيها الانفعال .

كانت اللجنة التحضيرية لرابطة الفنانين التشكيليين في سورية، قد دعت الفنانين والبنقاد إلى ندوة علنية لمناقشة هذا التمثال قبل صبه بالبرونز .

● وافقت البلاد العربية على اعيان يوم ٨ أيلول (سبتمبر) يوماً دولياً لمحور الأمية ، بناء على توصية صادرة عن منظمة اليونسكو . وجرت في مختلف البلاد العربية ، بهذه المناسبة ، تظاهرات قومية وشعبية وبيانات وحملات ترمي الى محو الأمية وحث المواطنين الأمين على ضرورة الانسحاب الى صفوف تعليم الكبار .

● أصدرت دار الجمهورية في بغداد في الحلقة الرابعة من سلسلة (القصة والمسرحية) مجموعة قصص (رماد الليل) للكاتب العراقي عامر رشيد السامرائي . يسود المجموعة قلق عنيف ، وتمتاز بمجال

الأسلوب . وكان قد صدر في هذه السلسلة (الظالمون) للكاتب العراقي عبد الرزاق المطلي و (عمات لن تموت) للكاتب العراقي عبد الوهاب النعيمي و (من مناهل الحياة) للأديب المهجري الياس قنصل .

● عدد أغسطس (آب) ١٩٦٧ من مجلة (الوعي) عدد خاص بالعيد العشرين لاستقلال باكستان . وهي مجلة أدبية ثقافية تصدر عن مطبوعات باكستان - كراتشي وتطبع في بيروت .

● أصدرت مجلة (البيدر) الشهرية عدداً خاصاً بالمؤرخ اللبناني المرحوم عيسى اسكندر المعلوف ، بمناسبة مرور ٩٨ عاماً على ولادته وإحدى عشرة سنة على وفاته .

● في عدد سبتمبر - ديسمبر (ايلول) كانون الأول ١٩٦٦) من مجلة (البحث العلمي) التي يصدرها المركز الجامعي للبحث العلمي في الرباط ، مقال (الطريق الى الإشعاع الالكتروني والايكتروليتات) للاستاذ مهدي المبارك .

● أقيم في مدينة حمص حفل تأبين
للأديب المهجري نظير زيتون ؛ ألقى
فيه كلمات ليخائيل نعيمة و عبد المعين
الملوحي وسعد صائب والبدوي المثم
ومطران السريان الارثوذكس ببغداد
ومحافظ حمص ووديع فلسطين و عبد الله
بوركي حلاق ونهاد شوع وممدوح سكاف

وعدنان الداوق وآل الفقيد ، تحدث
عن أدب نظير زيتون وآثاره .
كما ألقى قصائد لـ زكي المحاسني وشكر الله
الجر وحناء الطباع ومحيي الدين الدرويش
و عبد الرحيم الحصري و راتب أناسي ،
اشادت بمكانة الفقيد الأدبية .

الحركة النقابية في العالم

تأليف:

جورج لوفران

ترجمة:

مهارة فرح الخوري

صَدْرُ حَدِيثًا

صورة واضحة لتطور الحياة
النقابية في العالم

مكتبات وزارة الثقافة - دمشق

السعر: ١٢٥٠



الامبريالية وحق الشعوب

بقلم أديب اللبجي

« أعتقد أنني بينتُ في الصفحات السابقة ، بأن انشاء دولة اسرائيل فوق أرض فلسطين ، هو نتيجة لتسلسل يندرج تماماً في اطار حركة التوسع الكبرى الأوروبية - الأمريكية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين والتي تستهدف السيطرة اقتصادياً وسياسياً على الشعوب الأخرى ... انه بالبداية تسلسل استعماري يتمتع بصفات خاصة (١) . »

(١) من بحث للكاتب الفرنسي اليهودي مكسيم رودنسون ، بعنوان « هل اسرائيل واقع استعماري » ص ٨٣ ، من مجلة الأزمنة الحديثة .

Maxime Rodinson - Israel, fait Colonial ? In : Les Temps Modernes.

N° 253 Bis 1967 p. 83

وقد قدمت « المعرفة » خلاصة وافية لهذا البحث في مكان آخر من هذا العدد .

فالواقع الاستعماري أسبق من واقع الصهيونية واسرائيل معاً . والواقع الاستعماري لم يستهدف « وضع اليد » على البلاد العربية وخذها ، بل شملت سيطرته أكثر شعوب القارات . ان الدول الاستعمارية كانت وما تزال تديرها حفنة صغيرة من المتسلطين ، تتحكم في مقدرات حوالي ثلثي سكان العالم ، وتستغل لنفسها خيرات وثروات أكثر من ثلاثة أرباع سكان العالم .

فاذا سلمنا بأن الواقع الاستعماري لم يسهم في تكوين الحركة الصهيونية ، كما يدعي بعض محامي الاستعمار ، فان قيام اسرائيل واستمرار بقائها منذ عشرين سنة فوق أرض فلسطين لم يكونا ممكنين بدون هذا الواقع الاستعماري . وحول هذه النقطة بالذات تتفي كل مكابرة ، ويصدق قول رودنسون « ان اسرائيل واقع استعماري » . ولكن كونها كذلك لا ينفي تمتع الحركة الصهيونية العالمية - التي تفرغت عنها اسرائيل - بوجود واقعي ، هو من الناحية النظرية ، مستقل عن الوجود الاستعماري ، ومن الناحية الفعلية ، متكامل معه ، ومرتبطة به لأكثر من غرض ولأكثر من سبب .

وإذا كانت أكثر شعوب العالم الثالث ، ما تزال تواجه الاستعمار الجديد والأمبريالية العالمية في مختلف أشكالها الاقتصادية والعسكرية ، وقد اندفعوا بشراسة الوحش الجائع يمتصان أرزاق هذه الشعوب وثرواتها وجهودها ، فان الشعب العربي ، إضافة الى مواجهته للأمبريالية والاستعمار الجديد ، يواجه الصهيونية وقد تجسدت في اغتصاب فعلي للأرض العربية . إنه يواجه أمبريالية مشفوعة بصهيونية ، التقت أهدافها في اضعاف الأمة العربية ، والسعي لإبقائها ممزقة مجزأة ، وتبديد طاقتها التحريرية بعد ان اتسعت وانتشرت في جميع أجزاء الوطن العربي ، وأصبحت قوة فعلية تهدد بالتقويض الكامل مصالح هذه الأمبريالية التي تجلبت بعد الحرب العالمية الثانية بظاهرتين هامتين :

أولاً - استقطاب الولايات المتحدة الأمريكية لها ، إذ أصبحت هذه هي المركز الذي يجذب اليه جميع الدول الرأسمالية والاستعمارية ، ويشكل منها قوة موحدة تقف في وجه حركات التحرر العالمية . بل يمكن القول ان الولايات المتحدة قد غدت وحدها تقريباً سيدة العالم الرأسمالي الغربي ، تمارس عليه وصاية يزداد ثقلها سنة اثر سنة .

ثانياً - امتلاكها على حوالي ثلثي ثروات العالم من المواد الأولية والثروات الطبيعية واستثمارها لحسابها وابقاء البلاد المالكة لها - بلاد العالم الثالث بصورة خاصة - في حال رهية من التخلف المادي والمعنوي .

* * *

يعرّف لينين الأمبريالية بقوله (١) : « ان الأمبريالية مرحلة تاريخية خاصة من مراحل الرأسمالية ، تتميز بثلاث خصائص : ١ - انها رأسمالية احتكارية ٢ - انها رأسمالية طفيلية مفسدة ، ٣ - انها رأسمالية في حالة احتضار . فاستبدال المنافسة الحرة بالاحتكار هو العلامة الاقتصادية الأساسية ، بل هو جوهر الأمبريالية . ويتجلى الاحتكار بخمسة أشكال رئيسية : ١ - مجموعات الشركات الكبرى (الكارتل) ونقابات أرباب العمل ، والتروست . لقد بلغ تمرکز الانتاج درجة من الشدة ولد معها هذه المجموعات الاحتكارية من الرأسماليين ، ٢ - الوضع الاحتكاري للمصارف الكبيرة : ان حوالي ثلاثة الى خمسة مصارف ضخمة ، هي التي تدير كل الحياة الاقتصادية في أمريكا وألمانيا ، ٣ - استيلاء التروستات والطغمة المالية على مصادر المواد الأولية (علماً بأن رأس المال النقدي هو ذاته رأس المال الصناعي الاحتكاري ، وهو مندمج مع رأس المال المصرفي) ،

(١) المرجع - لينين : الأمبريالية وانقسام الاشتراكية - منشورات موسكو

بالفرنسية ١٩٦٦ .

٤ - ان قسمة العالم اقتصادياً بين المجموعات الاقتصادية الدولية قد بدأ . ان هذه المجموعات الدولية التي تسيطر على السوق العالمية بأسرها ، وتوزعها فيما بينها بشكل ودي - اذالم تعمل الحرب على اعادة توزيعها - يبلغ الآن عددها أكثر من مائة . فتصدير الرساميل ، وهو ظاهرة خاصة جداً ، بخلاف تصدير البضائع ابان فترة الرأسمالية غير الاحتكارية ، يرتبط ارتباطاً وثيقاً باقتسام العالم اقتصادياً وسياسياً ، ه - ان اقتسام مناطق العالم (اي المستعمرات) قد انتهى .

فالأمبريالية تتميز بالنتيجة عن الاستعمار التقليدي بصفات عديدة ، قد يكون أهمها تجمع القوى الاحتكارية والاستغلالية ، وفرض سلطانها على شعوب العالم بمختلف الوسائل ، بما فيها الوسائل العسكرية « التاديبية » - كما يجري الآن في فيتنام ، وفي بعض البلاد العربية وبلاد أخرى من العالم - . وضخامة التسلط في الأمبريالية هي اكبر من ضخامته في الاستعمار ، لأن للأمبريالية صفة الشمول والهيمنة لا على مقدرات شعب واحد من الشعوب المغلوبة على امرها فحسب بل على مقدرات جميع الشعوب . ولكي تحافظ الامبريالية على هذه « الامتيازات » لا بد لها أن تخلق كل ما من شأنه أن يجعل الشعوب تتمرد على سلطانها . من هنا كانت الامبريالية لا مجرد سالبه لثروات العالم وحدها ، بل سالبه لحقوق الشعوب في أن تمارس تطورها ووجودها الانساني بشكل طبيعي ، بحيث تتمكن بجهودها ، وبالتعاون العالمي النزيه ، من أن تتقدم وتحقق أهدافها في العدالة الاجتماعية والرخاء والتقدم التقني والعلمي ، والتخفيف من أساليب العمل المرهقة وسواها من ظواهر الحياة الانسانية المتحضرة .

فكفاح الشعوب ضد الامبريالية يستهدف فعلاً تحرير ثروات هذه الشعوب من احتكارات الامبريالية وطغيانها ، ولكنه يستهدف أولاً وقبل كل

شيء ، تحرر هذه الشعوب ذاتها من منطق الامبريالية القائم على تجريدتها من حقوقها ، بل من أبسط حقوقها في الحياة الحرة . ولئن تجلج الصراع قبل الحرب العالمية الثانية على شكل صراع بين قوى استعمارية متفرقة وشعوب مستعمرة متفرقة ، فإن الصراع مع الامبريالية يتخذ مظهرأ وحدويأ ، الامبريالية كلها في طرف ، وشعوب العالم الثالث كلها في طرف آخر .

* * *

ليس صحيحاً طبعاً ، ولم يعد أحد يصدق أصلاً ، ماتزعمه الولايات المتحدة من انها تخوض حرباً ضدّ شعب فيتنام ، باسم الدفاع عن حرية هذا الشعب . ان لاهتمام الولايات المتحدة بفيتنام أساساً اقتصادياً . ففيتنام جزء من مجموعة واسعة تضم بلاد جنوبي شرقي آسيا ، وتزخر بالمواد الأولية التي تحتاج اليها الدول الامبريالية ، ويجب ألا تبلغ هذه الدول مستوى من التطور والنضج يسمح لها بأن تفيد لنفسها من مواردها وخيراتها ، بل يجب ان تظل هذه البلاد على حالها السابق من التبعية ، باشكل خارجية مختلفة طبعاً ، من حيث بقاء الاستغلال فوق رأسها ، وقبولها طوعاً أو كرهاً به . المهم ان يبقى سائداً نظام السيد والسود .

ان المدافع والقنابل التي تنطلق وتنفجر فوق اجساد الأطفال والكبار من أبناء فيتنام ، انما تدافع عن مصالح محدودة ، مصالح الرخاء الامريكى والغربي ، انها مصالح الهيمنة على ثروات الشعوب . فقنابل الدفاع عن النظام الاستعماري الجديد ، لاندومي فوق رؤوس أبناء الشعب الفيتنامي وحسب بل تدوي في كل مكان من الأرض ، ينشد فيه الناس الحرية والعمل الكريم والتطور الانساني الصاعد ، واستكمال الوجود القومي ، كما هي الحال في البلاد العربية ، وفي بلاد عديدة منتشرة فوق سطح الأرض .

ولم يعد ثمة من يجهل ان الولايات المتحدة تتفق سنوياً على تدمير فيتنام
— بحجة الدفاع عن العالم الحر — أكثر من خمسة وعشرين مليار دولار، أي حوالي
ثلث حاجة بلاد العالم الثالث من الأموال التي يجب أن تخصص للتنمية وزيادة الدخل
القومي، ورفع مستوى حياة الفي مليون نسمة . ولم يعد ثمة من يجهل أن ماتقدمه
الامبريالية الأمريكية والغربية من عون الى البلاد المتخلفة ، إنما يستهدف اول
ما يستهدف تشغيل الفائض من الرساميل الأمبريالية خارج مناطقها ، ثم زيادة
تطويق البلاد لإبقائها « تابعة » بشكل أو بآخر ، ثم استرداد هذه « المعونة »
بضعافاً مضاعفة الى القوة الأمبريالية « المعينة » .

من بيانات وتقارير هيئة الأمم المتحدة يتضح أن مبلغ ٤٣٠٠ مليون
دولار ، وهي المعونة العامة التي قدمتها البلاد المتطورة الى بلاد العالم الثالث سنة
١٩٦٠ ، تمثل اسهاماً من كل مواطن من البلاد الرأسمالية يقل عن ٧ دولارات
(منها دولاران واكثر واجبة التسديد) . ومثل هذا المن لا يزيد الانتاج الخام
لمجموع البلاد التي أفادت منه ، بأكثر من ١٠٥٪ ، وهو لا يقدم للمواطن الواحد
من سكانها أكثر من ٣ دولارات في السنة (منها دولار يجب تسديده) . وقد
زادت هذه المعونة في السنوات التي تلت ، فأصبحت في حدود ٦/ مليارات دولار ،
ولكنها ظلت من حيث النتيجة عقيمة الفائدة بالنسبة للدول التي أفادت منها ،
كبيرة الفائدة بالنسبة للدول التي تقدمها^(١) .

ان وراء المعونة التي تقدمها الامبريالية الى بلاد العالم الثالث ، اغراضاً
للا تمت بأية صلة الى اعتبارات انسانية ، او تضامنية .

ان هذه المعونة مفتاح لدخول الاستثمارات الامبريالية الى البلد المعان ، لنهب
ثرواته وخبراته ، وابقائه في وضع جديد من التبعية للامبريالية ، فبين سنة ١٩٥٠ —

(١) اقتبسنا هذه الأرقام من كتاب : « نهب العالم الثالث » للكاتب الفرنسي بيير
جاله — وقد ترجمته وزارة الثقافة ، وسيصدر بالعربية خلال أيام .

١٩٦٠ اخرجت الولايات المتحدة ٢٠ مليار دولار الى الخارج على شكل استثمارات خاصة ، حققت لها ارباحاً تقدر ب ٢٥ مليار دولار ، مع بقاء ساميل الاستثمار على حالها .

وبين ١٩٥٠ — ١٩٥٥ وظفت الولايات المتحدة في امريكا اللاتينية ، ٢ مليار دولار ، فحضت بواسطتها على ٣٥٥ مليار دولار من الارباح . وفي سنة ١٩٥٩ وحدها حصلت الولايات المتحدة على ارباح من امريكا اللاتينية تقدر ب ٧٧٥ مليون دولار ، وظفّت منها ٢٠٠ مليون في امريكا اللاتينية والباقي ، وهي ٥٧٥ مليون دولار أعادتها الى الولايات المتحدة .

كذلك الحال في بلاد الشرق الاوسط . ان الاستثمارات الامبريالية في البلاد العربية تتجه بصفة خاصة الى استغلال البترول العربي ، وتسويقه الى الغرب . ان الارباح التي تحققها شركات الاستثمار من هذه العملية تتجاوز ٢٥٠٠ مليون دولار سنوياً . اما حصص البلاد العربية من عائدات انتاج البترول فيذهب اكثرها الى مشاريع التنمية وتدعيم الكيان القومي الذي يتيح للوطن العربي ان يخرج فعلا من نطاق السيطرة الامبريالية ، بل يذهب الى شراء سلع استهلاكية من البلاد المستعمرة ذاتها .

وإذا حدث ان طالب العرب باعادة النظر في العائدات التي يتلقونها من استخراج النفط او مروره في اراضيهم ، ذهبت الامبريالية تحببك المؤامرات عليهم ، وتسلط قوى الدعاية ضدهم . فاذا فشلت في استعمال أدوات « التخويف والترويع » ، لجأت الى تحريض اسرائيل لتقوم بالعدوان المسلح في الوقت المناسب .

ولكن نهب الامبريالية لخيرات الشعوب بوصفه هدفاً كبيراً ، يتطلب

في الوقت ذاته « نهب » حقوق الشعوب ايضاً . والنهب هنا لا يتخذ طابع السرقة
مثلاً يحدث في استخراج المواد الاولية وسلبها . انه يتجلى بمصادرة حق الشعب في
ان يتمتع بحقوقه العامة في السيادة والنمو وحرية التفكير والتعبير . فكل
انظمة الحكم الفاشية والبوليسية والرجعية السائدة في بلاد العالم الثالث تشجعها
الامبريالية بشكل او بآخر ، لتخنى بواسطتها ارادة التحرر والنمو التي تنطلق من
داخل تلك الشعوب . ان الامبريالية لم تعد بحاجة الى اساطيلها وجيوشها لاحتلال
البلاد التي لم تعتلج فيها حركات التحرر . في الماضي كان ذلك هو القاعدة ، اما
الآن فأفضل وسيله لقمع الحرية والتحرر في بلد من بلدان العالم الثالث ، هي
التشجيع على مصادرة حريات ابنائه ، ودعم اقامة حكم بوليسي أو رجعي فيه ،
واثارة البلدان المجاورة عليه ، وادخاله في دوامة من الصراعات الداخلية والخارجية
التي تريده تمزقاً ، وتذهب بطاقته التحررية هباء .

ان المواجهة التي يتصدى لها العالم الثالث في صراعه مع الامبريالية لا يمكن
ان تقف عند انصاف الحلول . ومن المستحيل ، كما تشير الى ذلك مختلف القرائن
ان يكون ثمة امكان لتعايش سلمي بين الامبريالية من ناحية ، ونزعاًة التحرر
والتقدم لدى شعوب العالم الثالث ، من ناحية أخرى . فاما ان ترحل الامبريالية
لينهض العالم الثالث ، واما ان تستمر الامبريالية قوية ، فيستمر العالم الثالث
مغلوباً على امره ازاءها .

ان شراسة الامبريالية في مصادرة حقوق الشعوب تصل الى حد مصادرة
حقوق سكانها أنفسهم . يقول الكاتب الزنجي الأمريكي جيمس بالدوين في
وصف حال مواطنيه (١) :

(١) المصدر - مجلة فيغارو الأدبية - - 1111 - Le Figaro Littéraire

« ان نيوجرسي ولاية عرقية . فالزواج مكثسون في حيي بانس منها ،
أجر البيوت مرتفع ، الماء مفقود من البيت ، المدارس غير موجودة . جمع
الأوساخ يتم مرة كل أسبوع . في نيوجرسي تسعون بالمئة من الزواج هم بلا عمل .
ومتى بدأ موسم الحرّ وأخذ يجثم فوق حييهم أصبحت الحياة فيه لاتطاق . فكيف
تمنع المحروم من السرقة واليائس من القتل ؟

اننا نحن الزواج الأمريكيين ، نعيش في بلد لم يعد لنا فيه أمل . اننا
أناس لامستقبل لهم . لقد أصبح الزنجي الأمريكي يعرف بأنه مخدوع ، مدمر
لأن أي زنجي يعرف بأنه مهدد في حياته ووجوده ، محاط بالأعداء الذين يأبون
أن يتروكوا له أي أمل . ان الأمريكيين البيض بكرهونا ، والبطالة تزداد كل
سنة بين أبنائنا . ان عددنا يبلغ ٢٤ مليوناً في الولايات المتحدة ، أي اننا نشكل
عشر السكان ، ولكننا لا نتمتع بواحد من مائة من مجموع الدخل القومي ، اننا
نعتمد يوماً عاملة رخيصة . »

وقد جاء في تقرير رسمي أعدته وزارة العمل الأمريكية ونشر سنة
١٩٦٥ ما يلي : ٢١٪ من الأسر الزنجية تعيش بدون أب ٣٥٪ من الأطفال
الزواج هم غير شرعيين ، ثلث الشباب الزواج فقط الذين يبلغ عمرهم ١٨ سنة ،
يعرفون آباءهم وامهاتهم .

وفي تقديرنا ان نجاح الحرية في العالم الثالث مرهون اولاً بنمو وعي
شعبه ونضالها في سبيل الحرية والتقدم . كما انه مرهون ثانياً بتضامن هذه الشعوب
تضامناً شبه عضوي ، تستطيع معه ان تقف كتلة واحدة في وجه الامبريالية
واطماعها التي لاتتحده . ان اعتماد شعوب العالم الثالث على تأييد المعسكر الاشتراكي
لها في كفاحها التحرري طبيعي ومشروع ، ولكن اعتمادها على تضامننا وقوة

ايمانها مجريتها الخاصة ، واجب وضرورة بأن واحد ، ذلك ان مواجهة الامبريالية ليست بالأمر الهين . ولكن التخلي عن هذه المواجهة خيانة قومية ، واستمرار أبدى في التبعية . وليس امام شعوب العالم الثالث لتستخلص حريتها وحققها في الحياة والافادة من مواردها وجهود ابناءها ، الا ان تناضل ، جهة واحدة ، وقوة مشتركة ، للاجهاز على الامبريالية . ان هذه القوة الطاغية تدرك اليوم التسارع الكبير لحركة الشعوب المتعطشة الى الحرية والتقدم . وهي تدرك بالوقت ذاته ، الأخطار الهائلة التي يتعرض اليها مصيرها من جراء مايسمى لقاء وتضامن الحركات التحررية لدى شعوب العالم الثالث . لذا فان جهداً جديداً أخذت تبذله الامبريالية العالمية في هذه السنوات الأخيرة ، للتمزيق وحدة العمل التحرري لدى تلك الشعوب . اذ في هذا التمزيق استمرار للوجود الامبريالي من ناحية ، واستحالة استكمال التحرر الوطني والقومي من ناحية ثانية . وبما لاشك فيه مطلقاً أن كل انقسام في المعسكر الاشتراكي ، وكل استمرار للفرقة والتجزئة بين اقطار العالم الثالث ، هو كسب غير مباشر للامبريالية ، وخسارة مباشرة لمعركة التحرر لدى شعوب العالم الثالث . ولو لم يكن للوحدة العربية الا فضيلة المواجهة العربية الواحدة للخطر الذي يهدد أمتنا ، لكان ذلك كافياً لأن تقوم هذه الوحدة ، اليوم قبل غد .



فهرس عام

<u>الصفحة</u>		<u>العلوم والبحوث الاجتماعية</u>
٤	محمد عزة دروزة	اتحاد الدول العربية هو العلاج الوحيد والملح
٢٠	مكسيم رودنسون	اسرائيل واقع استعماري
٤٤	د. هشام متولي	الاسلحة الاقتصادية العربية والعدوان الصهيوني

الآداب

٦٢	حسن كامل الصيرفي	الحق المقدس - شعر
٦٥	محمد عفيفي مطر	رقصة الخاض الثاني - شعر
٦٨	بمدوح عدوان	الطاووس - شعر
٧٣	شوقي بغدادي	دمشق تصبغ المصابيح - شعر
٧٥	زكي فضل	ليل العروبة - شعر

الفنون

٨٠	نبيل فرج	حوار مع الفنان الناقد صبحي الشاروني
----	----------	-------------------------------------

التيارات الفكرية العربية والعالمية

كتاب المعرفة

- الاشتراكيون
الخاض
- ٩٤ د. يوسف شقرا
- ١١٥ نبيلة الرزاز

مع الأحداث العربية

- لقاء أخير مع الأديبة الراحلة سميرة عزام
- ١٢٦ ألفة الادلي

فنون

- لوحات جديدة ومعرض متحول
حول المعركة
- ١٣٠ غازي الخالدي

- متحف دوستوفسكي - ترجمة سامي دهب
- ١٢٦ كوغان

- حب - قصة
- ١٤٣ إلين بيلين

- نداء من المثقفين العرب
- ١٥٣

في المكتبة العربية

- ١٦١ ظافر عبد الواحد

- مجلة المحلات
- ١٧٤ هشام الدجاني

- أخبار ثقافية
- ١٨٤

جولة الشهر

- الامبريالية وحق الشعوب
- ١٨٧ اديب الجمي



محاضرات الموسم الثقافي في

١٩٦٥ - ١٩٦٦

١٥ محاضرة تعالج موضوعات أساسية راهنة:

- المواطن العربي في طريق التحرر
- كيف نواجه الدعاية الصهيونية في العالم
- كبرى المشكلات الدولية

وموضوعات قيمتها أخرى

مشورات وزارة الثقافة - دمشق

يطلب من جميع المكتبات في البلاد العربية

مجموعات « المعرفة » المجلدة

يسر ادارة مجلة « المعرفة » أن تعلم قراءها واصدقائها عن وجود كميات محدودة من مجموعات مجلة « المعرفة » منذ صدورها مجلدة - كل أربعة اعداد في مجلد واحد - وادارة المعرفة مستعدة لارسالها لطلابها بثمن ٢٠ ليرة سورية لمجموعة السنة الواحدة المؤلفة من ثلاثة مجلدات يضاف اليه اجرة البريد للخارج ، حسب رغبة صاحب الطلب .

يرجى ان يكتب الى محاسبة مجلة « المعرفة » (وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي - دمشق) مع ارفاق الطلب بالثمن المذكور . والمحاسبة مستعدة لتقديم المعلومات اللازمة بشأن التحويل من الخارج والارسال بالبريد العادي او الجوي وفق الطلب .

ALMa`rifa

Cultural Monthly Review

Published by

The Ministry of Culture and National Guidance

Damascus - Syria

Al - M'arifa deals, in Three Separate Sections, With Social
Sciences, Letters, and Arts in Syria and The Arab Land

SIXTH YEAR - № 67

SEPTEMBER 1967

العدد ٦٧

مجلة المعرفة